الإمام حميدان بن حميدان

وآراؤه الكلامية والفلسفية

دكتور
السيد محمد عبد الرحمن

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

الإمام حميدان بن حميدان وآراؤه الكلامية والفلسفية

الناشـــــــــر: **دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر**

العنـــــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنـى قبلـى السكة الحديـد - مسـاكن دربالـه - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقـم البـريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress @ yahoo.com

dwdpress @ biznas.com

Websitc

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب: الإمام حميدان بن حميدان وآراؤه الكلامية والفلسفية

المؤلـــــف: د. السيد عبد الرحمن

رقـم الإيـداع: ٧٩٣٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى: 1 - 343 - 327 - 977



بسم الله الرحمن الرحيم

{ وقل رب زدني علما}



الإهداء

إلى روح أستاذتي الفاضلة

الدكتورة / فوقية حسين محمود

رحمها الله تعالى

إلى روح أستاذي الفاضل

الدكتور / علاء احمد حمروش

رحمه الله تعالى



المقدمـة :

الحمد لله ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وأشهد أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتركنا على المحاجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وبعــــد ......

إن تراثنا الإسلامي بصفة عامة والتراث اليمنى بصفة خاصة يزخر بالكثــــير مــن الشخصيات الفكرية التي لها إسهاماتها في شتى الفنون والمعارف ، والتي تحتـــاج إلى وقفــه علمية تبرز جوانبها المضيئة التي يمكن أن تمدنا بقيم روحية وفكرية وعقائديـــة ، ملائمــة لبيئتنا ومنسجمة مع حضارتنا ، ومحافظة على هويتنا الإسلامية في كافة جوانبها العقائديـــة والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والإمام حميدان بن حميدان واحد من هــذه الشخصيات الإسلامية العربية اليمنية التي لها إسهامات فكرية عظيمة يمكن أن تكـون ذات تأثير كبير في فكرنا المعاصر. وهذا أحد أسباب اختيار هذه الشخصية لتكون محـــور هـــذا البحث.

كما أن موقف الإمام حميدان من المعتزلة ليضيف بعداً آخر لاختيارنا لهذه الشخصية ، فمن المعروف أن علاقة الزيدية بالمعتزلة علاقة وثيقة لا يمكن إنكارها ، فزيد بـــن علـــي (٨٠-١٢٢هـــ) إمام الزيدية قد تعلم أصول الدين على يـــد واصـــل بـــن عطـــاء (ت ١٣١هـــ) صاحب فرقة المعتزلة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل استمرت العلاقة بـين كبار رجال الزيدية وكبار رجال المعتزلة ، كعلاقة الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحســـين (٢٤٦-٢٩٨هـــ) والناصر الاطروشى (٢٣٠-٣٠٤هـــ) بأبي القاســـم البلخـــي (ت ٣١٩هـــ)، أقول إذا كانت هذه العلاقة وثيقة لا يمكن إنكارها ، فان الإمام حميدان ينكر

أن يكون المذهب الزيدي قد اخذ عن مذهب الاعتزال وتأثر به ، ويرى أن علم العترة من أئمة الزيدية يفارق فكر المعتزلة الذين سلكوا طريق الفلاسفة في الجدال[١] .

وثورة الإمام حميدان هذه ضد المعتزلة إنما ترجع في حقيقتها إلى سببين : الأول يتعلق بموقف المعتزلة من الإمامة ، فالمعتزلة ترى أن الإمامة تكون بالعقد والاختيار لا بالنص ولا بالدعوة والخروج – كما ترى الزيدية – هذا إلى جانب أن واصل بن عطاء قد أجاز الخطأ على الإمام علي وذلك حين ذهب إلى أن أحد الفريقين المتحاربين يوم الجمل على الخطأ لا بعينه.

والسبب الثاني : يرجع إلى الأزمة التي كانت الإمامة الزيدية تعيشها في تلك الفترة. ولقد كانت هذه الأزمة ذات جانبين : الأول سياسي عسكري ، حيث كان أبناء الزيدية تحت قيادة الإمام المهدى لدين الله أحمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ) : يحاولون أن يعيدوا للإمامة الزيدية كيانها السياسي الذي كان قد اختفى – منذ فترة – من على مسرح الأحداث السياسية باليمن في ظل طغيان الدويلات الأخرى – كما سنرى فيما بعد – والثاني فكرى ، حيث تعرض الفكر الزيدي – في تلك الفترة – لمعطف خطير : يتمثل في نمو تيار زيدي مشايع للمعتزلة انصرف عن التمسك بعلوم الأئمة [٢] بحجة أن الأئمة قد انصرفوا عن دقائق النظر في أصول الدين قانعين بمجملها مشتغلين بالجهاد[٣] .

ولقد أدرك الإمام حميدان أن الأزمة الفكرية اشد خطراً من الأزمة السياسية والعسكرية ، لأن الفكر هو السياج الواقي الذي يضمن للدولة – أي دولة – بقاءها واستمرارها ، ولهذا رفع الإمام حميدان قلمه ليخوض معركة – لا تقل ضراوة عن تلك التي تدور هناك في ميادين القتال – ضد الفرق المخالفة وخاصة المعتزلة ومن شايعهم[٤] .

---

(١) الإمام حميدان بن حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح : ضمن مجموعه المصور بالهيئة العامة للكتاب ، ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ لوحة ١.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥ يمين.

(٣) المرجع السابق.

(٤) لهذا الأمر اعتبر مؤرخو الزيدية حميدان بن حميدان من أئمة الزيدية ، رغم أنه لم يكن إمام جهاد وحرب، وإنما كان رجل دعوة وفكر ولا ريب أن الإمام حميدان يستحق هذا الأمر ، فقد استطاع

ولا يتوقف هجوم الإمام حميدان على المعتزلة عند حد مسألة الإمامة بل أنه ينطلق إلى سائر جوانب فكر المعتزلة ، مستخدما في ذلك منهجا انفرد به دون سائر الزيدية ، وهذا المنهج يتمثل في أنه يبدأ مسائلة الكلامية بذكر مظاهر الابتلاء المتعلقة بهذه المسألة أو بتلك ثم يعرض للمسألة مبينا صحة موقف العترة من أئمة الزيدية وخطأ موقف المعتزلة ، ومنتهيا من ذلك إلى تأكيد استقلال علم الأئمة وفكرهم الصحيح عن مغالطات المعتزلة وأوهامهم – كما يرى –.

وأود أن أشير إلى نقطة مهمة هنا وهى أن الإمام حميدان في نقده للمعتزلة كثيرا ما يحول على بعض الآراء التي قد تكون فردية لا تعبر عن إجماع للمعتزلة ، أو حتى تعبر عن اتجاه قوى داخل المعتزلة وعندي أنه لا شيء على الإمام حميدان في ذلك ، وذلك لأنه قد كتب على المعتزلة أن تتحمل نتائج أي فكر كان مادام صاحبه يرفع راية الاعتزال[1] ، وذلك على الرغم من الاختلافات الفكرية الكبيرة بين مفكريها حتى يقول في ذلك ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) : "إن المعتزلة اشد الناس اختلافا لا يجمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين[2] .

ويبقى لنا بعد ذلك عدة تساؤلات :

الأول : هل نجح الإمام حميدان بن حميدان في أن يجعل من الزيدية خصما لدودا للمعتزلة ؟.

الثاني : هل يمكن أن يكشف نقد الإمام حميدان للمعتزلة عن جوانب خفية في فكر المعتزلة ، ربما غفل عنها الباحثون في عصرنا هذا ؟.

أن يحافظ على هوية المذهب الزيدي في ظل نمو وتصاعد تيار الشيعة المعتزلة ، فهو بكل المقاييس إمام من أئمة الزيدية المجددين.

(١) أي يقول بالأصول الخمسة. يقول الخياط : "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإذا اكتملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي" (الخياط : الانتصار ، تحقيق نيبرج ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ ، ص ١٢٦).

(٢) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث : تحقيق محمد زهدي النجار ، طبعة دار القومية العربية ، مصر ١٩٦٦، ص ١٤.

الثالث : هل فارق الإمام حميدان المعتزلة لكي ينحاز إلى أهل السنة والجماعة ؟ أم أنـه أراد للزيدية أن تفارق الجميع ؟.

هذه التساؤلات وغيرها من الأسئلة هي ما سيحاول الباحث الإجابة عليـــها مـــن خلال بحثه هنا ، والذي سيعالجه الباحث من خلال المناهج الثلاثة الآتية :

١- المنهج الموضوعي : سيكون هذا المنهج هو طابع بحثنا ، نعرض من خلالـــه المســـائل الفلسفية والكلامية للإمام حميدان ، بصفة عامة وبصفة خاصة فإن البحـــث يضـــع الباحث موضع القاضي الذي عليه أن يحكم بين متخاصمين هما الإمام حميـــدان بـــن حميدان والمعتزلة مما يزيد الحاجة إلى هذا المنهج.

٢- المنهج التاريخي : وسيكون لهذا المنهج أهمية كبرى وذلك لان البحـــث يضطرنـــا الى الرجوع إلى كبار رجال الزيدية السابقين ، وإلى رجال المعتزلة ، مما يقتضي اســتخدام المنهج الاستردادي التاريخي.

٣- المنهج المقارن : وستتضح أهمية هذا المنهج عند الموازنة بين أراء أئمة الزيدية ورجـــال المعتزلة ، وغيرهم من رجال الفرق الأخرى ، جاعلين النص من قرآن وســـــنة هـــو أساس الأحكام في كل المواقف والآراء الاعتقادية.

بتكامل المناهج الثلاثة سيكون البحث محاولة للوصول إلى الحقيقة التي هي الغايـــة المنشودة لكل الباحثين عبر تاريخ حركة الفكر والحضارة الإنسانية .

ويقع هذا الكتاب في تسعة فصول على النحو التالي :

(*) الفصل الأول [سيرته] : في هذا الفصل تعرض الباحث للحديث عـــن البيئـــة العامة التي نشأ وتربى فيها الإمام حميدان ، والتي تمتد لتشمل العالم الإسلامي كله خـــلال النصف الأول من القرن السابع الهجري ، وتوقف الباحث – بعـــض الشـــيء – عنـــد الأحوال السياسية والدينية والثقافية للعالم الإسلامي. أما عن بيئته الخاصة فلـــم أتوقـــف عندها كثيرا لان المصادر لم تتح لي فرصة التعرف عليها بشكل جيد. ثم تعرضت لأطـــوار

حياته ، وبينت أن حياة الإمام حميدان قد توزعت بين أطور ثلاثة : طور النشأة ، ثم طـور تحصيل العلم ، ثم طور الإنتاج العلمي.

(*) الفصل الثاني [آثاره] : لقد حاولت في هذا الفصل حصر آثار الإمام حميـدان بالرجوع إلى الكثير من البحوث والدراسات القديمة والحديثة ، وسيأتي بيان ذلك .

(*) الفصل الثالث [الابتلاء كمدخل لأراء الإمام حميدان الكلامية والفلسفية] : لقد تأكدت براعة الإمام حميدان وتميزه عن أسلافه من أئمة الزيدية في هـذا الفصـل ، حيث ربط – ببراعة – آرائه الكلامية والفلسفية بمسألة الابتلاء، ولقد جـاء الكـلام في الابتلاء عنده مقسم إلى سبعة مقدمات هي :

المقدمة الأولى : في ذكر عموم البلوى وبيان وجه الحكمة فيها.

المقدمة الثانية : في البلوى باختلاف طرق العلم.

المقدمة الثالثة : في البلوى بمقارنة هوى النفس بالعقول.

المقدمة الرابعة : في البلوى في اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.

المقدمة الخامسة : في البلوى بجواز استعمال المجاز مع الحقيقـة في كثـير مـن الأسمـاء والعبارات.

المقدمة السادسة : في البلوى بالتخلية والتمكين لأعداء الحق والمحقين.

المقدمة السابعة : في البلوى بإيجاب الولاء والبراء في الدين.

(*) الفصل الرابع [نظرية المعرفة] : لا يمكن فهم أراء – أي مفكر – إلا مـن خلال التعرف على نظريته في المعرفة ولذلك نتناول في هذا الفصل نظرية المعرفـة عنـد مفكرنا الإمام حميدان من خلال عرض آرائه حول إمكـان قيـام المعرفـة ومصادرهـا وموضوعاتها ومناهج البحث. ومما هو جدير بالذكر أن الإمام حميدان كان حريصا علـى تبين المصادر المختلفة للمعـرفة مـن حسية وعقلية وقلبية والخبر بنوعية (المتـول وغير المتول) وفصل في بحثه بين موضوعات المعرفة المختلفة على أساس التمييز بـين عـالم

الغيب وعالم الشهادة . ولقد عرضت الدراسة لمنهج البحث في العلوم الدينيـــة ، ولمنـــهج البحث في العلوم غير الدينية ، بالإضافة إلى مراحل كسب المعرفة ، والهدف من المعرفـــة ، ودرجة اليقين في كل موضوع من موضوعات المعرفة على حده.

(*) **الفصل الخامس [الله : الذات والصفات]** : وفى هذا الفصل نعـــرض لأراء الإمام حميدان الإلهية من خلال تناول موضوعات ثلاثة بالبحث وهـــــي : الـــذات ، والصفات ، وأنواع الصفات وسنوضح في هذا الفصل أن أكثر زلات الفرق الإسلامية إنما تأتي من هذا الباب.

(*) **الفصل السادس [العالـــــم]** : وفيه بينت أن أبحـــاث الإمـــام حميـــدان الطبيعية لم تأت منفصلة عن آرائه في العقيدة ، بل إنها جاءت لتأكيد مذهبه في الصفـــات ، هذا ما تأكد من خلال عرض موضوعات هذا الفصل والتي جـــاءت كـــالآتي : العـــالم – مفهوم الشيء – مفهوم الجسم – مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ – مفهوم العرض – حدوث العالم – فناء ذوات العالم . وقد برز الاتجاه الإسلامي عند الإمام حميدان واضحا من خلال:

١– اعترافه بالوجود الخارجي المستقل عن الذات العارفة.

٢– بعده عن المصطلحات الدخيلة إذ لم نجد لديه إلا مصطلحاً واحـــداً وهـــو مصطلـــح "العرض". بينما يرفض استخدام لفظ "الجوهر" ويستخدم بدلا منه لفـــظ لجســـم وهـــو مصطلح إسلامي أصيل.

٣– تأكيده على حدوث العالم من العدم المحض.

(*) **الفصل السابع [الفعل الإنساني]** : في هذا الفصل عرضنا للموضوعات الآتيـة : الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية ، الفعل الإلهي والفعل الإنساني ، وأوضحنا من خلالهـــا أن الإمام حميدان يؤكد الحرية الإنسانية من خلال تمييزه بين الإرادة والفعل في كل مـــن الله سبحانه والإنسان.

(*) **الفصل الثامن [مذهبه في الإمامة]** : وفى هذا الفصل عرضنا للآتي : البعـــد التاريخي لمشكلة الإمامة ، تعريف الإمامة وجوب نصب الإمام، في من تكـــون الإمامـــة،

شروط الإمامة، بما تثبت به الإمامة، طريق ثبوت الإمامة، أفضل الناس بعد رسول الله ، الإمام الحق بعد رسول الله ، مذهبه في الصحابة، الشيعي والمتشيع . وقد انتهينا من هذا الفصل الى بيان غرابة معظم آراء الإمام حميدان في الإمامة ذلك إن هذه الآراء لا أصل لها من قرآن أو سنة.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب هو رسالتي في الدكتوراه التي حصلت عليها عام ١٩٩٦ بكلية الآداب ببنها جامعة الزقازيق ، والتي قام بالأشراف عليها الأستاذ الدكتور الفاضل علاء أحمد حمروش رحمه الله تعالى .

{رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي}



الفصل الأول
[سيرته]

١- اسمه.
٢- كنيته.
٣- لقبه.
٤- نسبته.
٥- اصله.
٦- مولده.
٧- بيئته الخاصة.
٨- بيئته العامة.
٩- أطوار حياته.

أ- طور النشأة.

ب- طور تحصيل العلم.

جـ- طور الإنتاج العلمي.



١- اسمه :

قال صاحب طبقات الزيدية اسمه"حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم بن سليمان (في الأصح) بن القاسم بن على بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الحسن القاسمي"[1]. وذكره بروكلمان فقال هو "حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم الزيدي*"[2] غير أن بروكلمان يعود فيذكر اسمه مرة ثانية – في نفس المرجع – ظناً منه أنه شخص آخر فيقول اسمه : "أبو عبد الله حميدان بن يحي بن حميدان بن قاسم بن حسن بن إبراهيم بن سعيد القاسمي** الزيدى"[4].

والاسمان لشخص واحد يؤكد ذلك :

أولا : أنه ليس ثم اختلاف كبير بن الاسمين.

ثانيا : أنه قد ذكر للشخصيتين نفس الإعمال – كما سنوضح في الفصل الثاني–.

ثالثا : أنه لا يوجد بين مفكري الزيدية من يتسمى بهذا الاسم إلا شخصية واحدة[5]. وبالمقابلة بين الاسم الذي ذكره صاحب طبقات الزيدية والاسم الذي ذكره كارل بروكلمان نجد الاختلافات الآتية:

١- حذف الألف واللام في اسم القاسم والحسن عند كارل بروكلمان.

٢- ذكر اسم "سعيد" عند بروكلمان في مقابل "سليمان" عند صاحب طبقات الزيدية.

---

(١) الإمام صارم الدين إبراهيم بن القاسم : "طبقات الزيدية" مخطوط مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم (٢١٨٤) لوحة ١١٤ يمين.

* الزيدي ليست ضمن الاسم وإنما هي دلالة على انتمائه الى المذهب الزيدي.

(٢) كارل بروكلمان : "الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية" ترجمة صالح بن الشيخ أبو بكر ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ، دار الحداثة – بيروت ، لبنان ، طبعة عام ١٩٨٥ ، ص ٦١.

* * االقاسمى : نسبة الى مذهب الزيدية القاسمية في الفقه.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٨.

(٤) تأكد الباحث من هذا الأمر من خلال مراجعته لطبقات الزيدية اكثر من مرة.

٣- إن صاحب طبقات الزيدية يصل بالاسم إلى الأصل الذي هو على بن أبي طالب رضى الله عنه.

والباحث يرجح أن الاسم الذي ذكره صاحب طبقات الزيدية هو الأصح للأمور التالية : ١- إن صاحب طبقات الزيدية مؤرخ قديم.

٢- إنه قد ذكر عبارة (في الأصح) بعد اسم "سليمان" مما يؤكد أنه اعتمد هذا الاسم بعد تحقيق.

٣- أنه مؤرخ لمذهبه وأهل كل مذهب أدرى بشعاب مذهبهم.

ويذكره د. احمد محمود صبحي فيقول :"حميدان بن يحي بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن على العياني"[١]. ويذكره عبد الله الحبشي فيقول :"حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن بن إبراهيم"[٢]، وفي فهرس المخطوطات اليمنية يأتي اسمه على النحو الآتي : "أبو عبد الله حميدان بن يحيى بن حميدان"[٣].

٢- كنيته : أبو عبد الله[٤].

٣- لقبه : نور الدين[٥].

٤- نسبته : ينسب إلى عيان [٦] فيقال له :"حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم بن الحسن ابن إبراهيم بن سليمان بن القاسم بن على العياني"[٧].

---

(١) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية ، ط الثانية ، الزهراء ، للإعلام العربي ، سنة ١٩٨٤ ، ص ٥٩٢.
(٢) عبد الله محمد الحبشي : "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن" ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، د.ت.ص١٠٨.
(٣) الجمهورية العربية اليمنية : وزارة الثقافة : فهرس المخطوطات اليمنية ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧، ص ٦٥.
(٤) - الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية لوحة ١١٤ يمين.
- كارل بروكلمان : الأدبيات اليمنية ص ١٠٨.
- فهرس المخطوطات اليمنية ص ٦٥.
(٥) الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية لوحة ١١٤ يمين.
(٦) عيّان : بفتح أوله وتشديد ثانيه – هو بلد باليمن من ناحية مخلاف جعفر (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٤ ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ص ١٧١).
(٧) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية ، ص ٥٩٢.

والنسبة تكون : إما بحكم المولد أو الإقامة أو الوفاة أو الوراثة ، والباحث يقطع بأن هذه النسبة بالوراثة لأننا نجد الإمام المهدى (٣٧٦-٤٠٤هـ) ينسب هو الآخر الى عيَان فيقال له:"المهدى الحسن بن القاسم بن على العيانى"(١) فهذه النسبة كما هو ظاهر من مقابلة الاسمين ترجع الى "القاسم بن على" والد الإمام المهدى الحسين وجد الإمام حميدان بن حميدان. ومع هذا فلا يوجد ما يدل على أن المولد والإقامة والوفاة لم تكن بذلك البلد.

٥- **أصلـه** : تبين عند ذكر اسمه انه "حميدان بن يحيى ... بن الحسن بن على بن أبي طالب"(٢) وبالتالي فأنه يرجع في أصله إلى الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه من جهة ابنه الحسن رضى الله عنه.

٦- **مولـده** : لا نعرف على وجه الدقة مكان مولده إلا إذا اعتبرنا عيَان مسقط رأسه ولا يوجد كما قلنا - ما يدل على غير ذلك، ثم ليس فيما بين أيدينا من المصادر ما يسمح بتحديد تاريخ مولده ، ولعل السبب في عدم ذكر شيء عن تاريخ مولده أن الأعلام عند مولدهم لا يلتفت إليهم مما لا يدفع الى تسجيل هذا التاريخ والاحتفاظ به(٣) ، ولكننا لن نبتعد عن الحق كثيرا إذا قلنا إن الإمام حميدان قد ولد في أواخر القرن السادس الهجري. فقد ورد عن النبي أنه قال :"أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين واقلهم من يجوز ذلك"(٤).

---

(١) عبد الله محمد الحبشي : مصادر الفكر الإسلامي باليمن ، ص ٥٢٦.

(٢) الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية لوحة ١١٤ يمين.

(٣) د. سعيد مراد : ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٩١م ، ص ٢٩-٣٠

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه وآخرون عن أبي هريرة مرفوعا، وصححه ابن حبان والحاكم وقال على شرط مسلم ، وقال حسن غريب ... ورواه الترمذى أيضا من وجه آخر عن أبي هريرة ... وقال فيه أيضا حسن غريب ... ورواه البخاري عن أبي هريرة بلفظ "اعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى يبلغ ستين سنه". (الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢م) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على السنة الناس ، اشرف على ، طبعه وتصحيحه والتعليق عليه احمد القلاش ، جـ١، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، دار التراث ، القاهرة ، د.ث.ص ١٦٣).

٧- بيئته الخاصة :

لم تحمل إلينا مصادر الإمام حميدان أية أخبار عن والديه أو عن شيوخه الذين تلقى عنهم في طفولته وصباه ، وكل ما ذكرته هذه المصادر عن مفكرنا أنه قد "قرأ كتب الأئمة أصولها والفروع"[١] كما قرأ كتب المذاهب الأخرى حتى أصبح "علامة في علم الكلام مطلعا على أقوال أهله ومتبحراً في ذلك متقنا غاية الإتقان"[٢] كما قرأ أيضا كتب الفلاسفة وخاصة فلسفة أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) وافلوطين (٢٠٥-٢٧٠ ق) ، ولعله قرأ لأفلاطون . (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) كما عرف مذاهب الهنود وأقوالهم في وحدة الوجود والتناسخ*[٣].

وعلى هذا يمكننا أن نتبين لماذا أصبح مفكرنا اكثر تعصبا لمذهبه ، فبينما نجد أن أئمة الزيدية الأوائل – في اليمن– اكثر انفتاحا على المذاهب الأخرى كالمعتزلة وأهل السنة ، نجد أن مفكرنا اكثر تعصبا وانغلاقا وتقوقعا داخل مذهبه ، ذلك أن كلمات الكتب ينقصها المرونة والحيوية التي يمكن أن يضفيها عليها عناصر الخبرة والتجربة والتي يمكن أن تخفف من غلواء هذا التعصب. أضف الى ذلك أن مفكرنا كان إمام علم وفكر لا إمام جهاد وحرب[٤].

---

(١) الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية لوحة ١١٤ يمين.

(٢) المرجع السابق.

* شاعت عقيدة التناسخ بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة كالبوذيين والمصريين والإغريق والرومان واليهود ، انظر
(Encyclopaedia of Religion and Ethics, by Hastings Vol. 2, 1922, pp. 425/440.)

(٣) انظر : الإمام حميدان: تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين ، لوحة ٢٦.

(٤) كانت فرق الزيدية تحمل على الأئمة القاعدين فلا تعد إماما من اغلق بابه وأرخى ستره لا ينكر ما يقع خارج داره ، أي أنهم كانوا يشترطون في الإمامة الخروج ، لكن مفكري الزيدية اللاحقين اضطروا الى التمييز بين نوعين من الأئمة ، أئمة دعوة وجهاد . وأئمة علم وهدى ، دفعهم الى ذلك عدم خروج بعض أكابر أفاضلهم كعلي زين العابدين وجعفر الصادق وغيرهم [انظر د. احمد صبحي الزيدية : ص ٣٧٦، ص ٥٢٨]

٨- البيئة العامة :

عاش الإمام حميدان بن يحيى بن حميدان – كما سبق – في أواخر القرن السادس وحتى منتصف القرن السابع الهجري وهذه الفترة كانت مضطربة سياسيا ودينيا وثقافيا.

أولا : الأحوال السياسية :

لقد عانت الدولة الإسلامية في تلك الفترة من خطرين عظيمين : أحدهما داخلي والآخر خارجي.

أ- الأحوال الداخلية :

تعرضت الدولة الإسلامية – داخليا – للانقسامات التي أحدثتها الصراعات السياسية والتي بلغت ذروتها في تلك الفترة حيث تقاسمت دولة الخلافة الإسلامية الدول الآتية :

١- دولة السلاجقة[١] (٤٠٢ هـ – ٦٥٦هـ/١٠٢٨-١٢٥٨م) : دافعت هذه الدولة عن الخلافة العباسية وعملت على امتداد عمرها ، ولكنها في هذه الفترة تفككت وانقسمت وظل كل قسم ينشطر إلى عدة دويلات وإمارات ربما زادت على العشرين[٢].

---

(١) السلاجقة قبيلة من قبائل الغزو التركية رأسها زعيم اسمه سلجوق وقبيلته من براري القرغيز في التركستان، واستقر به الترحال في بخارى ، حيث اعتنق الإسلام على المذهب السني ، وانتشر الإسلام بين السلاجقة الذين لم يلبثوا أن اخذوا على أنفسهم الانتصار للسنة دون التشيع فاخذ سلجوق يغير على الدول الشيعية القائمة في فارس مثل الدولة السمانيه ، ثم اعد سلحوق أبنائه وأحفاده للغزو والفتح ، واستطاع "تغرل" أحد أحفاده أن يستولي سنة ١٠٣٧ م على إقليم خرسان ، في الشمال الشرقي من فارس . واستمر تغرل في تقدمه في بلاد فارس والعراق حتى تصدع بيت بني بويه في شيراز وبغداد (د. إبراهيم احمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامي ، جـ١ ، د.ت، ص ٢٨٤).

(٢) د. احمد لسعيد سليمان : "تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، من ص ٣٤٣ ، ص ٣٨٥.

٢- الدولة الخوارزمية:[١] دخلت هذه الدولة في صراع مع جيرالها من الدول الأخرى فتمكنت من القضاء على دولة السلاجقة في العراق عام ٥٩٠ هـ. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل دخلت في صراع مع الخليفة العباسي نفسه فكانت الري[٢] منطقة التراع بينهما[٣].

٣- الدولة الغورية[٤] في الهند : دخلت هذه الدولة في صراع مع الدولة الخوارزمية انتهى بها إلى الزوال بعد أن ملكت الهند ووصلت الى البنغال[٥].

٤،٥- الدولة الأيوبية والدولة الزنكية : ظهرت الأولى في مصر والثانية في أسيا الوسطى الصغرى ، ودخلتا في صراع على منطقة الشام انتهى بتوحيدهما تحت راية صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ) الذي هدف من توحيد البلاد قتال الصليبيين[٦].

الأحوال السياسية في اليمن[٧] :

لم تكن اليمن بمنأى عن هذه الأحداث وإنما كانت صورة مصغرة من دولة الخلافة الإسلامية حيث دار الصراع فيها بين عدة دويلات أهمها :

١- الدولة الأيوبية : أرسل صلاح الدين الأيوبي أخاه شمس الدين توران شاه (ت ٥٧١ هـ) على رأس فرقة فاستطاع أن يملكها وان ينهى حكم آل مهدى في زبيد[١] وآل

---

(١) أسس هذه الدولة أتسذ بن قطب الدين عام ٥١٢ هـ (محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية ، ط أولى ، جـ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دمشق ، عام ١٩٨٥ ، ص ٢٦٤).

(٢) الري : اسمها القديم "راغد" ومنه اشتق الاسم العربي ، فتحها نعيم بن مقرن فى خلافة عمر بن الخطاب ... وهى الآن أطلال على مسافة خمسة كيلومترات من طهران تعرف باسم مشهد عبد العظيم (الحموي ، معجم البلدان ، حـ ٤ ، ص ٣٥٥).

(٣) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية ، حـ٢ ، ص ٣١٦.

(٤) الغوريون قوم جبليون يقيمون بين غزنة وهراه ، وبلادهم جبلية موحشة وقد برز منهم قطب الدين محمد الغوري (المرجع السابق ، ص ٢٨١).

(٥) المرجع السابق ، ص ٣١٨.

(٦) المرجع السابق ، ص ٣١٩.

(٧) اليمن : بالتحريك ، حدودها بين عمان الى نجران ، ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان فينقطع من بينونة ، وبينونة بين عمان والبحرين ، وليست بينونة من اليمن (الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ١٣).

حاتم في صنعاء وآل ذريع في عدن[٢].. ثم خلفه أخوه السلطان العزيز طغتكين سيف الإسلام (ت ٥٨٣ هـ) فاتسع نفوذه الى حضرموت[٣]. وفى أيام ابنه إسماعيل الملقب بالمعز (قتل عام ٥٩٨هـ) ظهر المنصور بالله عبد الله بن حمزة الرسي[٤] بظفار[٥] واشتبك مع المعز في عدة معارك[٦].

٢،٣- دولتا بنى رسول وبنى الرسي : استمرت غلبة الأيوبيون حتى عام ٦٢٦ حيث تمكن عمر ابن على بن رسول[٧] (ت ٦٤٧ هـ) -الذي كان واليا للأيوبيين على اليمن- من الاستقلال وإقامة دولة بنى رسول[٨]. وقد دخلت هذه الدولة في صراع طويل مع إمام بنى الرسي الإمام المهدى لدين الله احمد بن الحسين المكنى بأبي طير (٦١٢-٦٥٦هـ) فكانت لها معه معارك عديدة كوقعة بيت نعامة من حضور

---

(١) زبيد : بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناه من تحت ... هي مدينة مشهورة باليمن أحدثت أيام المأمون ، بازائها ساحل غلافقه وساحل المندب ، وهو علم مرتجل لهذا الموضع ، ينسب إليها جمع كثير من العلماء (المرجع السابق ، مجلد ٣ ، ص ١٣١).

(٢) عدن : بالتحريك وآخره نون .. وهى مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليم ... قال الطبري سميت عدن وأبين ... وبين عدن وصنعاء ثمانية وستون فرسخا (المرجع السابق مجلد ٤ ص ٨٩).

(٣) حضرموت : بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء والميم : اسمان مركبان ، طولها إحدى وسبعون درجة ، وعرضها اثنتا عشرة درجة ... وحضرموت ناحية واسعة في شرق عدن بقرب البحر ، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ... وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخاً (المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ٢٧٠).

(٤) هو عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة [٥٦١-٦١٤هـ ، ١١٦٦-١٢١٧هـ] أحد أئمة الزيدية في اليمن ومن علمائها وشعرائها بويع له سنه ٥٩٣هـ واستولى على صنعاء وذمار كانت وفاته في كوكبان ، ونقل الى ظفار [الزركلى : الأعلام ، مجلد ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٠ ، ص ٨٣].

(٥) ظفار : مدينة باليمن في موضعين أحدهما قرب صنعاء وهى التي ينسب إليها الجزع الظفارى ، وبها كان يسكن ملوك حمير .... فأما ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند بينها وبين مرباط خمسة فراسخ. [الحموي : معجم البلدان ، مجلد ٤ ، ص ٦٠].

(٦) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية ، جـ٢ ، ص ٣٢٠.

(٧) بنو رسول جماعة من التركمان جاءوا الى اليمن مع الأيوبيين.

(٨) المرجع السابق ، ص ٣٢١.

سنة ٦٤٧هـ ، وبعد قتل السلطان الرسولي (عمر بن على) الملقب بنور الدين من قبل مماليكه في السنة المذكورة توسع الإمام في الاستيلاء على بعض المدن ودخل جنده مدينة صعدة ، ثم انتقل الى صنعاء وأخرب ما بها من مآثر بنى رسول[١].

ولم يكن مفكرنا الإمام حميدان بمعزل عن هذه الأحداث ، ذلك أن مذهبه – الذي دافع فيه عن الإمامة الزيدية دفاعا مجيدا – يأبى على عليه إلا أن يشارك في تلك الأحداث ويقف بجانب أمام عصره المهدى لدين الله ، فكان مفكرنا على صلة وثيقة به يؤكد هذا أن الإمام المهدى لدين الله قد نقل بخط يده نسخة من مجموع الإمام حميدان وأثنى على مذهبه ووصفه بأنه مذهب الأئمة[٢].

ب- *الأحوال الخارجية :*

تعرضت الخلافة الإسلامية في تلك الفترة لفتنة كبيرة هي :

الحروب الصليبية : بدأت الحروب الصليبية عام ٤٨٩هـ مستغلة تفكك العالم الإسلامي وضعف قواه الضاربة وخاصة دولة السلاجقة فالدولة السلجوقية الكبرى في ذلك الوقت كانت عبارة عن دويلات متناثرة لا رابطة بينها سوى الحروب المستمرة ! .... أما الخلافة العباسية في بغداد[٣] فلم يكن لها حول ولا قوة ... وكذلك لم يكن في استطاعة الخلافة الفاطمية ، وهى صاحبة بيت المقدس وغيره من المدن بجنوب الشام ، أن تقوم بعمل كبير ضد الصليبيين ، إذ عاش الخليفة الفاطمي بالقاهرة مسلوب السلطان ،

---

(١) عبد الله محمد الحبشي : مصادر الفكر العربي باليمن ، ص ٥٤٨.

(٢) انظر في ذلك :

- مقدمة كتاب التصريح في المذهب الصحيح للإمام حميدان ضمن مجموعه المصور على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ بالهيئة العامة للكتاب لوحة ٤٩ شمال.
- الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية لوحة ١١٤ شمال.

(٣) بغداد : أم الدنيا وسيدة البلاد ، قال احمد بن حنبل : بغداد من الصراه الى باب وهو مشهد موسى الكاظم .. ثم زيد فيها حتى بلغت كلوا ذي والمخرم وقطربل (الحموي : معجم البلدان ، المجلد الأول ، ص ٤٥٧).

بسبب تنازع المصالح والأطماع بين الوزراء الفاطميين ، ومن الواضح أن هذه العوامل سهلت على الصليبين هزيمة المسلمين ، كما سهلت عليهم تأسيس ...إمارات صليبية[١] في الرها[٢]، وإنطاكية[٣]، وبيت المقدس ، وطرابلس الشام[٤]. واستمرت هذه الفتنة ما يقرب من قرنين من الزمان حتى رفعها الله سبحانه عام (٦٥٦هـ-١٢٩١م).

ثانياً : الأحوال الدينية :

إن العلاقة بين الحالة السياسية والحالة الدينية علاقة وثيقة ، ذلك أن المرء في كثير من الأحيان لا يستطيع التمييز بين الصراعات السياسية والصراعات الدينية فالصراع السياسي كان ذا طابع ديني ، والصراع الديني كان ذا طابع سياسي يؤكد هذا أن دولة السلاجقة ذات الاتجاه السني أخذت على عاتقها الانتصار للسنة دون التشيع[٥]. والدولة الأيوبية السنية قامت على أنقاض الدولة الفاطمية الشيعية كما دخلت في صراع مع أئمة بنى الرسي في اليمن[٦].

وكما تركت هذه الفرق آثاراً واضحة في الواقع السياسي ، فقد تركت أثارها أيضا - وبنفس القوة - في فكر مفكرنا الإمام حميدان ، وحتى يتضح هذا الاتر يحسن بنا نعرض - وفى عجالة- لأهم هذه الفرق لنرى كيف أثرت هذه الفرق في فكر مفكرنا إن إيجابا أو سلبا.

---

(١) د. إبراهيم أحمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامي ، جـ١ ، ص٣٠٤.

(٢) الرّها : بضم أوله ، والمد والقصر ، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ (الحموي : معجم البلدان ، مجلد٣ ، ص ١٠٦).

(٣) إنطاكية : بالفتح ثم السكون والياء مخففة ... قال بطليموس : مدينة إنطاكية طولها تسع وستون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة تحت اثني عشر درجة من السرطان وثلاثين دقيقة. يقابلها مثلها من الجدي ... قصبة العواصم من الثغور الشامية (المرجع السابق ، مجلد١ ، ص ٢٦٦).

(٤) طرابلس الشام : في الإقليم الرابع ، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وعرضها أربع وثلاثون درجة. (المرجع السابق مجلد٤ ، ص ٢٦).

(٥) د. إبراهيم احمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامي ، جـ١ ، ص ٢٨٤.

(٦) محمود شاكر : التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية ، جـ٢ ، ص ٣٢١.

١- أهل السنة والجماعة[١]: إن مذاهب أهل السنة من اقدم المذاهب الـتي عرفـها اليمن ، فقد كان أهل اليمن يتمذهبون في الفروع بمذهب الشافعي (ت ٢٠٤هــــ) وفى العقيدة بمذهب احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هــ) ... ثم ظهر مذهب الأشعرية منذ القـــرن السادس[٢]. ويعتبر الأشاعرة خصما لدودا لمفكرنا هاجمهم هجوما عنيفا فاقمهم بـالغلو في أفكارهم[٣] والخروج عن حد العقل[٤] ومع ذلك سنرى أثرا واضحا للأشعرية في مذهبه في الوجود[٥].

٢- الشيعة :[٦] الشيعة خمس فرق : كيسانية ، وزيديه ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيليـة. وبعضهم يميل في الأصول الى الاعتزال ، وبعضهم الى السنة وبعضهم الى التشبيه[٧]. ولقـد عرف اليمن مذهب الشيعة الغلاة من الباطنية تحت زعامة على بن الفضـــل[٨] وخلفائــه

---

(١) أهل السنة : هم اتباع أبي الحسن الأشعري – الذي أعلن انه يسير على نهج احمد بن حنبـــل – وأبي منصور الماتريدي ، وقد ساروا على طريقة السلف في فهم العقائد ، وجعلوا القرآن الكـــريم هــو المصدر الذي يأخذون منه عقائدهم ، وما أشتبه عليهم من آياته حاولوا فهمها بما توجبه أســـاليب اللغة ولا تنكره العقول ... فان تعذر عليهم ذلك وقفوا وفوضوا. (أبو زيد شلبي : تاريخ الحضـارة والفكر الإسلامي ، ط الثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، عام ١٩٦٤، ص ٣٣٦).

(٢) عبد الله الحبشي : مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٩٣.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٥ يمين.

(٤) المرجع السابق لوحة ٢٣ شمال.

(٥) انظر ص ١٦٨ من هذا البحث.

(٦) الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية : أمـا جليا وأما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيـة من عنده (الشهرستاى : الملل والنحل ، تقديم وإعداد عبد اللطيف محمد العبد ، ط١ ، مكتبة الأنجلـو المصرية ، سنة ١٩٧٧، ص ٤٩).

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٩.

(٨) على بن الفضل : رجل من خنفر بن سبأ بن صيفر بن زرعة ، وهو حمير بن سبأ الأصغر ، حـج وزار قبر الحسين بن على ، فوجد عنده ميمون القداح وكان مجوسيا ادعى انه من ولد إسماعيل بن جعفـر وانه أحد الأئمة المستورين ... فتيطن أمر على بن الفضل ، فوجده رجلا سهما ذا فهم ودراية ، وبه الى مذهبه اقتراب، فاستماله فمال ... ثم استدعى له رجلاً أخر يسمى منصور بن جيوشب ، بـلجيم ، بن باذان . قيل من ولد عقيل بن أبي طالب وكان ذا دهاء ومكر، وأمرهما أن يخرجا الى اليمـــن. (الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث اليمـن ، طــ الثانية ، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١٥٩).

وذلك في القرن الثالث ولحقه في نفس الوقت قدوم الإمام يحيى بن الحسين[١] وتأسيس مذهب الزيدية الذي ينتمي إليه مفكرنا – في اليمن[٢]. ولقد اتسمت العلاقة بين الزيدية والإسماعيلية أو ما عرف في اليمن باسم الباطنية أو القرامطة بالصراع الدائم[٣]. لهذا نجد مفكرنا يهاجم هذه الفرقة متهما إياها بالجمع بين الفلسفة والإسلام[٤] ، ولذلك يخرجها من جملة المتشيعين الحقيقيين لأنها بذلك قد جمعت بين اسم التشيع ومعنى الرفض[٥]. وهذا ما ينطبق أيضا على الشيعة الإمامية فالفرقتان جمعا بين اسم التشيع ومعنى الرفض ، وحرفا نصوص الكتاب المحكم بالتأويلات الباطلة وتعلقا بكثير من مشكل الكتاب وفرقا بين العترة وخالفا بين الأئمة ولذلك كانت عداوتهما للمسترشدين فوق كل عداوة[٦]. وشاركهم في هذه العداوة المطرفية[٧]، وللإمام حميدان رسالة تعريف التطريف التي يبطل فيها مذهبهم ويبين كفرهم[١].

---

(١) هو يحيى بن الحسين بن القسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب، لقب بالهادي إلى الحق، ونسب إلى الرسي وتوفى عام ٢٩٨هـ
– جمال الدين على بن محمد العدوى : سيرة الهادي، مخطوط مصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم١٢٤ لوحة ٢٩٩ يمين.
– يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القسم الأول، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ط رابعة، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٦٩م، ص١٦٦.
– عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، جـ١٣، مطبعة الترقي، دمشق ١٩٦١، ص١٩١.
– كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين، جـ٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٤، ص٣٢٧.

(٢)عبد الله الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن ، ص ٩٣.

(٣) د. حسين مؤنس : قاموس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص ٢٠٦.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ١٨ يمين.

(٥) المرجع السابق لوحة ٤٨ يمين.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المطرفية : فرقة من فرق الزيدية – باليمن – تنسب الى رجل يسمى مطرف بن شهاب ، وقد اختلفت هذه الفرقة عن الفرقة الأم التي يمثلها أئمة الزيدية الكبار – كالقاسم الرسى والأمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين وغيرهم في عدة أمور منها قولهم : إن الله سمى كائنا وانه مشارك للأجسام في هذه التسمية ، وقولهم إن العرض ليس بحال ولا محلول ، غير أن أهم ما استفذ مفكرنا ضدهم هو قولهم "بالإحالة" التي تعنى أن الله خلق أصول العالم بالقصد لكونها مخلوقة لا من شئ ثم أحال خلق

٣- **القدرية**[٢]: ترك هذا المذهب أثرا كبيرا فيما تلاه من حركــات فكريــة وخاصــة المعتزلة ، وذلك أن واصل بن عطاء شيخ المعتزلة (ت ١٣١ هـ) حيثما قال بالقدر إنمــا سلك في ذلك سلك معبد الجهني •قتل بعد عــام ٨٠هـــ) وغيــلان الدمشــقي (ت ١٠٥هـ)[٣]. ويظهر أثر هذا المذهب بوضوح في الفكر الزيدي بصفة عامــة وفى فكــر مفكرنا الإمام حميدان بصفة خاصة ، وسيتضح ذلك الأثر عند عرض مذهبــه في الفعــل الإنساني.

٤- **المجبرة**[٤]: يقف الإمام حميدان من المجبرة – كأسلافه من أئمة الزيدية – موقــف عداء ، فيرفض كل ما يمس حرية الإنسان ، ويثبت له إرادة حرة ، وينسب إليه أفعاله على الحقيقة –كما سنوضح عند عرض مذهبه فى الفعل الإنساني – ويرى أن ضلاله المجبرة هذه إنما جاءت نتيجة إتباعهم لمتشابه الكتاب لأجل ما في قلوبهم من الزيغ[٥].

٥- **المعتزلة**[٦]: إن العلاقة بين الزيدية والمعتزلة علاقة وثيقة لا يمكن إنكارها فــالإمام زيد بن على (٨٠-١٢٢هـ) ابن الحسن الذي تنسب إليه فرقة الزيدية من الشيعة أحــد

الفروع –التي لم يقصدها الله– الى هذه الأصول. (الإمام حميدان: تعريف التطريف لوحة ١٥٠ يمين ، المنتزع الثاني من أقوال الأئمة لوحة ١٣١ شمال).

(١) الإمام حميدان: تعريف التطريف لوحة ١٥٠ ، وانظر أيضا الواسعي ، تاريخ اليمن ، ص ١٦٢.

(٢) القدرية هم أصحاب مذهب الإرادة الحرة في الإسلام [الشهرستاني : الملل والنحــل ص ٥١ ، د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، جــ١، ط٨، دار المعــارف ، د.ت ، ص ٣١٤].

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ٥١.

(٤) الجبر : هو نفى الفعل حقيقة عن العبد : وإضافته الى الرب تعالى : والجبريــة أصنــاف : فالجبريــة الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا : والجبرية المتوسطة هي التي تثبــت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا (الشهرستاني : الملل والنحل ص ٨٦).

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، ص ٢٥ شمال.

(٦) المعتزلة : هم أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد اللذان اعتزلا حلقــة الحســن ، واســتقلا بأنفسهما .. واعتزالهم يدور على أربع قواعد. القاعدة الأولى : القول بنفي صفات الباري تعــالى ،

تلاميذ واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) المشهورين وانه قرأ عليه واقتبس منه علم الاعتزال وصار هو وأصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد[١]. وهذا ما يؤكده القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ). حيث يعتبر زيدا معتزليا من الطبقة الثالثة[٢].

ولقد استمرت هذه الصلة على مستوى الفكر والأشخاص ، أما على مستوى الفكر فقد تبنت الزيدية أصولا أربع من الأصول الخمس للمعتزلة ، واستبدلت بالمتزلة بين المنزلتين مبحث الإمامة الذي اصبح امتدادا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]. وأما الصلة الوثيقة على مستوى الرجال ، فان أئمة الزيدية البارزين كانوا على صلة وثيقة بمن عاصرهم من المعتزلة ، ولقد ذكرنا صلة زيد بواصل ، كذلك كان الهادي الى الحق والناصر الاطروش (٢٣٠-٣٠٤هـ) على علاقة طيبة بأبي القاسم البلخي (ت ٣١٩ هـ)[٤]. هذه الأسباب لعبت الزيدية دورا كبيرا في الاحتفاظ بتراث المعتزلة[٥].

لكن الإمام حميدان جاء ليرفض كون هذه الصلة قد تركت أثرا في علم أئمة الزيدية لان أئمة العترة يعلمون ولا يتعلمون لأنهم أصفياء الرحمن وورثة الكتاب[٦] فأنى لهم أن يأخذوا العلم من غيرهم ؟ وخاصة إذا كان هذا الغير هو المعتزلة التي سلكت طريقة الفلاسفة في الجدال فخالفوا أدلة الهدى بمغاليط الضلال[٧].

القاعدة الثانية : القول بالقدر : القاعدة الثالثة : القول بالمنزلة بين المنزلتين ، القاعدة الرابعة : قوله ف الفريقين بين أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن أحدهما مخطئ لا بعينه.

* القاضي عبد الجبار : المنية والأمل جمع احمد بن يحيى المرتضى ، تحقيق د. عصام الدين محمد علي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٧ * الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ٥٠-٥٣

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج١، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٦٦.

(٢) القاضي عبد الجبار : المنية والأمل ، ص ٢٥.

(٣) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية ، ص ٢٢٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٤.

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٢١.

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٤٨، ٨٣ شمال.

(٧) المرجع السابق ، لوحة ٥٠ يمين.

ولقد دفع الإمام حميدان الى هذا الموقف من المعتزل عدة أسباب أهمها :

١- مشايعة الزيدية للمعتزلة في الأصول الخمسة ، وعدم مشايعة المعتزلة للزيدية في الإمامة. بل إن بعض المعتزلة قد اخذوا على أنفسهم هدم الأصول التي احتج بها الزيدية لتأكيد نظريتهم في الإمامة[١].

٢- ظهور تيار مشايع للمعتزلة انصرف عن التمسك بعلوم الأئمة[٢] بحجة أن الأئمة قد انصرفوا عن دقائق النظر في أصول الدين قانعين بمجملها مشتغلين بالجهاد[٣].

من أجل هذا يشن الإمام حميدان حربا شعواء على المعتزلة وادعائهم فيما اخترصوه من مذهبهم ، وما امتدحوا به لقبهم وتسميتهم لبدعهم باسم العدل والتوحيد[٤] متهما إياهم بالخروج عن حد العقل[٥]ومبينا خطأ كل من زعم أن المعتزلة توافق الأئمة في شئ ذلك لأنه ليس ثم شيء يذهب إليه الأئمة إلا ومن أقوال المعتزلة ما يخالفه*[٦] فالزيدية والمعتزلة مذهبان متضادان[٧] . والحق مع الزيدية فكيف تحتاج الى من علمه يختلط فيه الحق بالباطل[٨].

وهكذا يضع الإمام حميدان الزيدية والمعتزلة على مفترق الطرق بعد أن كان طريقهم واحد – وخاصة العقائدي – بل إننا سنصيب الحق إذا قلنا إن فلسفة الإمام حميدان تنطوي على جانبين رئيسين أحدهما: هدم الفكر الاعتزالي في كل جوانبه . الثاني : إقامة مذهب الأئمة وخاصة في الإمامة على أنقاضه.

---

(١) انظر ص ١٠٣ من هذا البحث.
(٢) المرجع السابق ، لوحة ٥٠ يمين.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٠ يمين.
(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٣ شمال.
* سنرى فيما بعد أن الإمام حميدان يخالف الأئمة والمعتزلة على السواء في بعض الأمور وخاصة في مسألة الإرادة.
(٦) الإمام حميدان: المنتزع الثاني، لوحة ١٣٢ يمين.
(٧) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٠ شمال.
(٨) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٦ يمين.

هذه هي أهم الفرق التي عرفت في اليمن في تلك الفترة. ولقد اتسمت العلاقة بينها بالصراع الدائم والتنافس المستمر. فها هو القعيطى[١]من الأشعرية يهاجم الزيدية في كتابه : "الزهور الروية في الرد على الزيدية"[٢] والعمراني[٣] من أهل السنة يهاجم القدرية في كتابة : "جلاء الفكر في الرد على نفاة القدر"[٤] . وابن حزب[٥] الزيدي يهاجم المعتزلة ويكتب في ذلك رسالته المسماة "الرسالة المزلزلة لقواعد المعتزلة"[٦] والأمير الحسين بن بدر (٥٨٢-٦٦٢هـ) الزيدي يهاجم المجبرة في كتابه : "غرة الأفكار في حرب البغاة والكفار"[٧] وكذلك العنسى[٨]الزيدي يهاجم المجبرة وسائر الفرق في كتابه "المحاجة البيضاء"[٩] وابن العفيف[١٠] الزيدي يهاجم المعتزلة والأشعرية معا في كتابة "بيان الأوامر المجملة في وجوب طاعة أولى الأمر وفرض المسائلة في الرد على الأشعرية والمعتزلة في إمامة أمير المؤمنين على"[١١]. والأنف[١] الباطني يهاجم أبي حامد الغزالي في كتابه: "دافع الباطل

---

(١) هو على بن الحسن بن محمد القعيطى المزحجى من الاقعوط ، كان عالما صالحا ، قرأ كتب الغزالي واخذ من الفقيه موسى التابعي ، واعتزل الناس مدة ثم مال الى التعليم والإفادة ، توفى سنة ٦٥٧ هـ، (عبد الله الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن ، ص ١٠٨).

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٩.

(٣) العمراني : أبو الطيب طاهر بن أبي الخير العمراني ولد سنة ٥١٨ وتلقى العلم على والده العلامة الشهير ثم هاجر الى مكة ... فأقام بمكة سبع سنين ثم عاد الى وطنه سنة ٥٦٦ وولى قضاء جبلة ومد ولاها سنة ٥٧٦ .. توفى سنة ٥٨٧ (المرجع السابق ، ص ٩٩).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ابن حزب : هو منصور بن جبر بن منصور بن مسعود بن محمد بن حزب وبه انتفع غالب أهل جهته ، ووفاته ٦٥٧ (المرجع السابق ، ص ١٠٩).

(٦) المرجع السابق.

(٧) رتب هذا الكتاب على أربعة فصول : الأول : في أن المجبرة كفار ، الثاني : في حقيقة دار الحرب، الثالث: في أن دار الجبر دار حرب ، الرابع : في جملة من أحكام دار الحرب (المرجع السابق ، ص ١٠٩-١١٠).

(٨) العنسى : هو عبد الله بن زيد بن احمد ابن أبى الخير العنسى ، إدراك الإمام احمد بن الحسين وناصره كان الإمام يسميه الداعي ، وأنقذه الى صعده بعد أن كتب الى عماله أن يأتمروا بقوله وبعد مقتل الإمام سنة ٦٥٦ هـ خرج الى خولان واستقر بها مدة .. توفى سنة ٦٦٧ (المرجع السابق، ص ١١٠).

(٩) المرجع السابق.

(١٠) ابن العفيف : هو المرتضى بن مفضل بن منصور ، كان مجتهدا عالما.. وكان معظما عند أهل عصره توفى سنة ٧٣٢ (المرجع السابق ، ص ١١٣).

(١١) المرجع السابق.

وحتف المناضل في الرد على أبي حامد الغزالي في كتابه فضايح الباطنية"[٢]. والأنف[٣] – الابن – يهاجم المعتزلة في كتابه:"ماحية الزور ودامغة الكفور"[٤].

هذه هي الفرق التي كانت تتصارع اليمن في تلك الفترة ، وهذه طبيعة الجدل الذي كان يحكم العلاقة بين هذه الفرق ، ولم يكن مفكرنا الإمام حميدان بمعزل عن هذه الحركة الجدلية – كما أسلفنا – بل خاض غمارها وأدلى بدلوه ، فدافع عن مذهبه وناقش أفكار الفرق وحللها وهاجمها من منطلق الموضوعية أحيانا وأحيانا أخرى من منطلق التعصب لمذهبه.

وانتهى الإمام حميدان من هذا الحوار الى عدم جواز الاتباع لجميع فرق المختلفين في علوم الدين لما في ذلك من لبس الحق بالباطل والجمع بين الأقوال المتناقضة والاعتقادات المتداخلة[٥] بل عليه أن يبحث بين هذه الفرق عن الفرقة التي تمتلك الحق والتي لا يسع المرء إلا أن يتبعها ، وقد ثبت بأدلة الكتاب والسنة أن العترة ومن شايعهم هم الفرقة الناجية[٦]. كما ثبت بطلان مذاهب المخالفين من الخوارج والمعتزلة والإمامية ، ومن أنضاف إليهم من شذاذ الأمة والمنتسبين إليها من الناصبين للإسلام المكايدة بالدخول فيه إيهاما من غير حقيقة[٧].

---

(١) الأنف : هو على بن محمد بن الوليد العبشمى ، ولد سنة ٥٠٥ ، تولى الدعوة الإسماعيلية بعد وفاة على بن حاتم الحامدى ، ولم يزل قائما بأمر الدعوة فاتسعت به أمورها وتحسنت أحوالها واجتمع على تأييده بعض سلاطين همدان .. وكان من انشط الدعاة يذب عن حمى الدعوة ويكافح عنها بقلمه ولسانه إذ كان الكفاح مريرا بعد سقوط الدولة الصليحية ولم تجد الدعوة الإسماعيلية نصيرا لها قوى ، توفى سنة ٦١٢ (المرجع السابق ، ص ١٠٢).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأنف : الداعي الحسين بن على بن محمد الوليد الأنف المتوفى سنة ٦٦٧ من علماء الباطنية (المرجع السابق ، ص ١١١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ١٦ يمين.

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح . لوحة ٧٢ يمين.

(٧) الإمام حميدان : كفاية الأقوال العاصمة من الأعتزال، مصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب، ميكروفيلم رقم ٤٧٦٣٨، لوحة ٧.

ثالثا : الأحوال الثقافيـــــــــة :

لقد كان هذا العصر – كما أسلفنا – عصر تمزق سياسي ، وصـــــراع مذهـــبي ، ورغم ذلك فقد كان عصر نشاط علمي وازدهار ثقافي ، فقد ازدهرت العلوم الإسلامية في هذا العصر بشكل يدعوا الى الإعجاب[١] ، وذلك لأنه عندما ضعف أمر الخلافة في بغــداد انتقل مركز الثقل الى المماليك المستقلة وشبه المستقلة التي انقسم إليها العالم الإســـــلامي ، قامت اسر حاكمة تنافس بعضها بعضا في حماية العالم الإسلامي ، وغدت القصور الجديــدة في العواصم المتعددة مراكز خصبة ، وكانت تلك القصور وما فيها من مجـــالس فى ذلــك العهد في مقام الجامعات والجمعيات العلمية اليوم[٢].

ولم تكن اليمن بمعزل عن هذه الحركة الثقافية ، فاليمن منذ فجر الدعوة الإســـلامية مركزا للنشاط الثقافي والعلمي[٣]. حيث كانت منطقة الجند[٤] وصنعاء وزبيد مــــن أهــــم المناطق التي يقصدها طلاب العلم، ولقد قدم الى اليمن لطلب العلم الكثير ممن اصبحــــــوا علماء مشهورين ، كالإمام الشافعي (ت ٢٠٤هــ) والإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هــ)

---

(١) د. فوقية حسين محمود : " الجويني إمام الحرمين" أعلام العرب ، رقم ٤٠ ، المؤسسة المصرية العامـــة للتأليف والترجمة ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٤٧.

(٢) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دار المعــــارف بمصـــر ، ســـنة ١٩٨٠ ، ص ٥٢.

(٣) د. سعيد مراد : "ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية" ، ص ٧٨.

(٤) الجنـــــد : بالضم ثم السكون ، واحد الأجناد ... والجند جبل باليمن (الحموي : معجم البلدان ، مجلد٢ ، ص ١٧٠).

والإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) ويحي بن معين[١] ليأخذوا من الحفاظ في اليمن من أمثال عبد الرزاق الصنعاني[٢].

ثم نشطت الحركة العلمية في اليمن في تلك الفترة بسبب توزعها بين إمارات كانت تتنافس فيما بينها علميا وأدبيا مما جعل كل منها يحاول جذب لعلماء الى دائرتها ومحيطها وكان كثير من الأمراء أنفسهم علماء[٣] فقد كان جياش (ت ٤٩٨ هـ/١٠٠٤م) من آل نجاح أمراء زبيد مؤرخا وصنف المفيد في أخبار زبيد واختصره عمارة اليمن (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) ونشر مختصره. وقد عرف (بنو زريع) أمراء عدن بإكرام العلماء والشعراء ، وإسباغ العطايا والجوائز عليه ، وبالمثل حين تسلم الرسوليون زمام الأمور اخذوا ينهضون بالحركة العلمية نهضة واسعة فقد بنى مؤسس دولتهم نور الدين عمر بن على الرسولى (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) إذ بنى في تعز[٤] عاصمته الصيفية مدرستين وفى عدن مدرسة وفى زبيد ثلاث مدارس : مدرسة للشافعية ، ومدرسة للحنفية ، ومدرسة للحديث النبوي[٥]. وكما عرفت اليمن بالعلوم الإسلامية فقد عرفت أيضا بعلوم الفلك والطب والحساب والأنساب الى غير ذلك من علوم الأوائل[٦].

---

(١) يحيى بن معين : هو يحيى بن معين بن عون بن زياد المرى بالولاء ، البغدادي أبو زكريا من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله ، نعته الذهبي بسيد الحفاظ ، وقال العسقلاني إمام الجرح والتعديل وقال ابن حنبل : أعلمنا بالرجال (الزركلي : الأعلام ، مجلد ٨ ، ص ١٧٢-١٧٣).

(٢) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (١٢٦-٢١١هـ = ٧٤٤-٨٢٧هـ) مولاهم أبو بكر الصنعاني ، من حفاظ الحديث الثقاة ، من أهل صنعاء ، كان يحفظ نحوا من سبعة عشر ألف حديث (المرجع السابق ، مجلد٣ ، ص ٣٥٣).

(٣) د. سعيد مراد : ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية ، ص ٧٩.

(٤) تعز : بالفتح ثم السكون ، والزاى مشددة : قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات (الحموي : معجم البلدان ، مجلد٢، ص ٣٤).

(٥) د. شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، ط٣، دار المعارف سنة ١٩٨٠، ص ٥٤.

(٦) د. سعيد مراد : ابن متوية وآراؤه الكلامية والفلسفية ، ص ٨٠.

٩- أطوار حياته :

يمكن تقسيم سيرة الإمام حميدان الى ثلاثة أطوار على النحو الآتي :

الطور الأول : طور النشأة.

الطور الثاني : طور تحصيل العلم.

الطور الثالث : طور الإنتاج العلمي.

الطور الأول : طور النشأة :

على الرغم من عدم توفر أية معلومات عن المرحلة الأولى من حياته إلا أن النظام التعليمي كان يقوم بداية معتمدا على الكتاب .. وهو المكان الذي كان يتعلم فيه الصبيان مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم وبعضها كان يعلم فيه اللغة وما إليها[١]. فإذا ما تعلم الصبي الكتابة والحساب وحفظ القرآن وعرف بعضا من علوم اللغة في الكتاب انتقل الى مرحلة تعليمية أخرى حيث تتسع دائرة التعليم في المسجد حيث إن المساجد لم تكن للعبادة فحسب بل كانت أيضا دورا للعلم والعلماء. فكان مسجد عمرو بن العاص في مصر ثم الجامع الأزهر ومساجد البصرة[٢]والكوفة[٣] والحرم المكي والمدني وصنعاء وتعز وغيرها من المساجد تقوم بأداء هذه الرسالة العلمية[٤]. والى جانب ذلك كانت هناك المكتبات ومنازل العلماء وقصور الخلفاء . ولقد بينا فيما سبق أن اليمن كانت تحظى بحركة علمية نشيطة وذلك بسبب توزعها بين إمارات كانت تتنافس علميا مما جعل كلا منها

---

(١) د. احمد رمضان احمد : حضارة الدولة العباسية ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٣٥.

(٢) البصرة : طولها أربع وسبعون درجة وعرضها إحدى وثلاثون درجة وهى في الإقليم (الحموي : معجم البلدان مجلد١ ، ص ٤٣٠).

(٣) الكوفة : بالضم ، المصر المشهور بأرض بابل بسواد العراق ويسميها قوم "خد العزراء" ... وطول الكوفة تسع وستون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان. (المرجع السابق ، مجلد٤ ، ص ٤٩٠).

(٤) د. احمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ، ص ١٣٦.

تحاول جذب العلماء إلى دائرتها ومحيطها وتشجع حركات العلم والدرس فانتشرت حلقات المذاهب الفقهية الشافعية والحنفية والزبدية وحلقات الحديث النبوي، والنحو والصرف[١].

وفى علم الكلام بلغ الصراع اوجه – كما اتضح مما سبق – بين الزيدية والباطنية والأشعرية والمعتزلة ممثلة في تيار الشيعة المعتزلة الذي ذكرناه فيما سبق ولا ريب أن الإمام حميدان قد نهل من كل هذا وتفاعل معه وتأثر به إيجابا وسلبا.

الطور الثاني : طور تحصيل العلم :

لم تشر لنا المصادر – من قريب أو بعيد – عن أية أسفار ورحلات قام بها مفكرنا الإمام حميدان ، ونحن وان كنا نقطع بان عالما كبيرا من علماء الزيدية ومفكرا عظيما من مفكريها كالإمام حميدان لا يقنع بما تقدمه له بيئته من علوم ومعارف –كانت ما كانت هذه العلوم وتلك المعارف– ويعرف ما للأسفار من فوائد ، إلا أننا في الوقت نفسه نرجح أن هذه الأسفار كانت قليلة وذلك للأسباب الآتية :

١– إن الإمام حميدان كان مشغولا بتنقية معتقد الزيدية من الاعتزال ، ولم يكن هذا بالأمر الذي يتيح له فرصة للرحلات والأسفار الكثيرة وذلك في وقت كانت فيه الدعوة الى الاعتزال تزداد يوما بعد يوم بحجة أن الأئمة قد انصرفوا عن دقائق النظر في أصول الدين قانعين بمجملها مشتغلين بالجهاد[٢].

٢– قلة المرونة في فكر الإمام حميدان تجاه المذاهب الأخرى وخاصة المعتزلة والأشاعرة وهذا إن دل فإنما يدل على قلة الأسفار التي تكسب الرجال خبرة تجعلهم يتعاملون

---

(١) مكث الباحث في اليمن مدة ثلاثة أعوام عمل خلالها مدرسا بلواء تعز بمدينة الجند ، وخلال هذه الفترة زار الكثير من المعالم الدينية والتاريخية كالمسجد الكبير بصنعاء ومكتبته العظيمة ، كما زار زبيد ومسجدها الكبير ، وأيضا زار "جبلة" التي كانت عاصمة للدولة الصليحية الباطنية ، وتعرفت على طريقة الدراسة في مساجدها التي كانت أشبه بجامعة تكمل بعضها بعضا ، حيث كان كل مسجد من هذه المساجد يختص بدرس من الدروس كالفقه أو الحديث أو اللغة وفى وقت معين من أيام الأسبوع. ولقد شاهدت بنفسي مساكن الطلاب الذين كانوا يتوافدون من كل مكان الى هذه الجامعة.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٠ يمين.

مع الواقع بمرونة وانفتاح كتلك التي نجدها عند كبار أئمة اليمن كالإمام الهـادي الى الحق.

٣- دخول الدولة الزيدية – في ظل الإمام المهدى لدين الله احمد بن الحسين – في صـراع من اجل البقاء مع دولة بنى رسول ، وهذا كان يفرض على مفكرنا – الذي اخـذ على نفسه الانتصار لمذهب الأئمة – مساندة هذه الدولة والدفاع عنـها في تلـك الفترة الحرجة.

وفى تلك الفترة قرأ الإمام حميدان كتب الأئمة أصولها والفروع[١]. وعلى الرغـم من أن مفكرنا لا يؤمن بعلم وارد من غير علم الأئمة ، ويرى أن هذا العلم هـو سـبب الاختلاف[٢] ، وان الأئمة يعلمون ولا يتعلمون من غيرهم[٣]. إلا أنه لم يعش بمعزل عـن العالم المحيط به ، فالرجل نشأ في بيئة تتصارعها التيارات والمذاهب الكلامية وكـان لابـد لمفكرنا الذي أراد أن ينتصر للزيدية أن يتعرف على المذاهب الأخرى ويسـبر غورهـا ، وبالفعل فقد قرأ هذه المذاهب وتعرف عليها وغاص في أعماقها حتى اصبح علامة في علـم الكلام مطلعا على أقوال أهله ومتبحر في ذلك متقنا غاية الإتقان[٤]. كما قـرأ فلسـفة أفلوطين[٥] ، ولعله قرأ فلسفة أفلاطون ، وأيضا قرأ مذاهب الهنود[٦].

الطور الثالث : "طور الإنتاج العلمي".

قدم الإمام حميدان "مجموعه" الذي يعرف باسمه والذي وإن كان يبدوا متوسطا مـن حيث الحجم إلا أنه يمثل حلقة من حلقات الفكر الزيدي . وقد ترك هذا "المجموع" أثـره فيمن جاء بعد الإمام حميدان ، قال صاحب طبقات الزيدية:"ومجموع السيد حميدان مشهور

---

(١) الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية ، لوحة ١١٤ يمين.

(٢)الإمام حميدان: المنتزع الأول، لوحة ١١٢ شمال.

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٣ شمال.

(٤) الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية ، لوحة ١١٤ يمين.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٧ يمين.

(٦) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٧ يمين.

ينقل منه المتأخرون بعده في كتبهم ويعتمـــدوا عليـــه"[١] . وقال أيضا:"وقد جمع متن هذه المجموعات العلامة عبد الله بن زيد العنسي وحققه الإمام يحيى بن حمزة في كتابه "الشامل" وغيره ما يؤكد ما ذكره السيد حميدان وكذلك الشيخ صاعد بن احمد في كتابه الكامل وابن شبيب التهامي ، وكذلك الفقيه محمد ابن الحسن الديلمي وحكاه في قواعد عقائد آل محمد عن قدماء الأئمة واختاره وقرره وكذلك الشيخ محمد بن يحيى القـاسمي في شرحه لقصيدة الإمام الواثق[٢]. وسنعرض لهذا "المجموع" وما يتضمنه من كتب ورسائل في الفصل الثاني.

ولم يقف نشاط الإمام حميدان عند تأليف الكتب بل تخطاه الى عقد حلقات الـدرس يؤكد هذا القاضي أبو عبد الله محمد بن جعفر بن السبيل قال : "سمعت هذه المجموعـات للسيد حميدان التي جمعتها بعد أن نسختها من الكراريس التي بخطه[٣]. فلفظة "سمعت" تفيد أن الإمام حميدان كان يجلس في حلقات الدرس لشرح مذهبه ، وهذا أمر مفروغ منـه لان مفكرنا الذي أراد للمذهب الزيدي أن يتحرر من هيمنة الفكر الاعتزالي ، كان يؤمن بـان هذا الهدف لم يكن ليتحقق إلا بتكوين جيل يؤمن بما يؤمن به مفكرنا.

١٠- وفاتـــه :

توفى عام ٦٥٦هـ[٤] وقيل بعد ٦٥٠هـ[٥] ودفن في سودة شطب وقبره في جبـل بنى حجاج غربي القرية ، قرية الظهراوين أقرب إلى الشرف مشهور مزور[٦].

---

(١) الإمام صارم الدين طبقات الزيدية ، لوحه ١١٤ شمال.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) - عبد الله الحبشي . مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن . ص ١٠٨
- أحمد محمود صبحي الزيدية ، ص ٣٩٧
(٥) أحمد محمود صبحي الزيدية . ص ٥٩٢
(٦) الامام صارم الدين طبقات الزيدية . بوحه ١١٤ شمال

الفصل الثاني
آثـــــاره

أولاً : مصادر التعرف على مصنفاتـــــــه:

أ- المصادر القديمة.

ب- المصادر الحديثة.

جـ- الفهارس.

ثانياً : وصف المخطوطات.

أولا : مصادر التعرف على مصنفاته:

لقد ترك لنا الإمام حميدان قدراً لابأس به من المصنفات ، والتى أثرت إلى حد كبير مذهبه الفلسفى والكلامى ، ولقد تعرف الباحث على هذه الآثار من خلال عدة مصادر قديمة وحديثة هى كالاتى :

أ- المصادر القديمة :

١ - الإمام صارم الدين : "طبقات الزيدية"

وقد ذكر الإمام صارم الدين "مجموع الإمام حميدان"[١] غير انه لم يذكر المصنفات التى يشتمل عليه هذا المجموع.

ب- المصادر الحديثة :

أ- كارل بروكلمان : الأدبيات اليمنية فى المكتبات والمراكز الثقافية العالمية . ذكره بروكلمان فى كتابه المذكور فقال : "حميدان بن يحيى بن حميدان بن القاسم الزيدى، وهو معاصر للمهدى لدين الله وله من الآثار:

١- (ال) حكايا (من) الأقوال العاصمة من الاعتزال : وهى تفنيد لوجهة النظر القائلة إن تعاليم المنصور بالله مطابقة لتعاليم المعتزلة ، وهذا الكتاب موجود فى المتحف البريطانى (ثانى) بالأرقام الآتية :

2,63, x , وفى بنكيبور 212, IV, 213, I, 1220, Xiii

٢- تنبية الغافلين على مغالط المتوهمين : المتحف البريطانى (ثانى)

2,643, x وفى بنكيبور 1220, Xii, 213, ii, 212; iii

٣- تنبية اولى الألباب على تنزيه ورثة الكتاب : المتحف البريطانى (ثانى)

2,63, x3 وفى بنكيبور برقم 1220,Xii, 213, iii, 212, ii

٤- المنتزع الأول من أقوال الأئمة : المتحف البريطانى (ثانى) ,iv٠

1220,xiv.213

وبنكيبور 4.643, x

---

(١) الإمام صارم الدين : طبقات الزيدية ، لوحة ١١٤ شمال.

٥- المنتزع الثانى من أقوال الأئمة : المتحف البريطانى (ثانى)

5,643روبيكنب1220, iv, 213, V .

٦- الردود الناظمة لمعانى الادلة العاصمة : وهو نظم فى محاجة المعتزلة ، المتحف البريطانى (ثانى)

بنكيبور6,643x 212, x1220, xvii, 213, Vii بنكيبور

٧- المسائل الباحثة عن معانى الاقوال الحادثة : المتحف البريطانى (ثانى)

1220, xvii, 213,vii,212,x بنكيبور x.7,643

٨- التصريح بالمذهب الصريح [١]: المتحف البريطانى (ثانى)

8.643, xبنكيبور 1220, xxi, 213xi, 212,i

٩- أربع مسائل من كلامه، وهى مقتطفات من كتابه الذى وضعه ضد الصفاتية، الذين يرجعهم إلى الإمام المهدى الحسين (المتوفى سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣هـ). والمقتطفات هذه موجودة فى المتحف البريطانى (ثانى) :

x9, 643,بنكيبور 212 ix, 213,xii,1220, xvi,

١٠- بيان الإشكال فيما حكى عن المهدى : المتحف البريطانى (ثانى)

10,643, xبنكيبور 1220, xviii, 213x, 212,viii

١١- المسائل السنوية والسدى[٢] الحشوية: وهو موجه ضد عمران بن محمد بن ناصر الذى هاجم الإمامة الزيدية: المتحف البريطانى (ثانى)

212,xii,643x بنكيبور 1220, xx,

١٢- تعريف الطريق[٣] وهو موجه ضد المطرفية، والفصل السابع منه موجود فى المتحف البريطانى (ثانى) 212,xiii, 213x [١].

---

(١) الصحيح : التصريح بالمذهب الصحيح.

(٢) الصحيح: المسائل الشفوية والشبه الحشوية.

(٣) الصحيح: تعريف التطريف.

ثم عاد فذكره مرة ثانية فى نفس الكتاب ظنا منه أنه شخص آخر فقال: "أبو عبـــد الله حميدان بن يحيى بن حميدان ..." ثم ذكر مصنفاته السابقة مع إضافة ونقـــص وبأرقـــام جديدة على النحو الآتـــــــى:

١- بيان الإشكال فيما حكى عن المهدى (عم) من الأقوال ، القاهرة (ثـــانى) IAPP.68 باتنه (ثانى) 352,2539.9.

٢- تذكرة تشمل على أربع مسائل وأجوبتها، القاهرة (ثانى) IAPP.69.

٣- التصريح بالمذهب الصحيح: القاهرة (ثانى) IAPP.69– **باتنه (ثانى)** 3528.

٤- التحريف[٢] القاهرة (ثانى) IAPP.69

٥- تنبية أولى الالباب: القاهرة (ثانى) IAPP.69، **باتنه (ثانى)** 351، 3529.3

٦- تنبه الغافلين على مغالط المتوهمين: القاهرة (ثانى) APP.69 **باتنه (ثانى) مع** 3529.2

٧- كفاية الأحوال [٣] العاصمة من الاعتزال : القاهرة (ثانى) APP.69، **باتنه (ثـــانى)** 3529.1.

٨- المسائل الباحثة عن معانى الأقوال الحادثة: القاهرة (ثانى) IAPP.73.

٩- المسائل الشتوية[٤] والشبه الحشوية: باتنه (ثانى) 353.2539.10.

١٠- المنتزع الأول من أقوال الأئمة: باتنة (ثانى) 253.4

١١- المنتزع الثانى: باتنه (ثانى) 353.5.

١٢- رسائل فى حديث السطل والمنديل: باتنه (ثانى) 353.11.

١٣- رسائل فى إثبات الإيمان: باتنه (ثانى) 353.12.[١]

---

(١) بروكلمان: الادبيات اليمينية فى المكتبات والمراكز الثقافية العالمية، مركز الدراســـات والبحـــوث اليمنى، صنعاء ، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط أولى، عام ١٩٨٥،ص ٦١-٦٣.

(٢) الصحيح : التطريف.

(٣) كفاية الأقوال العاصمة من الاعتزال.

(٤) الصحيح: المسائل الشفوية.

ب- عبدالله محمد الحبشي: مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن. ذكر له عبدالله الحبشي في الكتاب المذكور المصنفات الاتيـــــــــة :

١- تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين خ جامع سنة ١٠٨٥هـ ، أخرى بالمتحف البريطاني ٣٣٥١.
٢- تنبيه أولى الألباب على تتزيه ورثة الكتاب.
٣- التصريح بالمذهب الصحيح.
٤- الرسالة الناظمة لمعاني الأدلة العالصمة وتسمى أيضا (المزلزلة لأعضاء المعتزلة).
٥- المنتزع الأول والثاني من أقوال الأئمة عليهم السلام.
٦- المسائل الباحثة عن الأقوال الحادثة.
٧- تعريف التطريف (الفصل السابع).
٨- حكايا الأقوال العاصمة من الإعتزال.
٩- بيان الإشكال فيما حكى عن المهدى من الأقوال.
١٠- المسائل الشفوية والسدة(٢) الحشوية.

وجميع هذه الرسائل يضمها كتابه مجموع السيد حميدان خ ١٠٨٥ جامع ، أخـــرى المتحف البريطاني ٣٣٥١ وثالثة بمكتبة العلامة أحمد بن على زبارة بخطه(٣).

ثالثاً : الفهارس

أ- الجمهورية العربية اليمنية، وزارة الثقافة: فهرس المخطوطات اليمنية.

ذُكر له في هذا الفهرس المصنفات الآتيـــــــــة:

---

(١) تزيد هذه القائمة عن القائمة السابقة رسالتان هما رقم ١٣،١٢ ، وتنقص عنها رقـــم ١ في القائمـــة السابقة وهو كتاب الحكايا من الأقوال العاصمة من الإعتزال.

(٢) الصحيح: والشبه الحشوية.

(٣) عبدالله محمد الحبشي: "مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن" مركز الدراسات اليمنية، صنعـــاء ، د.ت، ص١٠٨.

١- تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين خ ١٠٨٥هـ، ق ١٥.

٢- تنبيه أولى الألباب على تنزيه ورثة الكتاب خ سنة ١٠٨٥هـ، ق ٤٠.

٣- التصريح بالمذهب الصحيح خ ١٠٨٥هـ، ق٥٠.

٤- الرسالة الناظمة لمعانى الأدلة العاصمة ، وتسمى أيضا المزلزلة لأعضاء المعتزلة، ق ١٠٢.

٥- المنتزع الأول والثانى من أقوال الأئمة عليهم السلام، ق ١٠٨.

٦- المسائل الباحثة عن معانى الأقوال الحادثة خ ١٠٨٥هـ، ق١٤٦.

٧- تعريف التطريف فى الرد على المطرفية (الفصل السابع من سبعة فصول)، ق ١٤٨-١٥٠[1]

وتوجد هذه المصنفات فى "مجموع رسائل حميدان بن حميدن" مصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل موجود بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء/ الكتب المصادرة.

وبالرجوع إلى هذا المجموع تبين أنه نسخ عام ١٠٨٥ هـ وانه يشتمل على المصنفات الاتية:

١- تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين من لوحة ١٥-٣٩.

٢- تنبه أولى الألباب على تنزية ورثة الكتاب من لوحة٤٠-٤٩.

٣- التصريح بالمذهب الصحيح من لوحة ٤٩-١٠٣.

٤- الرسالة الناظمة لمعانى الادلة العاصمة ، وتسمى أيضاً المزلزلة لأعضاء لمعتزلة من لوحة ١٠٣-١٠٨.

٥- المنتزع الأول من قوال الأئمة عليهم السلام، من لوحة ١٠٨-١١٩.

٦- تذكرة تشتمل على اربع مسائل مما يشتغل بالسؤال عنها بعض الصفاتية من لوحة ١٢٠-١٢٢.

٧- سؤال وجوابه من لوحة ١٢٢-١٢٣.

(١) الجمهورية العربية اليمنية ، وزارة الثقافة: فهرس المخطوطات اليمنية، ص٤١.

٨- خبر خولة الحنفية من لوحة ١٢٣-١٢٤.

٩- المنتزع الثانى من أقوال الأئمة عليهم السلام من لوحة ١٢٥-١٣٢.

١٠- بيان الإشكال فيما حكى عن المهدى من الأقوال من لوحة ١٣٢-١٣٧.

١١- جواب المسائل الشفوية والشبه الحشوية من لوحة ١٣٧-١٤٤.

١٢- نظم من كلامه لوحة ١٤٥.

١٣- المسائل الباحثة عن معانى الأقول الحادثة من لوحة ١٤٦-١٤٩.

١٤- تعريف التطريف (الفصل السابع من سبعة فصول) من لوحة ١٤٩-١٥٠.

ب- دار الكتب المصرية : فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية سنة ١٩٢١ وملحق بالكتب العربية الواردة للدار من سنتى ١٩٢٢، ١٩٢٣ ، والستة شهور الأولى من سنة ١٩٢٤م.

ذكر له كتاب واحد وهو كتاب "كفاية الأحوال العاصمة من الإعتزال" ضمن مجموعة مخطوطة (٣٤/توحيد شيعة)[١] ومصورة على ميكروفيلم رقم ٤٧٦٣٨ وبالرجوع إلى هذه المجموعة تبين أن هذه المخطوطة تقع فى خمس عشرة لوحة منها ، من لوحة ١- ١٥.

ثانياً : وصف المخطوطات:

١- تنبية الغافلين على مغالط المتوهمين :

وردت نسخته - التى بين أيدينا - ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" السالف الذكر فى خمس وعشرين لوحة من لوحة ١٥-٣٩.

أوله :"بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم ياكريم بحق محمد وآله أما بعد حمد ذى العزة والطول ومن به القوة والحول ، والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى وصيه أمير

(١) دار الكتب المصرية ، فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية سنة ١٩٢١ ، وملحق بالكتب العربية الواردة للدار من سنتى ١٩٢٢،١٩٢٣ . والستة شهور الأولى من سنة ١٩٢٤، ملحق الجزء الأول ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٣٤ . ص ٦٩

المؤمنين وآلهما العترة الطاهرين ، فإنى لما عرفت طرفا من أقوال المختلفين فى بعـــض مـــن أصول مغالط المتكلفين وجملا من ردود الأئمة الهادين المبصرة لمن تمسك بهـــا وبهـــم مـــن المسترشدين اختصرت من جملة ذلك خمسة فصول منبهة على معرفة مغالط أكثر الأصول".

ثم يذكر الفصول الخمسة التى هـــــــــــــى : الأول : فى جملة ماينبغى للمعلـــم والمتعلم تقديم معرفته . الثانى : فى العقل والنفس . الثالث : فى العلم . الرابع : فى العـــالم . الخامس : فى الإسلام.

ثم يقسم هذه الفصول على النحو التالي :

الفصل الأول : فى جملة ماينبغى للمعلم والمتعلم تقديم معرفته ، ويشتمل على ست مقدمات مما ينبه المتعلم على ترك الاغترار بظواهر الدعاوى وزخارف الأقوال.

الأولى : أن يعلم على الجملة إنه لابد لعلم كل فرقة ولمذهبهم من ثمرة وزبدة ينتهى إليها.

الثانية : أن لايعتمد فى طلب الحق على ماسبق إلى قلبه من محبة أحدا وبغضه لما فى ذلـــك من خطر التعصب.

الثالثة : أن لايرخص لنفسه فى تجويز أن يؤدى النظر والاستدلال إلى خلاف شيء مما يعلم ضرورة أو بالإجماع.

الرابعة : أن يعلم أنه لابد لكل مسئلة خلاف من أصل إما صحيح ، وإما باطل.

الخامسة : أن يعلم على الجملة أنه يعجز عن الإحاطة بتفصيل جميع العلوم المختلفة.

السادسة : أن يعلم أنه يجب على كل مكلف أن يقف عند منتهى قدره وحد عقله.

الفصل الثانى : وهو فى الكلام فى العقل والنفس : فهو ينقسم إلى ذكر أقـــوال المختلفين فى العقل والنفس وماهما ؟ وأين هما ؟ وإلى ذكر جملة مما يعرف به الفرق بينـــهما. أما أقوال المختلفين فى العقل والنفس فجملة المشهور منها ستة أقوال : الأول : قول أئمـــة العترة عليهم السلام . الثانى : قول الفلاسفة . الثالث : قول من جمع بين الفلسفة والإسلام (الاسماعيلية) . الرابع : قول المعتزلة . الخامس : قول الطبيعيين . السادس : قول المطرفية.

ويعرف الفرق بين النفس والعقل بستة أمـــــــور : الأول : أختلافــهما فى لفــظ التسمية . الثانى : أختلافهما فى الوجود . الثالث : أختلاف صفاقما. الرابع : أختلافهما فى النظر والاستدلال . الخامس : أختلافهما فى مادقما . السادس : أختلاف أحوال اتباعهما.

الفصل الثالث : الكلام فى العلم : فهو يتفرع إلى ذكر ضروب مما يتعلق به الغلط ،وهو التنبيه على كثير من أصول مغالط المختلفين فيه وجملة ذلك هو الكلام فى : العلـــم ، وفى تنوعه، وفى طرقه ، وفى ذكر جملة من الأسماء ، وفى الهيولى والصورة ، وفى الفرق بـــين صفات القديم والمحدث ، وبين الفاعل والعلة ، وبين الحقائق الصحيحة والباطلة ، وبين حـد العقل والغلو ، وبين المحكم والمتشابه ، وبين مايجوز من التقليد ومالا يجوز.

الفصل الرابع : فى العالم : فهو ينقسم إلى ذكر الخلاف فى ماهيته ، وفى أصلـــه ، وفى أنواعه وفى حدوثه ، وفى المؤثر فيه.

الفصل الخامس : فى الإسلام ويتضمن الكلام فى الذات والصفـــات والإيمـــان وأركانه وآخره : فهذه جملة ماقصدت التنبيه به للمتعلم على طلب العلم من أهله ومعدنه، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيـــل ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

بخط مالك أفقر عباد الله إليه محمد بن عبدالله أحمد بن الناصر الصغير ... فرغ مـــن كتابته ضحى يوم الخميس سبع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٨٥ هـــ.

٢- تنبيه أولى الألباب على تنزيه ورثة الكتاب:

وردت النسخة التى بين أيدينا ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميـــدان" فى عشر لوحات من ٤٠-٤٩.

أوله :"بسم الله الرحمن الرحيم – أما بعد حمد لمن فطر العقول على معرفة الأدلـــة وعرّف المكلفين بجميع حدود فرائض الملة وبأولى الأمر الحافظين لهم ولها من الشبه المضلـــة والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى آله الخيَرة المنتخبين".

ثم قسم الإمام حميدان جملة الكلام فى هذا الكتاب على ستة فصول :

الأول : فى ذكر جملة من أصول الفقه المذكورة فى الكتاب والسنه وأحكامهما.

الثانى : فى ذكر الأصول التى يحتج بها من خالف الأئمة وخالف بينهم.

الثالث : فى ذكر جملة من أختلاف أحوال الأئمة ومايصح منه ومالايصح.

الرابع : فى ذكر ضروب من أمثلة ماخولف فيه بين الأئمة ومايصح منه ومالايصح.

الخامس : فى ذكر ما أُجمع فى صفة من يجوز فيه الاجتهاد.

السادس : فى ذكر الفرق بين الشيعى والمتشيع.

وآخره :"فهذه جملة مما تجرى مجرى المهلك للشيعة ولمعرفتهم بما أشكل من أقوال الأئمة عليهم السلام فى مسائل الشريعة والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلامه آمين آمين. فرغ من ... وقت العصر يوم الخميس ثامن وعشرين فى شهر جمادى الأولى سنة ١٠٨٥ هـ: بخط مالك الفقير إلى الله محمد بن عبدالله بن الناصر الصغير وغفر الله لهم آمين آمين".

٣- التصريح بالمذهب الصحيح :

وردت النسخة - التى بين أيدينا - ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" فى أربعة وخمسين لوحة من ٤٩-١٠٣.

أوله :"الحمد لله وحده قال فى المنقول منه مالفظه وجدت بخط سيدنا العلم العلامة عز الدين محمد بن يحيى بن سلامة رحمه الله تعالى مالفظه نقل هذا الكتاب المبارك من كتب قال فيه نسخ من النسخة التى نسخت بخط الإمام المهدى لدين الله أحمد بن الحسين".

وينقسم الكلام فى هذا الكتاب إلى خمسة مواضع :

الأول : فى ذكر جملة من مقدمات البلوى التى ينبنى عليها الكلام فى أصول الدين.

الثانى : فى مسائل الإمامة لكونها من أول ماوقع فيه الاختلاف بين الأمة.

الثالث : فى الصانع تعالى ومايستحق من الصفات لذاته أو لفعله.

الرابع : فى العالم وصفات ذواته وذكر فنائه.

الخامس : فى ذكر جملة من أصول مغالط المعتزلة التى اوهموا أنها أدلة.

وينقسم الكلام فى الموضع الأول إلى سبعة فصـــــــــول :

الفصل الأول : فى ذكر عموم البلوى وبيان الحكمة فيها.

الفصل الثانى : فى البلوى باختلاف طرق العلم وذكر بعض أمثلتها ومايجب ترتيبـــه منها.

الفصل الثالث : فى البلوى بمقارنة هوى النفس للعقول.

الفصل الرابع : فى البلوى فى اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.

الفصل الخامس : فى البلوى بجواز استعمال المجاز مع الحقيقة فى كثير مـــن الأسمـــاء والعبارات.

الفصل السادس : فى البلوى بالتخلية والتمكين لأعداء الحق والمحقين.

الفصل السابع : فى البلوى بإيجاب الولاء والبراء فى الدين.

وينقسم الكلام فى الموضع الثانى إلى عشرة فصـــــــــول :

الفصل الأول : فى حكاية جملة مذهب العترة فى ذلك ومذهب المعتزلة.

الفصل الثانى : فى ذكر جملة مايدل على صحة مذهب العترة وبطلان ماعداه.

الفصل الثالث : فى صفة الإمام الذى تجب طاعته.

الفصل الرابع : فى ذكر من فارق الأئمة فى علوم الدين الذى يجب العلم بها.

الفصل الخامس : فى ذكر حكم من يخالف بين أئمة العترة وينسبهم إلى التفـــرق فى الدين.

الفصل السادس : فى ذكر جملة مما يجب أن يحمل عليه ما أختلـــف مـــن الأقـــوال المنسوبة إلى الأئمة عليهم السلام.

الفصل السابع : فى ذكر جملة من معارضات المعتزلة لأدلة الأئمة فى مسائل الإمامة.

الفصل الثامن : فى ذكر جملة مما يعتذر به من جمع بين التشيع والأعتزال.

الفصل التاسع : فى ذكر فروق تميز بين الأئمة والعامة.

الفصل العاشر : فى ذكر جملة مما تكشف عن مزايا المتشيعين.

وينقسم الموضع الثالث إلى أربعة فصول :

الفصل الأول : فى الذات. الفصل الثانى : فى صفات الذات.

الفصل الثالث : فى الإرادة . الفصل الرابع: فى الإدارك.

وينقسم الموضع الرابع إلى ستة فصـــــــول :

الفصل الأول : فى ذكر ذوات العالم وصفاها على الجملة.

الفصل الثانى : فى ذكر تعلق العلم بالمعلوم.

الفصل الثالث : فى ذكر تعلق القدرة بالمقدور.

الفصل الرابع : فى ذكر ماليس لله فيه تأثير وماليس هو له فى الأزل معلوم.

الفصل الخامس : فى ذكر الجواهر.

الفصل السادس : فى ذكر كيفية فناء ذوات العالم.

وينقسم الكلام فى الموضع الخامس إلى عشرة فصـــــــول :

الفصل الأول : فى أقوالهم فى النظر.

الفصل الثانى : فى ذكر جملة من الأسماء المترادفة التى اصطلحوا على الفرق بينها.

الفصل الثالث : فى مشاركتهم بين البارى سبحانه وبين غيره.

الفصل الرابع : فيما أثبتوه من الصفات للبارى سبحانه بطريقة القياس.

الفصل الخامس : فى ذكر تحديدهم لذات البارى سبحانه وأوصافه بـــالحدود الـــتى زعموا أنها مركبة من جنس يعم البارى وغيره عموم صفــــات الأجناس وفصل يخصه دون غيره تخصيص صفات الأنواع.

الفصل السادس : فى ذكر جملة مما يستدلون به من القِسم التى أوهموا أنها حاصرة.

الفصل السابع : فى ذكر فرقهم بين فوائد الصفات وترتيبهم لها.

الفصل الثامن : فى اسغلاطهم بالسؤال عن الفرق بين السواد والبياض.

الفصل التاسع : فى قولهم بتعلق القدرة والعلم.

الفصل العاشر : فى تسميتهم لبدعهم فى الدين عدلا وتوحيدا.

وآخره :"والحمد لله حق حمده وصلواته على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليـــه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا. فرغ كتاب التصريح ضحوة يوم الأثنين ثالث شهر شـــوال سنة ١٠٨٥ خمسة وثمانين وألف سنة. أخلص لله نية كاتبه ومالكه المفتقر إلى عفو ربه محمد

بن عبدالله بن أحمد بن الناصر الصغير ووفقه لما يرضيه وختم له برضا ربه القدير بحق محمـــد وآله".

٤- الرسالة الناظمة لمعـــانى الأدلـــة العاصمـــة (أو المزلزلـــة لأعضـــاء المعتزلة) :

وردت نسختها -التى بين أيدينا - ضمن كتاب " مجموع رسائل حميدان بن حميدان" فى خمس لوحات من لوحة ١٠٣-١٠٧.

أولها :"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

حمدا وشكرا دائما طول الأبد .'. مضاعفا مجاوزا حد الامد

بخالق ما أن له كفوا أحـــــــــد .'. ورازق انعامه فات العـــــــدد

وتتضمن هذه الرسالة المنظومة عرض مذهبه الكلامى فى الإمامة والصفات والعـــالم ... إلخ ، وذم المعتزلة وأفكارها.

وآخرها :" واستدلت بأبعد عن أقرب .'. فأهملت فرض الولاء الموجب

وعلم من علمهم مع النبى .'. أسنى الصلاة والسلام الأطيب

تمت الرسالة بمن الله ولطفه فله الحمد كثيرا بكرة وأصيلا"

٥- المنتزع الأول من أقوال الأئمة عليهم السلام :

وردت نسخته - التى بين أيدينا - ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميـدان" فى اثنى عشرة لوحة من ١٠٨-١١٩.

أوله :"يتضمن الكلام فى النص والحصر وصفة الإمام وذكر حكم مـــن يخـــالف فى ذلك من فرق الإسلام للسيد الفاضل العالم العامل حميدان بن يحيى قدس الله روحه فى الجنـة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم. بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد".

ويتضمن هذا الكتاب عرض مذهب الإمام حميدان فى الإمامة وفى أدلة وجوبهـــا فى الإمام على والحسن والحسين وذريتهما وبيان بطلان كل من خالف ذلك.

وآخره :"تم المنتزع الأول بحمد الله ومنّه ولطفه وكرمه لله الحمد كثيرا بكرة وأصيلا".

٦- تذكرة تشتمل على أربع مسائل فى الصفات :

وردت نسختها التى بين أيدينا - ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" فى ثلاث لوحات من لوحة ١٢٠-١٢٢.

أولها :"يتلوه تذكرة تشتمل على أربع مسائل من كلامه رضى الله عنه وأرضاه مما يشتغل بالسؤال عنها بعض الصفاتية"

وتتضمن هذه التذكرة الإجابة على هذه المسائل الأربع التى هى :

المسألة الأولى : سؤالهم عن النظر فى إثبات الصانع هل يحصل به العلم إنه تعالى قادر؟.

المسألة الثانية : سؤالهم هل أفاد قولنا قادر نفس ما أفاد قولنا عالم ؟ فذلك تكرار أم أفاد كل واحد من الوصفين غير ما أفاده الثانى ؟ فما تلك الفائدة ؟
وكذلك سؤال من يسأل ما الفرق بين معنى قولنا قادر وقولنا عالم ؟
وسؤال من يسأل لما يسمى القادر قادرا؟.

المسألة الثالثة : سؤالهم عن الفرق بين الوصف والصفة وهل يصح الوصف بغير صفة؟.

المسألة الرابعة : سؤالهم عن مفارقة ذات البارى سبحانه لسائر الذوات. هل بأمر أم لا بأمر؟ ليوهموا بذلك أنه مشارك فى الذاتية ومفارق بأمر زائد عليها.

وآخره :"وكذلك السؤال عن الفرق بين المقتضى والعلة والحكم والمتجدد والأزلى ... تم ذلك بحمد الله ومنّه وعونه".

٧- سؤال وجوابه :

وردت نسخته ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" فى لوحتين من ١٢٢-١٢٣.

أوله :"يسأل الذين قدّموا أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا بإمامته وإنه الخليفة".

ثم يشرع بعد ذلك فى الإجابة على السؤال الذى هو : هل يجوز الترضية على من تقدم الإمام على من الخلفاء السابقين؟.

وآخره :"تمت هذه الكتب النافعة والإجوبة القانعة بعون الله ومنّه ولطفه وكرمه فله الحمد كثيرا بكرة وأصيلا".

٨- خبر خولة الحنفية :

وردت نسخة هذا الخبر ضمن كتاب "مجموع حميدان بن حميدان" فى لوحتين من ١٢٣-١٢٤.

أوله :"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آهل وسلم. قال فى كتاب إقرار الصحابة بفضل إمام الهدى على بن أبى طالب سلام الله على روحه الطاهرة".

ثم يتضمن الخبر قصة زواج الإمام على بن أبى طالب من خولة الحنفية ، وهى قصة خيالية تشبه قصص الأساطير ولايقبلها عقل أو شرع، كما أنها تضفى على الإمام على وزوجته خولة الحنفية – قبل أن يتزوجها – صفة العلم بالغيب التى نفاها الله سبحانه عن نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال :"قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير". [الأعراف /من الآية ١٨٨].

وآخرها :"ثم إنه عقد عليها عقد النكاح وطلبها بالعقد لايملك اليمين. تم ذلك والحمد لله رب العالمين".

٩- المنتزع الثانى من أقوال الأئمة عليهم السلام :

وردت نسخته ضمن كتاب "مجموع حميدان بن حميدان" فى ثمان لوحات من ١٢٥-١٣٢.

أوله :"بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين وصلى الله على سيد المرسلين. أما بعد حمد ذى الجلال والإكرام والصلاة على محمد وآله المختارين على الأنام. فإنى جمعت من كثير من كتب الأئمة عليهم السلام جملا بينة من أحب التدبر لفوائد كتبهم".

ويتضمن هذا الكتاب بعض ما أختلف فيه أهل الكلام من الأقوال فى الذات والصفات والأحكام ، مؤكدا كلامه بمنتزعات من كتب الأئمة.

وآخره :"ليس قول يذهب إليه الأئمة إلا ومن أقوال المعتزلة مايخالفه ولذلك انتزعتها دون غيرها والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم".

١٠- بيان الإشكال فيما حكى عن المهدى من الأقوال :

وردت نسخته ضمن كتاب "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" فى ست لوحات من ١٣٢-١٣٧.

أوله :"بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستيعن. أما بعد حمدا لله على جزيل آلائه والصلاة على محمد خاتم أنبيائه وعلى السابقين والمقتصدين من أبنائه والسلام على جميع الصالحين من أوليائه".

ويتضمن الكتاب الدفاع عن المهدى لدين الله الحسين بن القسم بن على بن عبدالله بن أحمد بن القسم بن إبراهيم بن إسماعيل (ت ٤٠٤ هـ) والذى أتهم فى دينه.

وآخره :"فإن الله سبحانه لم يجعل حججه خبرا فاسدا ولاكتابا مفردا ليس معه من ذرية الرسول معين وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين".

١١- جواب المسائل الشفوية والشبه الحشوية :

وردت نسخته ضمن كتاب "مجموع الإمام حميدان بن حميدان" فى ثمان لوحات من ١٣٧-١٤٤.

أوله :" بسم الله الرحمن الرحيم. لما وصل كتاب الشيخ الفقيه تأملت جميع ما أودع فيه وجدته مشتملاً على التعرض للمشاعرة والتحدى بالمناظرة مع مافيه من الأغلاط فى الأدلة ومن الألفاظ الركيكة والمعانى الردية".

ويتضمن الكتاب الرد على أدلة الشيخ صاحب الرسالة والذى هاجم مذهب الزيدية فى الإمامة وبين فساده وخاصة فى قولهم فى الدعوة والنص والحصر والوراثة والقول بجواز إمامين فى وقت واحد والعصمة .... إلخ.

وآخره :"والسلام على من أتبع الهدى ونهى النفس عن الهوى ... ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين آمين.".

١٢- متفرقات شعرية من كلامـــــه :

وردت ضمن كتاب "مجموع الإمام حميدان" فى لوحتين من ١٤٥-١٤٦.

أولهما :"أيها المستفيد من علم قوم .'. نكبوا عن سبيل سفر النجاة"

وهى موجهه ضد المعتزلة الذين اتهمهم بالتدليس والرفض وبين بطلان مذهبهم.

وآخرها :"اتواصوا بذلك أم ذلك أمر .'. فيه يأتى تشابه الأشكال".

١٣- المسائل الباحثة عن معانى الأقوال الحادثـــــة :

وردت نسختها - التى بين أيدينا - ضمن كتاب "مجموع حميدان بن حميـــدان" فى أربع لوحات من ١٤٦-١٤٩.

أولها :"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسـلم. مسـئلة كيف يجوز"

وتتضمن المسائل الآتيـــــة :

١- مسئلة : كيف يجوز التفكير فى إثبات ذات الله سبحانه مشاركة لـــذوات الجواهـر ولذوات الأعراض.

٢- مسئلة : كيف يجوز التوصل بالنظر والقياس إلى إثبات أمر موجب لكـــون البـارى سبحانه قادراً وعالما وحيا وموجوداً ؟.

٣- مسئلة : كيف يجوز إثبات صفات البارى سبحانه ووصفها بأنها أمور زائدة على ذاتـه ومترتبة فى الوجود ومختلفة الأحكام ومشتركة فى الثبوت فيما لم يزل ؟

٤- مسئلة : كيف يجوز أن يجعل الشئ أو الذات اسم جنس عام للخالق؟.

٥- مسئلة : كيف يجوز الاستدلال بكون البارى سبحانه عالما فيما لم يزل علـــى ثبـوت ذوات العالم فيما لم يزل ؟.

٦- مسئلة : كيف يصح الجمع بين القول بالوجود لذوات العالم أولا والقول بأنــه لا أول لثبوتها؟.

٧- مسئلة : إذا كانت ذوات العالم المتناهية لها نهاية بإجماع من يزعم أنها بعض الذوات وبعض المقدورات التى لانهاية لها بزعمهم فكيف يصح أو يعقل أن يوصف ما لبعضه نهاية بأنه لانهاية لكله مع مافى ذلك من التناقض؟.

٨- مسئلة : إذا لم تكن ذوات العالم محتاجة فى كونها ذواتا إلى مؤثر يجعلها ذواتا بعد أن لم تكن فكيف يصح وصفها بأنها مقدورة لله سبحانه لأجل تأثيره فى أمر زائد عليها ؟.

٩- مسئلة : إذا كان كون العالم محكما يدل على كون البارى عالما بالإحكام قبل كونه فرعا على إيجاده ... فكيف يصح أو يجوز أن يقال : إن الله سبحانه لايعلم فيما لم يزل إلاّ مجرد الذوات دون الإيجاد والإحكام؟.

١٠- مسئلة : إذا كان لكل ذات صفة أو صفات يستحيل خلوها عنها فيما لم يزل ... فكيف يصح أن يقال فى حقيقة الذوات أنه يصح العلم بها على انفرادها ؟.

١١- مسئلة : كيف يصح الجمع بين القول بأن الجوهر ليس له إلا جهة واحدة لأجل كونه جزأ لايتجزأ ؟.

١٢- مسئلة : ما الفرق بين قول من قال صفات الله أشياء غير ذاته وقول من قال صفاته أمور زائده على ذاته؟.

١٣- مسئلة : إذا كان يُعلم ضرورة أنه لايجوز نفى النفى والإثبات معاً ... فكيف يصح مع ذلك أن يؤدى النظر والاستدلال إلى إثبات أمور ليست شيئاً ولا لاشئ ؟.

١٤- مسئلة : ما الفرق بين قول من قال أعيان العالم قديمة وبين قول من قال ذواته ثابتة فيما لم يزل؟.

١٥- مسئلة : كيف يجوز الاستغلاط بحصر القِسمة بأن الله سبحانه لايخلو إما أن يكون مريداً لذاته أو لغيره مع جواز أن يقال أو لا لذاته ولا لغيره لأجل كونه سبحانه مريداً لا بإرادة كإرادة المخلوقين كما أنه قادر لا بقدرة وفاعل لا بإداة؟.

١٦- مسئلة : إذا كان الله سبحانه فاعلا مختاراً لفعله ... فكيف يجوز مع ذلك وصف البارى سبحانه بأنه يخلق ما لايريد ؟.

١٧- مسئلة : إذا كان العرض إنما سمى عرضا لأجل كونه صفة لمحلة ... فكيف يجوز مع ذلك أن يتفكروا فى إثبات عرض موجود لا فى محل ؟.

١٨- مسئلة : إذا ثبت بأدلة العقل أن الله سبحانه عالم فيما لم يزل .... فكيف يجوز مع ذلك إثبات إدراك له سبحانه متجدد زائد على كونه عالماً بطريقة القياس ؟.

١٩- مسئلة : ما الفرق بين أن يدعى مدع أن نظره يؤدى به إلى إثبات إدراك لله سبحانه متجدد زائد على كونه عالما يدرك به المسموعات والمبصرات وبين أن يدعى أن نظره يؤدى به إلى إثبات إدراك له سبحانه متجدد يدرك به الملموسات والمشتهيات؟.

٢٠- مسئلة : إذا كان كل محدث محتاجا إلى محدث ... فكيف يصح إثبات متجدد لايحتاج إلى مجدد؟.

وآخره :"تم ذلك بحمد الله قبيل الظهر يوم الخميس رابع عشر شهر صفر سنة ١٠٨٥ هـ ... بخط مالكه أفقر عباد الله إليه محمد بن عبدالله بن أحمد بن الناصر وغفر له آمين".

١٤- تعريف التطريف (الفصل السابع من سبعة فصول) :

وردت نسخته – التى بين أيدينا – ضمن كتاب "مجموع حميدان بن حميدان" فى لوحتين من ١٤٩-١٥٠.

أوله :"بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وصلى الله على محمد وآله. وأما الفصل السابع وهو الكلام فى معرفة الحجج الدالة على بطلان الإحالة".

ويتضمن الفصل بطلان مذهب المطرفية فى الإحالة بأدلة العقل والكتاب والسنة.

وآخره :"وكذلك حدوث النبات بعد اجتماع الماء والطين والحب وفلق الحب وإظهاره".

١٥- كفاية الأقوال العاصمة من الاعتزال :

وردت نسخة هذا الكتاب ضمن مجموعة مخطوطة بالهيئة العامة المصرية للكتاب ٣٤/ توحيد شيعة ، ومصورة بالهيئة على ميكروفيلم رقم ٧٤٦٣٨ من لوحة ١-١٥.

أوله بعد البسملة :"أما بعد حمد من نعمه لاتحصى ومحامده لاتستقصى"

والكتاب تفنيد لوجهة النظر القائلة بأن تعاليم المنصور بالله مطابقة لتعاليم المعتزلة ويقسم الكتاب إلى أربع فصول :

الأول : فى ذكر ما أستدل به عليه السلام من الأخبار الموافقة لحكم الكتاب ولما أجمعت عليه العترة.

الثانى : فى ذكر شبه وأعتراضات مما حكاه عن المخالفين.

الثالث : فى حكاية أقوال منتزعة من كتبهم عليه السلام وذم من خالفهم وأنكر فضلهم واستغنى عنه بغيرهم.

الرابع : وهو فى ذكر جملة مما حكاه من أقوال فضلاء العترة.

وآخره :"وحكايته عليه السلام عن الإمام أبى الفتح بن الحسين الديلمى عليه السلام قال فى تفسير قوله الله سبحانه : "الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل" [البقرة/من الآية٢٧] هم الذين لايحبون محبة آل محمد صلى الله عليهم ، ينكرون فضلهم قال الإمام عليه السلام فهذا معنى قوى عندنا به نقول ، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم".

بهذا نكون قد انتهينا من عرض آثار الإمام حميدان ، والملاحظ أن منهجه فى التأليف – كما يبدو من هذه الآثار – منهج فريد يعد من أروع ماقدمه الفكر الزيدى ذلك أنه يبدأ بعرض آراء الأئمة ، ثم يعرض أراء الخصوم – وخاصة المعتزلة – ثم يبطل بالأدلة العقلية والقرآنية وأدلة السنة آراء الخصوم ، ثم هو قبل ذلك كله يربط مذهبه أو مذهب الأئمة بمظاهر الابتلاء وهذا هو الذى أضفى على مذهبه طابعا خاصا ميزه عن أسلافه من أئمة الزيدية.

وعليه نستطيع أن نقول :إن هذه الآثار تعرض مذهبا كلاميا متكاملا سيتضح خلال فصول البحث والدراسة.

الفصل الثالث

الابتلاء كمدخل ينبني عليه الآراء الكلامية والفلسفية عند الإمام حميدان

تمهيـــــــــــــد.

المقدمة الأولى : في ذكر عموم البلوى وبيان وجه الحكمة فيها.

المقدمة الثانية : في البلوى باختلاف طرق العلم.

المقدمة الثالثة : في البلوى بمقارنة هوى النفس.

المقدمة الرابعة : في البلوى في اشـــتمال القــرآن علـــى المحكــم والمتشابه.

المقدمة الخامسة : في البلوى بجواز استعمال المجاز مع الحقيقة في كثير من الأسماء والعبارات

المقدمة السادسة : في البلوى بالتخليـــة والتمكيــن لأعــداء الحــق والمحقين.

المقدمة السابعة : في البلوى بإيجاب الولاء والبراء في الدين.

تمهيـــــد :

الابتلاء سنة عامة من سنن الله سبحانه في الحياة قال تعالى :" الذي خلق المـــــوت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا" [الملك/٢] ، وقال سبحانه :"أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذيـــــن صدقــوا وليعلمن الكاذبين" [العنكبوت/٢-٣] فالله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بما شاء وكيف شاء ليظهر ما في نفوسهم من إيمان أو نفاق.

وقد يكون الابتلاء في التكاليف الشرعية ، وقد يكون في المصـــائب والآلام الـــتي يصاب بها الإنسان كالمصائب والآلام وفقد الأحباب أو السلطان أو المال إلى غير ذلك مـــن الأمور التي يمتحن بها الإنسان ليرى مدى صدقه أو كذبه في إيمانه مع الله سبحانه ، قـــال تعالى "ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيـــث مـــن الطيـــب" [آل عمران/ من الآية١٧٩].

وإذا كان الابتلاء سنة عامة تبين طبيعة دين الإسلام لمن أراد أن يسلك طريقة فـإن الإمام حميدان يجعل من الكلام في الابتلاء مدخلا لآرائه الكلامية والفلسفية.

والكلام في الابتلاء عنده ينقسم إلى سبع مقدمات هي :

المقدمة الأولى : في ذكر عموم البلوى وبيان وجه الحكمة فيها.

المقدمة الثانية : في البلوى باختلاف طرق العلم.

المقدمة الثالثة : في البلوى بمقارنة هوى النفس بالعقول.

المقدمة الرابعة : في البلوى في اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه.

المقدمة الخامسة : في البلوى بجواز استعمال المجاز مع الحقيقة في كثير من الأسمـــاء والعبارات.

المقدمة السادسة : في البلوى بالتخلية والتمكين لأعداد الحق والمحقين.

المقدمة السابعة : في البلوى بإيجاب الولاء والبراء في الدين(١).

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥١ يمين.

وسنقف الآن مع هذه المقدمات لنرى كيف يمهد بها الإمام حميدان لآرائه الكلامية والفلسفية.

المقدمة الأولى : في ذكر عموم البلوى وبيان وجه الحكمة فيها:

يرى الإمام حميدان أن كل عاقل على الجملة مبتلى بضروب من البلوى ولذلك سمي متعبدا ومكلفا وذلك ظاهر في كتاب الله سبحانه بما يكثر عن الإحصاء من ذلك قول الله سبحانه :"إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه" [الإنسان/ من الآية٢] وقال تعالى :"الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا"[الملك/ من الآية ٢] وقال :"ونبلوكم بالشر والخير فتنة" [الأنبياء/ من الآية ٣٥] وقال تعالى في بلوى المفاضلة :"ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم" [الأنعام/ من الآية ١٦٥] وقال تعالى:"وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا"[1] [الأنعام/ من الآية ٥٣] وقد يبتلي الله خلقه ببعض ما يجهلون أصله للتمييز بينهم ونفيا للاستكبار عنهم[2].

وهذه البلية من أعظم البلايا ولأجلها هلك أكثر الأولين والآخرين[3] ووجه الحكمة في هذا الابتلاء هو ما أخبر الله سبحانه به من التمييز بين المطيعين والعاصين بما يظهر عند البلوى من أسرارهم لأنه سبحانه لحكمته لا يعذب على ما يعلم من معاصي العباد قبل ظهورها، وظهورها لا يكون إلا بالامتحان كما قال سبحانه :"آلـم. احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" [العنكبوت/٢-٣] وقال :"ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب"[4] [آل عمران/ من الآية ١٧٩].

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق ، لوحة ٥٢ يمين.
(٣) المرجع السابق ، لوحة ٥١ شمال.
(٤) المرجع السابق.

ومن أمثلة هذا النوع من الابتلاء ما ابتلى الله به أنبيائه من المحن نحو عمى يعقوب ، وضر أيوب ، وما أشبه ذلك من أنواع الضر والخوف والحاجة التي يخصهم بها في الدنيا ليكونوا من عباده المخلصين وليكونوا في ذلك أسوة وقدوة للمؤمنين[١] ومن أمثلة هذا النوع من الابتلاء أيضا ما أبتلى الله سبحانه وتعالى به الملائكة بإيجاب السجود من أجل أدم فسجدوا إلا إبليس ، وامتحانه لأصحاب طالوت بتحريم الشرب من النهر ، وامتحانه لأصحاب القرية بتحريم صيد السبت ، وامتحانه لقوم موسى لمغيبه عنهم واستخلافه لهارون فيهم ، وأشباه ذلك مما يدل على أنه سبحانه يمتحن أهل كل عصر إلى يوم القيامة بما يميز بينهم ويجب له الحجة عليه :"ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حيّ عن بينة" [الأنفال/ من الآية ٤٢] ، ولذلك قرن سبحانه وجوب طاعته على المؤمنين بطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر القائمين مقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمر بالرد إليهم ، وأمر نبيه عليه السلام أن يعرّف الأمة بهم[٢] فعرف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته بأولى الأمر القائمين مقامه وأولهم على والحسن والحسين وذريتهم وبين أنهم لا يفارقون الحق ولا يفارقهم الحق الى يوم القيامة وهذا ابتلاء من الله سبحانه ليميز بين الرفضة والأولياء[٣].

وكما يفتن الناس ليميز بين الرفضة والأولياء منهم فكذلك يفتن الأئمة ليتبين مدى استحقاقهم لمقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما يظهر منهم من صبر في مواطن الشدائد لذلك ابتلى الله صبر الإمام على في أربعة عشر موطنا سبعة في حضرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسبعة بعد وفاته ، من ذلك أنه عليه السلام بلى من المحسن بما لم يبلَ به غيره من الصحابة وظهر من صبره عليها ما لم يظهر من غيره مثله على ما هو دونها وذلك منذ مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم موطنا بنفسه على الصبر لينتقل إلى ما كان من صبره في مواطن الزحف التي تذل فيها الأقدام وتبلغ القلوب الحناجر الى ما كان من صبره على ما ابتلى به من وفاة رسول الله صلى اله عليه

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٦ يمين.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥١ شمال.

(٣) الإمام حميدان: بيان الإشكال من الأقوال ، لوحة ١٤٤ شمال.

وعلى آله وسلم ، وإجماع أكثر الصحابة في ذلك الحال على استغنام الفرصة في ظلمه والاستئثار بالأمر دونه ، وعظم الصبر على قدر عظم البلوى ، وعظم البلوى على قدر حال الرجل المبتلى ، وقد مدح الله سبحانه الصابرين وجعل من ثواب بعضهم استحقاق الإمامة فقال سبحانه :"وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا" [السجدة / من الآية ٢٤][(١)].

هكذا يجعل الإمام حميدان هذه المقدمة مدخلا لأرائه في الإمامة حيث يؤكد بهذه المقدمة أن عليا وذريته هم أولى الناس بالخلافة لكي يمهد بذلك نفسية الأتباع للتسليم بالنتيجة اللازمة عنها وهي عدم أحقية أحد من العالمين من غير علي والحسن والحسين وذريتهما بالخلافة بما في ذلك أبي بكر وعمر وعثمان ، ومبينا في الوقت نفسه خطأ كل الأفكار والمذاهب الكلامية التي تخالف الزيدية وخاصة المعتزلة والأشعرية .

المقدمة الثانية : البلوى باختلاف طرق العلم :

يرى الإمام حميدان أن تنوع العلم يقتضي تنوع طرق العلم المتعلقة به ، وذلك لأنه من المعلومات مالا طريق لكل المكلفين أو لبعضهم الى معرفته على الجملة أو على الجملة والتفصيل لكونها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها أو اختص بعلمها بعض عباده وشاهد ذلك قوله سبحانه:"ويخلق مالا تعلمون" [النحل/ من الآية ٨] وقوله تعالى :"وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" [الإسراء/٨٥] وقوله:"وفوق كل ذي علم عليم" [يوسف/٧٦] وقوله تعالى :"ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" [البقرة/٢٥٥] وقوله تعالى :"ولا تقف ما ليس لك به علم"[(٢)] [الإسراء/ من الآية ٣٦].

ومن المعلومات ما فطر الله العقول على معرفته ضرورة وهو على الجملة كلما يعد من خالف فيه مكابرا لعقله[(٣)] مثل العلم بأنه يستحيل إثبات متوسط بين النفي والإثبات نحو شيء ولا شيء فانه لا يجوز أن يتوسط بينهما إلا ما يعلم ضرورة أنه محال نحو ان

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٦٢ شمال.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٢ يمين.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٣ شمال.

يوصف بالنفي والإثبات معا فيقال شيء ولاشيء أو يوصف بنفيهما معا فيقال لا شيء ولا لا شيء ، وكذلك الجمع بين صفتي القدم والحدوث هو أن يوصف أمر بأنه محـــدث وأزلي أو محدث ولانهاية لجنس ذاته أو محدث ولا أول لذاته وكذلك الجمع بين صفتي الوجـــود والعدم نحو أن يوصف أمر بأنه ثابت معدوم وأشباه ذلك مما يكثر عن الإحصاء[١]، ولذلـك فقد كابرت المشبهة العقل عندما قالوا بعلل لأجلها اثبتوا التشبيه[٢]. وكذلـــك المعتزلـــة عندما أثبتوا أحكاما ليست بشيء ولا لا شيء[٣] وأيضا تعدا الصوفية والباطنيـــة حـــدود عقولهم وكابروها عندما مدحوا كبرائهم ووصفوهم بصفات الإله تعالى. وكذلك الأشـعرية عندما قالوا بإرادة أزلية وكلام قديم ورؤية غير معقولة[٤]، وكذلك المطرفية عندما قـــالت بالإحالة وكذلك الفلاسفة الذين تعمقوا في تناولهم لصفات الله سبحانه[٥] وكذلك علمـــاء العامة لأن علومهم مبنية على أصول أكثرها مجهولة ومختلفة وموضوعة بألفـــاظ أكثرهـــا متكلفة ومزخرفة سلكوا بها طريقة الفلاسفة في استعمال الموضوعات المنطقية والتـــأصيل للمقدمات المغلطة الاصطلاحية والتفريع عنها بالقياسات المبدعة الوهمية الـــتي تميـــل إلى سماعها النفوس وتنفر عن مغالطها العقول[٦].

ومن المعلومات ما طريق معرفته درك الحواس الخمس وأمثلتها ظاهرة في الأجســـام والأعراض[٧] والمشاهدة تدلنا على أنه يستحيل في الواقع وجود جسم خال مـــن عـــرض ووجود عرض لا في محل[٨] وهذه من الضرورات التي لا يكابرها إلا كل كاذب متوهـــم مدلس مقلد[٩] وقد كابرت المعتزلة هذه الضرورات فقالت بوجود عـــرض لا في محـــل.

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٢.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٣ شمال.

(٣) المرجع السابق ، لوحة ٢٥ يمين.

(٤) الإمام حميدان بن حميدان . تعريف الطريف ، لوحة ١٥٠.

(٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٧٧ يمين.

(٦) المرجع السابق ، لوحة ٨٠ شمال.

(٧) المرجع السابق ، لوحة ٥٢ شمال.

(٨) الإمام حميدان. تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين.

(٩) المرجع السابق.

ورمت بعقولها وحواسها وراء غاياتها ونهاياتها تائهة ضالة جائرة حين تكلموا بغير دليل في نقض نعيم الجنة[١]وما قدرها وهيئتها من التدوير والتربيع حتى تبرأ بعضهم من بعض لأجل الخلاف بينهم فيه وقالوا بالأصلح واللطف والكمون والظهور وتحديد الأعراض والأجسام والجزء والطفرة وفي إرادة الله سبحانه وتعالى وفي علمه وإدراكه وما حقيقة المعلوم والمجهول والمباشر للفعل والتولد والمداخلة بين الأجزاء والمجاورة ... وهذا كله من دقيق الكلام بما لم يكلفوا ، وبما لعل حواسهم مقصرة عن إدراك حقيقها[٢]، ومن المعلومات ما طريق معرفته درك النفس نحو الفرح والغم والتوهم وأشباه ذلك[٣].

ومن المعلومات ما طريق معرفته النظر العقلي والقياس الاستدلالي ، نحو الاستدلال بالصنع على أن له صانعا ، والاستدلال على مخالفة كل نقيض لنقيضه ولذلك وجب وصف الله سبحانه بأنه شيء لا كالأشياء ، وانه ليس كمثله شيء ، وكذلك الاستدلال بمعلوم النشأة الأولى على جواز ما يكون من النشأة الأخرى ، ومما قد نبه الله به على ذلك قوله سبحانه :"ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" [الواقعة/٦٢] وقوله :"قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم"[٤] [يس/٧٩].

وينبغي على المرء ألاّ يرخص لنفسه في تجويز أن يؤدى النظر والاستدلال الى خلاف شيء مما يعلم ضرورة أو بالإجماع وذلك لان المعلوم ضرورة أو المعلوم بالإجماع لا يجوز الغلط فيه ولا الالتباس كما يجوز في النظر والاستدلال ، ولذلك يجب أن يستشهد بالضروري على صحة الاستدلال ولا يحكم الاستدلال على الضروري ولا المختلف فيه على المجمع عليه[٥].

---

(١) هذا مذهب أبي الهزيل العلاف الذي قال: "إن حركات أهل الجنة تنقض فيصيرون إلى سكون دائم" (الأشعري مقالات الإسلاميين، جـ٢، ط الثانية، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٦، ص ١٦٧.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٧٧ شمال.

(٣) المرجع السابق ، لوحة ٥٢ شمال.

(٤) المرجع السابق ، لوحة ٥٢ شمال.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٦

وهذا القياس الاستدلالي هو قياس واقعي ينطلق من الواقع ولذلك يحتمل الخطأ مما يجعله يختلف عن القياس المنطقي من حيث أن طريقة الفلاسفة هي التأصيل للمقدمات المغلطة الاصطلاحية والتفريع عنها بالقياسات المبدعة الوهمية التي تميل إلى سماعها النفوس وتنفر عن مغالطها العقول[١] . ولهذا الأمر يتضح – كما يرى الإمام حميدان – مدى خطأ المعتزلة والإسماعيلية والعامة الذين سلكوا طريقة الفلاسفة في القياس المنطقي.

ومن المعلومات ما طريق معرفته خبر من يجب قبول خبره إما لحكمته وإما لعصمته وإما لوجوب طاعته . وهذا الطريق يشتمل على الكتاب والسنة وإجماع الأمة أو العترة وأقوال أئمة الأعصار وهم أولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم مع طاعته وطاعة رسوله وأمر بسؤالهم والرد إليهم وهو سبحانه لا يأمر بسؤال من لا يجب قبول أخباره عما سئل عنه[٢]، ويجب على الإنسان المبتلى أن يعلم أن أدلة العقل مقدمة على أدلة السمع بمعنى أنه لا يجوز القنوع بالتقليد فيما يجب معرفته بالعقل وأنه لا يحتج بالفرع على من ينكر اصله[٣]. ولقد قنعت الصوفية والباطنية بالتقليد بل قد غالوا في هذا التقليد حتى مدحوا كبرائهم ووصفوهم بصفات الإله تعالى[٤]، وكذلك لم ينج من التقليد لا المعتزلة[٥] ولا علماء العامة[٦].

كما يجب على الإنسان المبتلى أيضا أن يعلم أن الضروري من المعلومات مقدم على الاستدلالي ، بمعنى أنه كاف في الاستدلال ، وأنه لا يجوز أن يتوصل بالنظر والاستدلال الى مخالفته .

والكتاب مقدم على السنة بمعنى انه لا يجوز مخالفة محكم الكتاب بما ينسب الى السنة لأنه يجب عرض ما أختلف فيه من السنة الى محكم الكتاب.

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٠ شمال.
(٢) المرجع السابق ، لوحة ٥٢ شمال.
(٣) المرجع السابق.
(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٦ .
(٥) المرجع السابق.
(٦) المرجع السابق ، لوحة ٢٧ يمين.

والسنة مقدمة على الإجماع بمعنى انه لا يجوز دعوى الإجماع على ما يخالف محكم السنة. والإجماع مقدم على أقوال أولي الأمر بمعنى انه لا يجوز أن ينسب الى الأئمة الهادين ما يخالف الإجماع.

ثم أقوال الأئمة مقدم على ماعداها بمعنى أنه لا يجوز معارضة الأئمة بأقوال مخالفيهم[١] أو بالتأويل لان التأويل لا يجوز إلا لعلماء الأئمة دون غيرهم، لأنه لو جاز لكل عالم من فرق الأمة أن تتأول مع اختلافهم للزم أن يكون الله سبحانه أمر بالاختلاف والتفريق اللذين نهى عنهما تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولبطل معنى التمييز بالامتحان الذي أخبر سبحانه أنه يميز به الخبيث من الطيب ولو بطل ذلك لبطل معنى الثواب والعقاب[٢].

وما ينبه على النظر في معاني هذا الفصل من كلام النبي صلى الله عليه قوله :"تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق[٣]. وقوله :"أنا مدينة العلم وعلى بابها"[٤] وغير ذلك مما ينبه على معرفة طرق العلم والأخذ له من أهله[٥].

وأخطاء المعتزلة إنما جاءت نتيجة لمخالفتهم في ذلك لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والاستغناء بعقولهم عمن أمرهم الله سبحانه سؤاله والرد إليه إلى ابتداع مالا يعقل[١].

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٢-٥٣.

(٢) المرجع السابق، لوحة ٦٩ يمين.

(٣) رواه الشيخ العجلوني في كتابه كشف الخفاء بلفظ "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله" ثم رواه بعد روايات وبأسانيد مختلفة وقال عنه :"وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسبه قوة ومعناه صحيح. (العجلوني: كشف الخفاء "، حـ١، تصحيح وتعليق احمد القلاش، مكتبة التراث، حلب، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص ٣٧١-٣٧٢).

(٤) هذا حديث مضطرب غير ثابت كما قال الدارقطني في العلل، وقال الترمذي منكر، وقال البخاري ليس له وجه صحيح، ونقل البغدادي عن يحيى بن معين انه كذب لا أصل له (المرجع السابق، ص ٢٣٥).

(٥) الإمام حميدان التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٣

ووجه الحكمة في هذا النوع من الابتلاء فهو التمييز بين من يقف بعقله على حده وفرضه وبين من يتعد الحدود بوهمه ويتعاطى معرفة مالا علم له به[٢].

ولما انه قد تبين أن علماء المعتزلة والعامة والصوفية والباطنية وغيرهم من الفرق الأخرى لم يلتزموا بحدود عقولهم وحواسهم مما أدى الى اختلافهم لذا يدعونا الإمام حميدان لأخذ العلم من أهله ، وأهله هم الذين التزموا حدود عقولهم[٣]. والذين التزموا حدود عقولهم هم أئمة العترة من الزيدية الذين لزموا الاحتياط وعلموا أن الرجوع الى الكتاب والسنة مما يعم به البلوى[٤].

المقدمة الثالثة : البلوى بمقارنة هوى النفس بالعقول:

يرى الإمام حميدان انه لكي يتضح مفهوم البلوى في اختلاف العقل عن النفس لابد من ذكر أقوال المختلفين في العقل والنفس ما هما ؟ وأين هما ؟ والى ذكر جملة مما يعرف به الفرق بينهما. ثم ذكر الحكمة في مفارقة العقل للنفس.

أولا : ذكر أقوال المختلفين في العقل والنفس :

جملة المشهور من الأقوال في العقل والنفس ستة أقوال هم :

١- قول أئمة العترة عليهم السلام ومن قال مثل قولهم : يرى أئمة العترة أن العقل والنفس من جملة الأعراض التي خلقها الله سبحانه وجعل محلها القلب ، وأن مثل حلول العقل فيه كمثل حلول البصر في العين ، ولذلك قال سبحانه :"لهم قلوب لا يفقهون بها" [الأعراف/١٧٩] ، وقال :"فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [الأنبياء/٤٦]. وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم :"اللسان معرفة

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ١٠٢ شمال.

(٢) المرجع السابق: لوحة ٥٢ يمين .

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٦٨ شمال.

القلب" وقال: "المرء مخبوء تحت لسانه"[١]. ومثل حلول النفس فيه كمثل حلول حرارة النار في النار ، ولذلك قيل إنها تقوى بالوساوس كما تقوى النار بالحطب[٢].

٢- قول الفلاسفة : زعم الفلاسفة[٣] أن العقل الأول من العقول العشرة التي زعموا أنها قبل الزمان والمكان هو أول منفعل انفعل من العلة الأزلية التي وصفوها بأنها علة العلل ، وأنها واحدة لا كثرة فيها ، وأنه لا يصدر عنها إلا معلول واحد ، وان صور جميع الأشياء كامنة فيها قبل ظهورها وموجودة فيها بالقوة قبل وجودها بالانفعال ، قالوا : وذلك العقل الأول هو العقل الكلى وسائر العقول جزئيات له ، والنفس المتخلقة منه هي الكلية وسائر النفوس جزئيات لها ، قالوا : وهذه النفس الكلية إذا أضيفت الى ما بعدها من العقول فهي عقل ، وما أشبه ذلك من أقوالهم التي هي الأصل لكل غال ومنها تفرعت كل بدعة باطلة نحو قول الماجوس[٤] إن الميت منهم إذا لقي النار صعدت به الى النور .. ونحو قول الأشعرية بالإرادة القديمة التي أضافوا إليها أفعال العباد ، وقول المعتزلة بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل[٥].

ويبطل الإمام حميدان هذا المذهب بعدة أمور هي :

١- أن هذا المذهب على الجملة إنما هو مذهب مخالف لمذهب أهل ملة الإسلام فيما الحق فيه واحد ، وذلك ظاهر إذ ليس غرضهم إلا نفى الصانع المختار وتعطيل الشرائع وإنكار القول بالبعث والحساب، وقد تبين بالأدلة الصحيحة صحة الإسلام وبطلان كل ما خالفه.

---

(١) لم أعثر على هذين الحديثين لا في كتب الصحاح ولا في الموضوعات.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٦ يمين.

(٣) هذا تعميم غير مقبول من الإمام حميدان لان المذهب المذكور ليس مذهب كل الفلاسفة وانما هو مذهب أفلوطين (انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ، طبعة دار العلم ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص ٢٩١-٢٩٥).

(٤) المجوسية : يقال لها : الدين الأكبر ، والملة العظمى ، واثبتوا اصلين اثنين مدبرين قديمين : يقسمان الخير والشر .. أحدهما النور والآخر الظلمة (الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٨).

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٧.

٢- إن هذا المذهب بدعة استنبط بدقة نظر ، ومع ذلك وصفت وسميت "بالعلوم الإلهية" فجرت في ذلك مجرى ما ذم الله سبحانه :"إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن" [النجم/ من الآية ٢٣].

٣- أن هذه الأقوال خارجة عن حد العقل لوجهين : أحدهما : تفكرهم في كيفية مبدأ الخلق، وما أشبه ذلك من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وكذلك قال سبحانه : "ما أشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم" [الكهف/ من الآية ٥١]. والثاني : إنكارهم لما يعقل واثباقم مالا يعقل. أما إنكارهم لما يعقل فنحو كون أنواع المتولدات من الحيوان والنبات وما فيها من جنس التدبر والتركيب دالا على صانع مختار ، وأما إثباقم لما لا يعقل فنحو تجويرهم لكمون الضد في ضده ووجوده قبل وجوده وقدمه قبل حدثه ، وما أشبه ذلك من المحالات الخارجة عن حد العقل.

٤- إن أكثر عباراقم متناقضة في اللفظ والمعنى نحو وصفهم للعلة الأزلية بأنها واحدة لا كثرة فيها ونقضهم لذلك بقولهم إن صور جميع الأشياء كامنة فيها ، وكل مكمون فيه فالكامن بعضه أو في بعضه، وكل ماله بعض فليس بواحد على الحقيقة ولا بأزلي[1].

٣- قول من جمع بين الفلسفة والإسلام (أي الإسماعيلية) : تزعم الإسماعيلية أن العقل هو أول مخلوق خلقه الله سبحانه قبل الزمان والمكان واحتجوا على ذلك بخبر رووه وهو "أن الله سبحانه وتعالى لما خلق ذلك العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر"[2].

ويبطل الإمام حميدان موقف الإسماعيلية هذا فيقول :"إن هذا الخبر أما أن يكون محمولا على ظاهرة أو متأولاً ، فان كان محمولا على ظاهرة وجب القطع على كونه

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ١٧-١٨.

(٢) قال ابن تيميه وغيره أنه كذب موضوع باتفاق وقال السخاوى والسيوطى ... وهو مرسل جيد الإسناد ... فليس الحديث بموضوع ، وقال الحافظ ابن حجر : والوارد في أول ما خلق الله حديث أول ما خلق الله القلم، وهو اثبت من حديث العقل" (العجلوني : كشف الخفاء ، حـ١ ، ص ٢٧٥).

مكذوبا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأجل تناقضه وتضمنه لمعنى النسبية وللجهل بالفرق بين صفة العقل وصفة العاقل.

فأما تناقضه فلأن الإدبار بعد الإقبال والإقبال قبل الإدبار لا يعقل إلا إذا كان بينهما وقت يعرف به التمييز بينهما ، وكذلك الإقبال الى المقبل إليه والإدبار عنه لا يعقل إلا إذا كان بينهما مسافة وكان كل منهما في مكان غير مكان الثاني ، فإن قالوا هو معقول بطل قولهم بنفي الزمان والمكان وإن كان غير معقول فإثباتهم له عبث . وأما كونه متضمنا لمعنى النسبية فإن المفهوم من تجويز الأمر بالإقبال والإدبار هو كون الآمر والمأمور متقابلين وما بينهما لا يعقل إلا إذا كان كل واحد منهما في جهة مقابلة لجهة الثاني ، وان يفتح بصره على ما أقبل به إليه دون ما أدبر به عنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1]. وأما تضمنه للجهل بالفرق بين صفة العقل وصفة العاقل فلأن العقل صفة والعاقل موصوف حاله ، والموصوف مخلوق فيه والحال غير المحلول ، ولان المأمور المنهي المميز بين ما أمر به ونهى عنه لا يكون إلا عاقلا يعقل هو غيره وهذا هو المعقول المعلوم بالمشاهدة . ولان العقل لو كان يجوز أن يوصف بصفة العاقل لاحتاج كل عقل الى عقل الى مالا نهاية له وذلك محال بالإجماع . وأما كون ذلك الخبر متأولا على غير ما يفيده بظاهره لم يكن لهم فيه حجة وكل دعوى بلا حجة فهي باطلة بالإجماع[2].

٤- **قول المعتزلة** : تزعم المعتزلة أن العقل مجموع عشرة علوم ضرورية[3]، وذلك تكلف منهم وتوهم لما لا طريق لهم إلى معرفة ماهيته وكيفيته لأجل كون العقل جاريا مجرى السمع والبصر وما أشبهها مما لا يعلم ولا يتوهم.

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) يرى ابن متويه أن جملة علوم العقل لا تخرج عن أن تكون علما بالأعيان وأحوالها أو علما بالأحكام وافعالها: ثم يذكر تحت النوع الأول ١- علم المرء بأحوال نفسه أو كثير منها ٢- العلم بالمدركات عند سلامة الأحوال. ٣- العلم عما لا تدركه . حيث انه ليس يبلغه العلم. ثم ذكر ثلاثة علوم متعلقة بهذا النوع وهي

١- القسمه كالعلم بأن المعلوم إما أن يكون موجوداً أو معدوماً ٢- العلم باستحالة حصول الجسم في الوقت الواحد في مكانين. ٣- العلم بأنه يتعذر على الجسم خاصة أن يحل الجهتين في مكان واحد.

ومع ذلك فلو صح قولهم لما جاز أن يتفاضل العقلاء في العقل لأجل كون تلك العلوم فيهم بزعمهم على سواء والمعلوم خلاف ذلك . كما أن العلوم الضرورية أكثر من عشرة وتخصيصهم لبعض منها دون غيره دعوى مبدعة لا دليل على صحتها من عقل ولا سمع ولا قال بذلك أحد قبلهم ولا بعدهم إلا من قلدهم بغير دليل[١].

٥- **قول الطبيعيين** : زعم الطبيعيون أن العقل في الدماغ واحتجوا على ذلك بكي الدماغ . والذي يدل على بطلان ذلك ما تقدم ذكره من نصوص الكتاب والسنة على أن العقل في القلب[٢] ، ولذلك وصف الله سبحانه قلب من لم يستعمل عقله بالعمى والعمى هو ذهاب بصره وبصره هو العقل كما أن عمى العين ذهاب بصرها. وأما كي الدماغ فاكثر الآلات الباطنة تكون لأوجاعها في غيرها من ظاهر الجسم[٣].

٦- **قول المطرفية** : تزعم المطرفية أن العقل هو القلب بناء على أصلهم الباطل أن صفة الجسم هي الجسم واحتجوا بقوله سبحانه :"قلوب يعقلون بها" [الحج/ من الآية٤٦] وقوله :"لمن كان له قلب" [ق/ من الآية٣٧].

والذي يدل على بطلان قولهم إن العقل هو القلب وتحريفهم لمعنى الاثنين هو عدم المخصص بقلب دون قلب فيلزمهم لأجل ذلك أن يعتقدوا أن الله سبحانه خاطب كل ذي

وتحت النوع الثاني يذكر ابن متويه العلوم الآتية ١- العلم بتعلق الفعل بفاعله على الجملة. ٢- العلم بمقاصد المخاطبين ما تجلى منها ٣- العلم بأن ما يستند الى الخبر يصح حصوله لنا ابتداء من فعل الله تعالى وإن لم تتقدم الخبر ٤- العلم بقبح كثير من المقبحات وحسن كثير من المحسنات من ...٥- أن يعلم ويحفظ عند الدرس الكثير والممارسة الطويلة ٦- أن يحصل علم بمخبر الأخبار (ابن متويه ، التذكرة ، جـ٢، مخطوط ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ٢١٠/ علم كلام ، وصورتها بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢١٠ ، لوحة ١٢٧). وانظر أيضا (د.سعيد مراد ، ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية ، مكتبة الأنجلو ، سنة ١٩٩١م ، ص ١٩٤-١٩٦).

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٨

(٢) هذا الأمر من الأمور الغيبية التي ينبغي علينا أن نرجع في معرفتها الى السمع وقد أخبرنا خالق الإنسان أنها في القلب ، فيجب علينا أن نسلم بذلك دون أن نجهد أنفسنا حيث كفانا الدين ذلك.

(٣) المرجع السابق، لوحة ١٩ يمين.

قلب من الحيوانات ومعلوم خلاف ذلك[١]. والحقيقة أن هذا الإلزام من جـــانب الإمـــام حميدان للمطرفية إلزام ضعيف وذلك لان الله سبحانه وتعالى خلق السنا لكل الحيوانـــات ولكن خص الإنسان بالكلام دون سائر الحيوانان وخلق أعينا لكل الحيوانات ولكن خـص الإنسان بتمييز الألوان دون سائر الحيوانات.

وأما قولهم إن صفة الجسم هي الجسم فلو صح ذلك للزم أن يكون الجسم الواحـد موجودا معدوما في حالة واحدة لأجل جواز وجود بعض صفاته وعدم بعضـــها في حالـة واحدة وذلك محال وكل قول يؤدى الى المحال فهو محال[٢]. ونحن لا نوافق – مع الإمـــام حميدان – المطرفية في قولهم بان صفة الجسم هي الجسم ، ونرى أن رأى الإمام حميدان بـلن حلول العقل في القلب كحلول البصر في العين هو الصواب ذلك لأنه بتقدم الطب وظهور زراعة القلب الصناعي لم يثبت أن استبدال قلب الإنسان بقلب آخر يفقد الإنسان هويتــه الفكرية –التي كان لابد منها على رأى المطرفية.

بهذا يؤكد الإمام حميدان أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى الناس في تحديـــد مفـــهوم العقل ليرى من يتعدى حد عقله ويخوض في ضرب من الوهم وبين من يلتزم حـــد عقلـــه وحد المسموع، وقد التزم الأئمة وحدهم دون غيرهم حد العقل وحد السمع حين قـــالوا بأن العقل محله القلب مما يؤهل الأئمة – دون غيرهم – لأن يكونوا أهلا للنظر واليقـــين ، ويلزم الناس كل الناس باللجوء إليهم.

ثانيا : ذكر جملة مما يعرف به الفرق بين العقل والنفس :

يعرف اختلاف العقل عن النفس في ستة أمور بعد الاشتراك في كون كل منـــــهما عرضا حالا في القلب.

١- **اختلافهما في لفظ التسمية ومعناها :** لأن تسمية العقل عقلا خاص له وقيـــل إنه مشتق من عقل بواد الإبل بالعقال لأنه يعقل من نظرية عن الجهل وقيل لأنه يعقـل الحكمة في القلب أي يمنعها من الذهاب ، وله مع ذلك أسماء مترادفة نحـــو اللـــب

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

والحجر . بينما لفظ النفس مشترك فيه ما يراد به الإنسان في مثل قوله سبحانه : "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها" [النحل/ من الآية١١١] وفيه ما يراد به الروح مثل قوله سبحانه :"الله يتوفى الأنفس حين موتها" [الزمر/ من الآية ٤٢] وفيه ما يراد بــه الدم نحو ما في الشرع "مالا نفس له سائلة" وفيه ما يذكر مجازا وهو متأول نحو قــول الله سبحانه :"تعلم ما في نفسي" أي ما أخفي "ولا أعلم ما في نفسك" [المائدة/ مــن الآية ١١٦] أي ما حجبت علمه عني ، وفيه ما يراد به النفس المقارنة للعقل وهــي هذه التي نعرض ذكر الفرق بينها وبينه[١].

٢- **اختلافهما في الوجود** : وذلك لأن الله سبحانه جعل وجود النفس ملازمــا لأول وقت وجود الحياة لأجل كون الحي من البشر مشتهيا ونافرا والشهوة والنفرة مــن طبائع النفوس التي فطرها الله سبحانه عليها لما في البلوى بذلك من المصلحة والحكــم النافعة . ومثلها في البلوى بتقديم وجودها واستحواذها على القلــب واســتخدامها للحواس في حال مغيب العقل المؤثر عليها وعلى جميع الحواس كمثل من يملكــه الله سبحانه من ملوك أهل الدنيا بالتمكين والتخلية والإمهال حتى يتصــرف في البــلاد والعباد في حال مغيب من يبعثه الله سبحانه بعد ذلك من رسله إليه أو مــن يقــوم مقامهم ليزجره عن غيه ويمنعه من بغيه[٢].

ونظرة الإمام حميدان هذه إلى النفس والعقل تشبه إلى حد كبير نظرة أفلاطون الذي ميز في النفس بين ثلاث قوى وهي القوة العاقلة أو الناطقة ، والقــوة العصبيــة والقــوة الشهوانية ، والصراع يتم بين القوة الناطقة والقوة الشهوانية بهدف السيطرة على الكيــان الإنساني[٣].

وكما أثرت نظرية أفلاطون في النفس والعقل في نظريته السياسية حيث نجد مدينتــه الفاضلة تشبه النفس ، حيث إن المدينة الفاضلة لها ثلاث وظائف وهي الإدارة والدفــاع

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ١٩ شمال.

(٢) المرجع السابق.

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، طبعة دار القلم ، بيروت ، لبنان ، د.ت ، ص ٨٩.

والإنتاج – تقابل قوى النفس الثلاثة : الناطقة والغضبية والشهوانية[١]. فكذلك أثـــرت نظرية الإمام حميدان في النفس والعقل في نظريته السياسية حيث نجد المجتمع عنده – كمـــا هو واضح – ينقسم الى أئمة العترة – القائمين مقام الرسل – والى غيرهم وهذه القســـمة تقابل العقل والنفس في الإنسان . وكما أن فساد النفس عند أفلاطون في سيطرة القـــوة الشهوانية عليها فكذلك فساد المجتمع في سيطرة أولئك الذين وظيفتهم الإنتاج ، وكذلـك الأمر عند الإمام حميدان ، ففساد الإنسان عنده بسيطرة النفس وفساد المجتمع بســيطرة – من يمثل النفس من ملوك الدنيا ، وصلاح الاثنين بسيطرة العقل وسيطرة الأئمة الهادين.

٣- **اختلاف صفاتهما** : وذلك لأن من صفات العقل كونه هاديا إلى الرشاد ومميزا بين الصدق والكذب في الأقوال والحق والباطل في الاعتقادات والخير والشر في عواقــب الأعمال ، وداعيا إلى التخلق المحمود بالأخلاق نحو الحلم والكرم والصبر وما أشــــبه ذلك، وأما النفس فكما قال الله سبحانه وتعالى :"أمارة بالسوء" وموسوسة وسـوالة ، وداعية إلى مذموم الأخلاق نحو الجزع والهلع والشح والطيش وما أشبه ذلك[٢].

والحق أن النفس ليست كلها شريرة وأمارة بالسوء – كما يرى الإمام حميـــدان – وإنما هذه نازعة في النفس تقابلها نازعة أخرى خيرة. قال تعالى :"ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها" [الشمس/٧-٨]. فقوله سبحانه :"ونفس ومـــا ســـواها" أي خلقـــها مستقيمة على الفطرة ... وقوله :"فألهمها فجورها وتقواها" أي فأرشــــدها إلى فجورهـــا وتقواها... وقيل بين لها الخير والشر[٣]. وقال سبحانه :"فلا أقســـم بـــالنفس اللوامـــة" [القيامة/٢] قال الحسن البصري في هذه الآية إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه : مـــا أردت بلكمتي ، ما أردت بأكلتي ، ما أردت بحديث نفسي ، وقال غيره النفس اللوامة هي التى تلوم على الخير والشر[٤].

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٢٠.

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مجلد ٤ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٩٨٠، ص ٥١٥-٥١٦.

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٧-٤٤٨.

٤- **اختلافهما في النظر والاستدلال** : وذلك لأن نظر العقل هو التفكر في الصنع من حيث هو حكمة ونعمة ، والتدبر لما حكى الله سبحانه من الآيات الدالة عليه والقياس لما لم يعرف وجه الحكمة فيه على ما عرف. ونظر النفس ظن وتوهم وتتبع لمواضع الشبه والمتشابه وقياس ما عرف وجه الحكمة فيه على ما لم يعرف من الحيوانات المؤذية والضارة وما أشبه ذلك مما يدلس به أهل الزندقة على المتعلمين(١).

٥- **اختلاف مادتهما** : وذلك لأن العقلي مستمد من توفيق الله سبحانه وتسديده ولذلك قال سبحانه:"والذين اهتدوا زادهم هدى" [محمد/ من الآية ١٧] ويستمد من محكم الكتاب والسنة وعلوم أئمة الهدى والنفس يستمد من وساوس الشيطان ومن الشبه والمتشابه ومن علوم علماء السوء ، ولذلك قال الله سبحانه :"يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا" [الأنعام/ من الآية ١١٢](٢).

٦- **اختلاف أحوال اتباعهما** : وذلك لأن المتبع لعقله يقف عند حد قدرة لئلا يجهل فضل من فضله الله عليه ، ويقف عند حد عقله لئلا يغلو في دينه غير الحق والمتبع لهوى نفسه يخوض فيما وراء حد عقله ويتكبر على من هو أفضل منه ويحسده ولذلك قال الله سبحانه:" أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون" [البقرة/ من الآية ٩٧] وقال :"فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين"(٣) [القصص/٥٠].

بهذه الفروق يعلم ضلال كل معطل ورافض ، وكذب كل مدع أن عقله دله على صحة مخالفته للحق وأهله ، ويعلم به الفرق بين ما يعلم ولا يتوهم

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٠ يمين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

نحو البارئ سبحانه وما يتوهم ولا يعلم نحو ما تقدم ذكره من بدع الفلاسفة وغيرهم ، ويعلم به الفرق بين العالم والمتوهم[١].

هكذا يتضح أن الإمام حميدان يجعل من هذه الفروق مدخلا لمذهبه إذ أنه بهذه الفروق نعلم أن الذي يقف عند حد عقله وحد السمع هو المتبع لعقله والكتاب والسنة وهو الأجدر بالاتباع دون غيره ، والذي يتخطى حدوده هو المتبع لهوى نفسه وهو الأجدر بان ينفر منه ومن علمه والأئمة وحدهم – كما اتضح – هم الذين يقفون عند حد العقل وحد السمع ومن ثم فهم الأجدر بالاتباع دون غيرهم.

ثالثا : الحكمة في مفارقة العقل للنفس :

يرى الإمام حميدان وجه الحكمة في خلق العقل هو كونه نعمة من اتم النعم وحجة من ابلغ الحجج ، وكونه هاديا الى طريق النجاة ، ووجه الحكمة في خلق النفس هو ما فطرت عليه من محبة ما لابد من إصلاحه من أمور الدنيا ، ووجه الحكمة في مفارقة النفس للعقل هو ما أراد الله سبحانه في ذلك من الاختبار والامتحان[٢] وذلك من اجل التمييز بين عباده لان الله سبحانه لو أخلى العقول المركبة في البشر من هوى النفس لم يظهر الفرق بين من يحكم عقله على هوى نفسه وبين من يؤثر هوى نفسه على عقله ، ولا الفرق بين الملائكة عليهم السلام وغيرهم ، ولو أخلى الله هوى نفوس المكلفين من البشر عن العقول لأشبهوا البهائم ولأجل عظم البلوى بالنفس ضرب لها المثل بالعدو الذي إن أغفلت عنه لم يغفل عنك ، ولذلك وصفها الله سبحانه بأنها أمارة بالسوء ومسولة للقبيح وضرب المثل للعقل بالحكيم الذي إن طلبته وجدته وإن غفلت عنه لم يطلبك ولذلك قال سبحانه :"لهم قلوب لا يفقهون بها" [الأعراف/ من الآية ١٧٩] وقال :"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" [محمد/٢٤][٣].

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق ، لوحة ١٧ شمال.
(٣) المرجع السابق، لوحة ١٧ شمال

وإتباع هو النفس هو سبب كل معصية لله ولرسوله وسبب الاعتراض بالشبه على الأدلة وبالمتشابه على المحكم وبأئمة الضلال وعلماء السوء على أئمة الهدى[١] حيث يظاهر أئمة الضلال وعلماء السوء واتباعهم على عداوة أئمة الهدى والصد عنهم وعلى المعارضة لأدلة العقول بشبه أوهام النفوس[٢] . ولأجل عظم البلوى بهوى النفس سمى النبي صلى الله عليه وعلى آله جهادها الجهاد الأكبر* [٣].

ومما ينبه على ذلك من كتاب الله سبحانه قوله تعالى :"أو كلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون" [البقرة/٨٧] وقال :"إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" [النجم/٢٣] وقوله :"وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى" [النازعات/٤٠-٤١][٤]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :"إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث : إما من شبهة في الدين ارتكبوها أو شهوة للذة آثروها أو عصبية لحمية أعملوها[٥]. وقال :"أني أخاف على أمتي أعمالا ثلاثة : زلة عالم وحكم جائر وهوى متبعا"** [٦].

والأئمة عليهم السلام هم وحدهم الذين آثروا عقولهم على أنفسهم بينما آثر غيرهم من علماء العامة أهواء نفوسهم على عقولهم ، وذلك لأن علوم الأئمة عليهم السلام مبنية على أصول صحيحة معلومة وموضوعه بألفاظ فصيحة معلومة سلكوا بها طريقة العرب في الخطاب بالمجاز واقتدوا بألفاظ الكتاب والسنة في السمع والإيجاب ،

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٣ يمين.
(٢) المرجع السابق ، لوحة ٥٥ يمين.
* ورد عن النبي انه قال :"رجعنا من الجهاد الأكبر الى الجهاد الأصغر : قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهاد القلب". قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة ، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة (العجلوني : كشف الخفاء ، حـ١ ، ص ٥١١).
(٣) الإمام حميدان بن حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٣ شمال.
(٤) المرجع السابق
(٥) لم أعثر عليه لا في كتب الصحاح ولا في كتب الموضوعات.
** رواه البزار وفيه كثير بن عبد الله بن عوف وهو متروك، وقد حسن له الترمذى [الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جـ١ ، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٦، ص ١٩٢].
(٦) المرجع السابق ، لوحة ٥٣ شمال.

وليس كذلك اكثر علوم مخالفيهم من علماء العامة فإنها مبنية على أصول أكثرها مجهولة ومختلفة وموضوعة بألفاظ أكثرها متكلفة ومزخرفة سلكوا بها طريقة الفلاسفة في استعمال الموضوعات المنطقية والتأصيل للمقدمات المغلطة الاصطلاحية والتفريع عنها بالقياسات المبدعة الوهمية التي تميل الى سماعها النفوس وتنفر عن مغالطها العقول[١].

المقدمة الرابعة : البلوى باشتمال القرآن على المحكم والمتشابه :

يرى الإمام حميدان أن المحكم من كتاب الله سبحانه من جملة ما فضله الله على غيره وجعله إماما يقتدي به نحو العلم الضروري الذي جعله الله أصلا يبنى عليه ويرجع في كل ما أختلف فيه من العلوم الاستدلالية إليه ، ونحو من اصطفى من الملائكة والناس للرسالة ومن أوجب طاعته وسؤاله والرد إليه وكذلك المحكم جعله الله سبحانه أصلا وقدوة كما قال سبحانه : "آيات محكمات هن أم الكتاب" [آل عمران/ من الآية ٧] أي أصله الذي يجب تحكيمه على المتشابه[٢].

والفرق بين صفته وصفة المتشابه أن المحكم هو كل قول يفهم معناه من ظاهر لفظه ولو حمل على غيره لم يعقل مثل قول الله سبحانه :"لا تدركه الأبصار" [الأنعام/ من الآية ١٠٣] وذلك لأنه لا خلاف في أن إدراك الأبصار هو رؤية العيون وأنه لا يعقل جملة على غير ذلك. والمتشابه هو الذي لا يفهم معناه من ظاهر لفظه ، إما لأجل كونه لفظا مشتركا بين معان ، وإما لكونه مما يستعمل مجازا لا حقيقة مثل قول الله سبحانه وتعالى :"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" [القيامة/٢٢-٢٣] ، وذلك لأن لفظ النظر مشترك بين النظر الذي بمعنى النظر والنظر الذي هو بمعنى الانتظار ، فلذلك لم يفهم معناه إلا بعد تأويله ، وقد دل الدليل على أن الله سبحانه لم يرى لان الله سبحانه قد نفاه في جوابه لموسى عليه السلام حين قال :"ربي أرني انظر إليك قال لن تراني" [الأعراف/ من الآية ١٤٣] فدل بنفيه للرؤية على أن النظر الذي أراد موسى عليه السلام هو نظر الرؤية وعلى أنه سبحانه لا يرى وعلى أن المحكم هو قوله سبحانه:"لا تدركه الأبصار"[٣].

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ٨٠ شمال.
(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ شمال.
(٣) المرجع السابق.

ووجه الحكمة في اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه أن الله سبحانه لــو جعلـه ضربا واحدا جليا علمه مستمرا حكمه لم يظهر به الفرق بين المؤمن بلسانه وقلبه والمؤمـن بلسانه دون قلبه ، ولو لم يظهر لم يتميز بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عدو أئمة الهدى من وليهم ولذلك جعله الله سبحانه مشتملا على المحكم والمتشابه والمجمـل والمبـين والناسخ والمنسوخ وأشباه ذلك مما لأجل البلوى به ظهر كل مؤمن بلسانه متبع لهوى نفسه وشكه لأجل أن يعارض الكتاب والسنة بزخرف التأويلات ومبتدع الروايات المستحيلات فبذلك تبين رفضه للائمة الهادين وظهر الفرق بينه وبين المخلصين للدين وعظمـت بـه البلوى على المسترشدين والمقلدين. ومما يؤكد صحة ذلك من كتاب الله سبحانه قوله :"هو الذي أنزل الكتاب فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، فأمـا الذيـن في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ومـا يعلـم تأويلـه إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألبـاب" [آل عمران/٧][١].

وبهذا يتبين أن المجبرة من جملة من أخبر الله سبحانه أنهم اتبعوا المتشابه لأجل مـا في قلوبهم من الزيغ[٢]. وكذلك المرجئة اتبعوا المتشابه حين زعموا أن الله سبحانه قد يخلـف وعيده لأهل النار بالخلود فيها واحتجوا على ذلك من المتشابه والسنة بما لا حجة لهم فيه ، أما المتشابه فنحو قول الله سبحان :"لابثين فيها أحقابا" [النبأ/٢٣] وقوله :"خالدين فيها"، ثم استثنى بقوله :"إلا ما شاء ربك" [هود/١٠٧]. والرد عليهم أن هـذه الآيـات ومـا أشبهها من جملة المتشابه والمجمل الذي بينه الله سبحانه بالآيات التي أكدها بالتأكيد الذي لا انقطاع له وتحكيم المحكم المبين على المتشابه المجمل واجب لا يجوز خلافه مع أنه لم يـرد في ذلك إلا ما حكاه الله سبحانه من قول الكفار :"لن تمسنا النار إلا أياما معدودة" [البقـرة/ من الآية ٨٠] وتكذيبه سبحانه لهم بقوله :"قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عـهده

---

(١) الإمام حميدان:التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٢٥ شمال.
(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ شمال.

أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون". [البقرة/٨١][1].

المقدمة الخامسة : البلوى في استعمال المجاز مع الحقيقة فى كثـــير مـــن الأسماء والعبارات:

يرى الإمام حميدان أن استعمال المجاز مع الحقيقة ظاهر في إباحة الله سبحانه وتعـــالى لعبادة أن يتسموا مجازا بما هو من أسمائه حقيقة نحو الملك والقادر ، وإضافته الى نفسه مجازا ما هو من صفاتهم حقيقة نحو العين ونحو اليد وذلك هو الذي يجب أن يحمل عليه كل اســـم سمى به الله وغيره من الأسماء المشتركة في اللفظ دون المعنى.

ولا يجوز أن يجعل من قبل أسماء الأجناس التي يتوصل بها الى القياس لكون أسمـــــاء الأجناس من خصائص المحدثات التي يتعالى سبحانه عنها لقوله الله سبحانه :"ليس كمثلـــه شيء" [الشورى/١١] فإذا لم يكن له مثل فليس له جنـــس ، وإذا لم يكـــن لـــه جنـــس فالمشاركة له بينه وبين غيره مما يتوصل به الى القياس له على غيره يكون إلحادا في أسمائـــه وعدولا عن طريق معرفته وتحريفا للكلم عن مواضعه ، وتلبيسا على من لم يميز بـــين مـــا يكون من الأسماء مشتركا بين أشياء مختلفة نحو العين والوجه وما يكون من الأسماء مســـما بأسماء مترادفة نحو وجود الشيء وثبوته ، وكونه أو كنهه ، وذاته وعينه ، أو قدمه وأزله ، وحدوثه وتجدده إذا أريد بالتحديد كونه بعد أن لم يكن ، وما يدل من الأسماء على نفـــي المسمى نحو العدم والمعدوم ، وما يدل على إثبات مسمى غير مكيف مجانس نحو الجســـم والحيوان ، وما يدل على إثبات صفة زائدة على ذات الموصوف نحو القادر من المخلوقـــين لكونه قادر بقدرة وأشباه ذلك من تصاريف الكلام واختلاف معاني الأسماء والعبارات[2].

بهذا يرى الإمام حميدان أنه لابد لنا أن نسعى الى معرفة المسمى قبل الاسم لكـــون معرفة الاسم فرعا على معرفة ما سمي به ولأجل كون كثير من الأسماء موضوعا على غـــير

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ٣٩.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٤ شمال.

مسماة[١]. ولهذا أيضا افترض الأئمة معرفة الاسم والمسمى وان الاسم غير المسمى لان المسمى يعرف بالصنع والدليل والاسم يعرف من طريق السمع[٢].

ومن هنا يتضح خطأ كل من زعم أن الاسم في الشاهد والغائب هو المسمى ، ومن زعم أن الصفة في الشاهد والغائب هي الموصوف. وقد أخطأت المشبهة حين زعمت أن البارئ سبحانه مماثل للأشياء المحدثة لأجل كونه شيئا ، كما أخطأت المعتزلة حين زعمت انه سبحانه مشارك للأشياء في الشيئية ومخالف لها بصفة زائدة خاصة[٣].

ومذهب الأئمة يبطل ذلك كله ذلك أن الأئمة يقولون: إن الله سبحانه شيء لا كالأشياء ، وما كان بخلاف الأشياء لم يجز وصفه بأنه مماثل لها ولا مشارك ولا يجوز أنها تكون المشاركة في لفظ الاسم موجبة: للمماثلة ولا للمشاركة إلا إذا كان كلا المشتركين فيه متماثلين في ضرب من ضروب الكيفيات والكيفية لا تكون إلا للمحدث، ومن هاهنا نعلم أن كل اسم يشترك فيه الخالق والمخلوق عام وليس باسم جنس لاستحالة وصف البارئ سبحانه بالجنس والنوع[٤]. والحكمة في هذا النوع من البلوى التمييز بين الأئمة الموحدين وبين من خالفهم في علوم الدين[٥].

المقدمة السادسة: البلوى في التخلية والتمكين لأعداء الحق والمحقين:

يرى الإمام حميدان أن الله سبحانه قد ييسر لمن يملكه من ملوك أهل الدنيا بالتمكين والتخلية والإمهال حتى يتصرف في البلاد والعباد في حال مغيب من يبعثه الله سبحانه بعد ذلك من رسله إليه أو من يقوم مقامهم ليزجره عن غيه ويمنعه من بغيه[٦]. ووجه الحكمة في هذا النوع من البلوى إظهار ما علم الله سبحانه من صبر الأنبياء والأئمة واتباعهم على

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ١٠٣ يمين.
(٢) الإمام حميدان: المنتزع الثاني ، لوحة ١٢٨ شمال.
(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٩ يمين.
(٤) المرجع السابق.
(٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٤ شمال.
(٦) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٩ شمال.

كربة ما ابتلاهم به من المحن فى دنياهم . وإظهار ما علم الله سبحانه من حسد أعدائهم لهم وقلة صبرهم على ما ابتلاهم به مس إيجاب طاعتهم وميلهم إلى متابعة أهوائهم لما في الميل الى الدنيا من حصول شهوات أنفسهم التي لأجل محبتهم لها يظاهروا أئمة الضلال وعلماء السوء وأتباعهم على عداوة أئمة الهدى والصد عنهم وعلى المعارضة لأدلة العقول بشبه أوهام النفوس ولمحكم الكتاب والسنة بمتشابه الآيات وزخارف الروايات ، ولما يجب من توقير الأئمة الهادين بتعظيم الرؤساء المضلين[1].

ومما يؤكد ذلك من كتاب الله سبحانه قوله بذكر البلوى بالتخلية والإملاء :"وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون" [الأنعام/١١٢] وقوله تعالى :"فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين" [القلم/٤٤-٤٥] وقوله في ذم الأكثر من الناس عموما ومن العلماء والعباد خصوصا : "وما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين" [يوسف/١٠٣] وقوله :"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون" [الأنعام/١١٦] ، وقوله :"يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله" [التوبة/٣٤][2].

المقدمة السابعة : البلوى بإيجاب الولاء والبراء في الدين:

ينقسم الولاء إلى : عام نحو ما ذكر الله سبحانه من موالات المؤمنين والمؤمنات بعضهم لبعض . وخاص وهو ما أوجب الله سبحانه على المؤمنين من طاعة أولى الأمر منهم ومودتهم وتوقيرهم وسؤالهم والرد إليهم والاقتفاء لآثارهم في الدين قولا وعملا واعتقادا.

والبراء ينقسم الى المبارئه : لكل عاص الله تعالى بالقلب واللسان مع جواز الإقساط إليه لقوله تعالى :"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين" [الممتحنة/ من الآية ٨] إذا كان مسالما لكل مسلم والمباراة لمن حارب أئمة الهدى وظاهر على حربهم والمعادات

---

(١) الإمام حميدان:التصريح بالمذهب الصحيح . لوحة ٥٤-٥٥.

(٢) المرجع السابق ، لوحة ٥٥ يمين.

لهم . وكون التعبد بالولاء والبراء من جملة البلوى فلما فيه من وجوب إكراه النفس على البغضة والمجاهرة لمن ولعت بمحبته وأنست بصحبته من الآباء والأبناء والسادات والأجلاء إذا كانوا محادين لله ولأوليائه وإكراهها على ما تكره من المودة والموالاة لمن عادهم.

والبلوى في الولاء والبراء ظاهر بما في كتاب الله سبحانه من الأمر بموالاة أوليائه والوعد على ذلك بالثواب والنهي عن مودة أعدائه والوعيد على ذلك بالعقاب ، وبما في أقوال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأفعاله واشتراطه للولاء والبراء على من بايعه[1].

ولا خلاف في وجوب الولاء والبراء على الجملة لأن أهل كل مذهب يجيزونها على اتباعهم ويدعون أنهم هم الفرقة الناجية ، وأما الخلاف ففي معرفة الفرق بين ولى الله وعدوه ، ومعرفة الفرق بينهما فرع على معرفة الفرق بين الحق والباطل بصفاقمما وأدلتهما التى من عرفها لم يوال من يجب مباراته ولم يبار من يجب موالاته. ومعرفة الفرق بين الحق والباطل فرع على معرفة الفرق بين أدلة العقل وما يعارضها من الشبه المتوهمة وبين محكم الكتاب والسنة وما يعارضها من المتشابه ومن الآراء المبتدعة[2] ولذلك يجب على الناس تفضيل الأئمة على غيرهم كما يجب عليهم تصديق النبي صلى الله عليه وآله فيما ادعاه من كونه أفضل ولدوام وكون عمه أفضل الشهداء وكون ابن عمه أخا له ووزيرا ووصيا وإماما بعده وكون ابنته سيدة نساء العالمين وكون ابنيها سيدا شباب أهل الجنة وإمامين قاما أو قعدا وكون الكتاب مع ذريتهما إلى يوم القيامة وأشباه ذلك مما فضله الله به وأهل بيته للإبلاء والابتلاء وللتمييز بين الرفضة والأولياء[3].

ولذلك فإن مذهب الأئمة على أن عليا عليه السلام كان وصى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وخليفته وخيرة هذه الأمة بعده وأحق الناس بمجلسه لأنه خص بالدعاء إلى الإيمان قبل البلوغ فضيلة له على غيره ، وان من حاربه وظلمه كافر يجب

---

(١) المرجع السابق . لوحه ٥٥ شمال.

(٢) المرجع السابق . لوحة ٥٦ يمين.

(٣) الإمام حميدان: بيان الإشكال ، لوحة ١٤٤

البراءة منه إذ لا إيمان إلا بالبرأة من أعداء الله وأعداء رسول الله صلى الله عليه وعلى آلـه وسلم[١]. وفى ذلك يقول أيضا القاسم الرسى في رسالته الى أهل طبرستان :"أصل التـأويل أول الخيال والاختلاف في الأئمة أول الضلال ، والاعتماد على غير العترة أول الوبـــال. أصل العلم مع السؤال وأصل الجهل مع الجدال ، العالم في غيرنا كالجاهل لحقنا، الراغـــب فى عدونا كالزاهد فينا، المحسن الى عدونا كالمسيء إلينا ، الشاكر لعدونـــا كـــالذام لنـــا، المعترض لنحلتنا كالعادي علينا ، معارضنا في التأويل كمعارض جدنا في التتريل الراعي لمـــا لم يسترعى كالمضيع لما استرعى ، القائم بما لا يستأمن عليه كالمعتدى فيمـــــ اســـتحفظ ، الخاذل لنا كالمعين علينا ، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا ، معارضنا كالحاكم بغير الحق ، المفرق بين العترة الهادين كالمفرق بين النبيين، بماهنا أصل الفتنة بإجماع الشيعة[٢].

هذه هي المقدمات السبع في البلوى والتي أراد الإمام حميدان بها أن يفرق بين الحـــق والباطل وبين أهلهما - في زعمه - وذلك لأنه يستعان بمعرفة ذلك كله على معرفة البلوى بما أوجب الله تعالى على الأمة من طاعة من جعله وليا لهم بعد رسول الله صلى الله عليـــــه وآله وسلم وأميرا لهم في حياته وبعد موته وعرفهم به وبما يجب من موالاته ومعادات مـــن نازعه إذ لا واسطة بين إمام الهدى وإمام الضلال ولا يجوز اعتقاد صحة إمامة كليهما مـــع التنازع ولا يجوز رفض كليهما لما في ذلك من تجويز خروج الحق من أيدي جميع الأمـــة[٣]. وهذا الابتلاء إنما يقصد به الاختبار والامتحان الذي يميز به الخبيث من الطيب إذ لو كـــان الأمر غير ذلك لبطل معنى الامتحان ولو بطل معنى الامتحـــــان لبطـــل معـــنى الثـــواب والعقاب[٤].

تعقيـــــــب :

---

(١) الإمام حميدان: المنتزع الاول، لوحة ١١٣ يمين.

(٢) المرجع السابق ، لوحة ١١٥.

(٣) الإمام حميدان . التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٦ يمين.

(٤) المرجع السابق ، لوحة ٦٩ يمين.

مما لا ريب فيه أن مظاهر الابتلاء التي ابتلى الله بها عباده ولا يكـــاد يخلـــو منـــها مصنف من مصنفات الزيدية ، ولكن براعة الإمام حميدان جاءت لتجعل من هذه المظـــاهر مدخلا لآرائه الكلامية والفلسفية ، وهو بهذا يقدم منهجا جديدا يميزه عن اسلافه من أئمـة الزيدية.

وتتضح ملامح هذا المنهج في نقطتين رئيسين همـــــــــا :

١- إن إتباع مذهب الأئمة أمر اعتقادي لا جدال فيه حيث يربطه الإمام حميدان بالعقـاب والثواب.

٢- إن إتباع مذهب الأئمة لا يستقيم إلا بهدم كل أفكار ومذاهب الفرق الأخرى.

الفصل الرابع
المعرفة

تمهيـــــــــــد.

أولاً : إمكان قيام المعرفة.

ثانياً : مصادر المعرفة:

١- المصدر الأول : الحس.

٢- المصدر الثاني : العقل.

٣- المصدر الثالث : النفس (أو الوجدان).

٤- المصدر الرابع : الخبر.

أ- الخبر المنزل (القرآن والسنة).

ب- الخبر غير المنزل.

ثالثـــاً : موضوعـــات المعرفـــة: أ- عـــالم الشـــهادة.

ب- عالم الغيب.

رابعاً : مناهج البحث : أ- مناهج البحث في عالم الغيب.

ب- مناهج البحث في العلوم الشرعية.

جــ- مناهج البحث في العلوم غير الدينية.

خامساً : مراحل كسب المعرفة.

سادساً : الهدف من المعرفة.

سابعاً : درجات اليقين.

تمهيـــــــد :

إن مشكلة المعرفة من أقدم المشكلات التي عرفها الإنسان بحكم وجـوده فى هـذا الكون حيث آثار العديد من التساؤلات .. كيف أعرف العالم من حولي ؟ وما الذي يمكنني أن اعرفه وما حدود تلك المعرفة؟

وإذا كانت الإجابة على هذه التساؤلات قـد أخـذت طـابع الفرديـة عنـد السوفسطائيين الذين أنكروا التفرقة بين الحس والعقل وذهب بروتاجوراس (٤٨٠-٤١٠ ق.م) إلى القول بأن : ما يبدوا لى على أنه حق فهو حق بالنسبة لى وما يبدو لك على انـه حق فهو حق بالنسبة لك، إلا ان ذلك يعنى ان ما يبدو وما يظهر هو الحق أو انه ليسـت هناك حقيقة سوى الظاهر ، ومن ثم اتحدت الحقيقة مع المظهر وأصبحت شيئاً واحداً [١] ولما كانت الطبيعة كلها فى تغير دائم. وتغير بين الأضداد لم يكن فى الإمكان بعد ذلك إطـلاق صفة معينة على شيء[٢] ولقد قادهم نزعتهم النسبية هذه إلى الذاتية [٣].

ومذهب السوفسطائيين هذا فيه ضياع للحق وإنكار للمعرفة وذلك أمر طبيعي مـد دام الإنسان مقياس الأشياء جميعاً هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لاوجود مـا لا يوجد[٤] ومن ثم فقد عبر جورجياس عن هذا المذهب احسن تعبير حين قال إنه "لا يوجـد شيء" [٥].

وكان طبيعياً أن يأتى الإمام حميدان- كمفكر مسلم يعترف بموضوعيه الحقيقـة - لكي يواجه مشكلة من اخطر المشكلات التى ينظر إليها المسلم على أنهـا مـن الأمـور الاعتقادية إلا وهى مشكلة إمكان قيام المعرفة، ذلك ان النظر في الكون هو طريق الإيمـان بالله ووحدانيته ربوبيته.

(١)د.إمام عبد الفتاح إمام : مدخل إلى الفلسفة، دار الثقافة - القاهرة ط ثانية ١٩٧٤ص٢٤٢.

(٢) د. مراد وهبه : المذهب فى فلسفة برجسوف:ط ثانية مكتبة الأنجلو -مصر ١٩٧٨ص ١٥.

(٣) د. علاء حمروش: تاريخ الفلاسفة اليونانية، طبعة سنة ١٩٩٠، ص١٠٨.

(٤) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص٤٦.

(٥) د. عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ط خامسة، دار القلم بيروت - لبنان ١٩٧٩ ص١٧٦.

وفى بحث مشكلة المعرفة يتعرض الإمام حميدان جوانبها المختلفة مثل إمكان قيـــام المعرفة، ومصادر المعرفة، وموضوعات المعرفة، وطرق كسب المعرفة. ومناهج البحـــث فى العلوم الدينية والعلوم غير الدينية، والهدف من المعرفة، ودرجة اليقين . وهذا ما سنعرض له الآن بالتفصيل.

أولاً : إمكان قيام المعرفة:

لقد اثبت الإمام حميدان– كمفكر مسلم– إمكان قيام المعرفة، وذلك انطلاقاً مـــن صقله الذهني الإسلامي، ذلك أن الإسلام يعد النظر فى الكون بكل ما فيه واجب علـــى المسلم باعتبارات هذا النظر يمثل أحد الطرق التى نوصل إلى معرفة الله[1] ولذلـــك جعـــل الإمام حميدان النظر من أبواب التكليف فيرى انه يجب على كل مكلف ان يعلم ان النظـــر فى الصنع واجب والنظر فى الصانع محظور[2].

وهنا يبرز سؤال هام يتعلق بجوهر المشكلة وهو: هل للأشياء حقائق فى ذاتها؟ الحقيقة ان هذا السؤال وغيره من الأسئلة التى تتعلق بتلك المشكلة قد تناولها فلاسفة اليونان بشيء من التعسف انتهى بهم إلى تقديم تصورات ذهنية وانساق فكريه مسبقة فى تفسير الوجـــود عند أصحاب الاتجاه العقلي أما السوفسطائيون فقد أنكروا أن للأشياء حقيقة فى ذاتها[3].

والحقيقة التي يجب أن ننبه إليها هو أن المفكر المسلم –كما أسلفنا– إنما أراد بنظره إلى الواقع معرفة الخالق سبحانه فهل تبنى معرفة الخالق سبحانه على أساس واه وظواهـــر كاذبة لا حقائق ورائها؟ من هنا نقول إن المفكر المسلم كان على النقيض تماماً من المفكـــر اليوناني حيث أكد ان للأشياء حقائقها المستقلة عن الذات العارفة، متجـــهاً بذلـــك نحـــو الواقعية التى يفتقدها المفكر اليوناني.

ومن هذا المنطلق راح الإمام حميدان يحارب كل فكرة تريد ان تنزع من الأشـــياء حقائقها المستقلة عن الذات العارفة، فحارب السوفسطائيين بســـبب تبطيلـــهم لحقـــائق

---

(١) د. سعيد مراد: ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية ص١٨٣.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٩٨شمال.

(٣) د. سعيد مراد: ابن متويه وآراوه الكلاميه والفلسفية ص١٨٣

الأشياء[١] أو إنكارهم للمشاهدات[٢]. وحارب المعتزلة عندما أثبتت أمرا متوسطاً بين النفي والإثبات بقولها عنه انه لاشيء ولا لاشيء ذلك ان هذا الأمر يـؤدى إلى تجويـز إصابـة الفلاسفة فى تعديهم لحد العقل، وإصابة السوفسطائيين فى إنكارهم للمشاهدات[٣] كذلـك هاجم المطرفية فى قولهم ان الإحالة لا حاله ولا محلولة [٤] وقولهم ان صفة الجسـم هـي الجسم[٥] فهذه نزعة سوفسطائية تجعل الحقيقة فى الظاهر المدرك بالحواس.

وهذا كله وماشاكله إنكار لحقائق الأشياء فى ذواتها وهو ما يأباه الإمـام حميـدان كمفكر مسلم متأثر بالقرآن والسنة اللذين يحترما الواقع فى واقعيته وبجزئياتـه المتعينـة ، ولذلك جاءت أبحاثه الطبيعية مؤكدة على استقلالية العالم الخارجي فى وجوده مؤكداً بذلك على المعرفة الواقعية.

ثانياً: مصادر المعرفة :

تتميز مصادر المعرفة عند الإمام حميدان بثراء كبير حيث يعترف -كمفكر مسـلم- بالحس والعقل والنفس والخبر كمصادر للمعرفة وفى ذلك يقول: " ومن المعلومات ما طريق معرفته درك الحواس الخمس .. ومنها ما طريق معرفته النظر العقلي والقياس الاستدلالي .. ومن المعلومات ما طريق معرفته خبر من يجب قبول خبره إما لحكمته – وهو الله سبحانه – وإما لعصمته – وهو النبي أو من شهد له النبي بالصداق نحو كافة الأمة أو جماعة العـترة – وإما لأجل وجوب طاعته وهو الإمام"[٦] وكل من طلب علما من غير هذه الطرق فـهو متوهم ومتظنن ومخترص[٧].

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٥ يمين.

(٢) المرجع السابق لوحة ٢٨ شمال.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٨ شمال.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة١٩ يمين.

(٦) الإمام حميدان:– تنبيه الغافلين لوحة٢١ يمين

–التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال.

(٧) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة٢١ يمين

وغير ذلك مما قد يعتبره المتوهمون من مصادر المعرفة، مثل الرؤيا والأحلام فهو ليس من مصادر المعرفة، ولذلك جاء مذهب الأئمة على ان الإمامة لا تصح بالأحلام والمنام ولا تبطل إمامة الأئمة بالأحلام لان الرؤيا وان كانت من حكمة الله جل جلاله وعظمت نعمه وأفضاله فإنها تحمل على التأويل ولا يغتر بظاهرها فى جميع الأقاويل والحكيم لا يصرح بكل أسبابه لما فى النظر والتمييز من ثوابه مع ما فى النظر من لقاح العقل وبطلان الحيرة والجهل، وربما رأيت الرؤيا للرجل وإنما المراد بها سواه من ذريته أو بعض إخوانه وقرابته [١].

كذلك لا يعتبر مصدراً من مصادر المعرفة ما كان آية من الآيات المتشابهة أو خبر من الأخبار المختلف فى صحتها او فى الصحيح من تأويلها، وإما مسألة من مسائل بعض الأئمة حملت على غير معناها وخُرج منها ما لا يناسب غرض من تنسب إليه من الأئمة عليهم السلام[٢] فهذه الأنواع اعتبرها البعض من أصول الفقه وهى ليست أصولا على الحقيقة [٣].

وفيما يلي نعرض لمصادر المعرفة الحقيقية بالتفصيل.

المصدر الأول الحس:

يرى الإمام حميدان انه من المعلومات مالا يعلم إلا بدرك الحواس الخمس[٤] وهذه الحواس الخمس هي آلات الإدراك بمعنى أن الإدراك عرض حال فى هذه الآلات وفى ذلك يقول: "إن العقل والنفس من جملة الأعراض التي خلقها سبحانه وجعل محلها القلب، وان مثل حلول العقل فيه كمثل حلول البصر فى العين[٥] ومن هنا يتضح ان الرآي من الخلق هو المدرك لما أبصر، وكذلك السامع هو المدرك لما سمع، فلدرك السامع لما سمع وصف بالسمع المخروم ولدرك المبصر لما أبصر وصف بالعين ذات الجفن المسقوف[٦] ومن ثم فان

---

(١) الإمام حميدان: بيان الإشكال لوحة ١٣٦-١٣٧.
(٢) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٢ شمال.
(٣) المرجع السابق لوحة ٤٢.
(٤) الإمام حميدان: - التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال.
- تنبيه الغافلين لوحة ٢٧ يمين.
(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ١٦ يمين.
(٦) الإمام حميدان: المنتزع الثاني لوحة ١٣٠ شمال.

قوة الإدراك وضعفه إنما تتوقف على قدرة هذه الآلات التي ربما كلّت وتحيرت وأخطأت وأدركت ظاهراً دون باطن وقصرت [١].

وهذا لا يستدعى الشك فى إمكانيات الحواس على تقديم معرفة يقينية موضوعية- كما زعمت السوفسطائية- فالحواس كما يرى الإمام حميدان تقدم معارف يقينية ولكن بشروط ثلاث:

الأول: سلامة تلك الحواس حيث لا ينجو من الجهل إلا من سلمت من الحيل نفسه ونجت من نقص الآفات حواسه [٢].

الثاني: أن تستعمل الحواس فى مجال او موضوع بحثها وموضوع بحثها هو الموجود الواقعي العيني كالأجسام المتنوعة الى كثيف ولطيف وحيوان وجماد [٣]والأعراض التي هي مثل هيئات الأشخاص وصورهم وألوانهم وصفاتهم وحركاتهم [٤] وهذه الأعراض تلعب دوراً كبيراً فى عملية الإدراك إذ لولاها ما استطاع الإنسان أن يميز بين مدركاته الواقعية وبالتالي لاختفت الحقيقة بين هذا الكم الهائل من المدركات المتماثلة التي لا تميز بينها وفى ذلك يقول: " إن ما وقع بين الأشياء مما يقع من الاختلاف فليس يوجد واقعاً إلا بين ذوات الأوصاف [٥].

ومن هنا يتضح أن عمل الحواس إنما ينحصر فى درك صفات الأشياء لا كنهها فإذا أراد سائل أن يسأل عن معرفة موجود عيني فعليه أن يذكر بعض أوصاف المسئول عنه الذي يحصل له بذكرها معرفة ما سأل عنه نحو أن يقول مثلاً ما هو الجسم ؟ فيجاب بأنه: ما صح ان يرى أو ما يشغل الجهة عن غيره أو ما تحويه الجهات الست او ما يحله العرض أو ماله طول وعرض وعمق[٦] فالحواس إذن إنما تدرك كل موجود له حد ومثال وصفه، أما

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٩ يمين.

(٢) المرجع السابق لوحة ٩٠ يمين.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٧ يمين.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ١٢٧ يمين.

(٥) الإمام حميدان: المنتزع الثاني لوحة ١٢٧ يمين.

(٦) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٤ يمين.

ما لم يكن كذلك فلا تدركه العقول ولا الفكر ولا الحواس[١] وعلة ذلـــك أن الحـــواس المخلوقة والألباب المجعولة لا تقع إلا على مثلها ولا تلحق إلا بشكلها ولا تجد إلا نظيرهـــا [٢] ومن هنا يتضح لماذا تعجز الحواس عن إدراك الله سبحانه وذلك لأنه سبحانه مخالف لهـــا فى كل معانيها بائن عنها فى كل أسبابها، ولو شاكلها فى سبب من الأسباب لوقع عليه مـــا يقع عليها من درك الألباب [٣]. ومن ثم فالله جل جلاله تنزه عن أن يحويه قول أو ينالـــه، يعرف بما جعل من الدلائل عليه ولا يوصل بشيء من الحواس إليه ، فليس ما نطقت بـــه الألسن من صفاته هو هو ولا سمعت به الآذان من صفاته هو هو ولاما كتبت الأيدي مـــن صفاته هو هو بل هو الموصوف لا الصفات والمعروف بما يعرف به الى خلقه من الآيـات [٤] بهذا يؤكد الإمام حميدان أن للحواس غاياتها التي يجب إلا تتعداها ونهاياتها الـــتي يجـــب أن تنتهي عندها، وهذا ما أدركه الأئمة عليهم السلام وغفلت عنه المعتزلة التي رمت بعقولهـــم وحواسهم من وراء غاياتها ونهاياتها تائهة ضالة جائرة مرتطمة فى تجويز الجهالات على غـــير مثال وبغير دليل فتكلموا فى نقص نعيم أهل الجنة وما قدرها وهيئتها من التدوير والـــتربيع حتى تبرأ بعضهم من بعض لأجل الخلاف بينهم فيه وقالوا بالاصلح واللطـــف والكمـــون والظهور وتحديد الأعراض والأجسام والجزء والطفرة وفى إرادة الله سبحانه وتعـــالى وفى علمه وإدراكه وما حقيقة المعلوم والمجهول والمباشرة للفعل والتولد والمداخلة بين الأجـــزاء والمجاورة وقد كفوا عن ذلك .. وتكلموا من دقيق الكلام بما لم يكلفوا وبما لعل حواســـهم مقصرة عن إدراك حقيقته وعاجزة عن قصد السبيل فيها [٥].

وأما الشرط الثالث: فهو أن تعمل الحواس فى معية العقل، وذلك لان العقل يمكنـــه جبر قصور الحواس وأخطائها. ولذلك نجد الإمام حميدان دائما ما يقرن الحـــس بـــالعقل، فيقول مثلا: " وأما تنوع الأجسام الى كثيف ولطيف وحيوان وجماد، وتنوع الأعـــراض

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٥ شمال.

(٢) الإمام حميدان: المنتزع الثاني لوحة ١٢٨.

(٣) المرجع السابق لوحة ١٢٨ شمال.

(٤) المرجع السابق لوحة ١٣٠ يمين.

(٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٧٧ شمال.

الى ما يعلم بدرك الحواس الخمس وما يعلم بالدليل فذلك ظاهر لكل من لم يكابر الضروريات كابر التوهم. والتجويز الذي هو طريق كل مدلس وملجأ كل مقلد" [١].

ومعرفة الدليل إنما هو من عمل العقل وليس من عمل الحواس لان الحواس تقدم معارف متفرقة من لون وطعم ورائحة ... الخ والعقل هو الذي يؤلف بين هذه المعارف كلها ويرتبها وينظمها، وهو بهذا يفارق الحسيين أو التجريبيين أمثال لوك (١٦٣٢-١٧٠٤م) وهيوم (١٧١١-١٧٧٦م) اللذان ردا كل معارفنا الى إدركات حسية مختلفة [٢]. وهو اتجاه خاطئ إذ لا يمكن ان تكون الانطباعات والأفكار وحدها هي كل ما لدينا، افرض مثلا أنني رأيت مجموعة من الحصى مرتبة على نحو معين، فكيف يمكن لي أن أدرك ترتيبها مع العلم بأن فكرة الترتيب فى نظام معين ليست يقيناً جزءاً من الإحساس بما هو كذلك [٣] ثم كيف لي أن أصحح أخطاء الحواس وسذاجتها التي قد تحدث أحياناً، وهاك مثال من الواقع بينما كان الباحث فى أحد أسفاره بالقطار قدّم له البصر ملاحظة ساذجة مؤداها انه في أحد الأراضي الزراعية المجاورة للقطار كان يقف حمار يضرب بالفأس فى طين الأرض ثم يرفع هذا الطين على ظهره، هذه ملاحظة ساذجة من الحواس نقلتها الى العقل فما كان من العقل إلا أن أيقن أن ثمة خطأ في هذه الملاحظة . فلما أعيد النظر مرة ثانية بمصاحبه العقل تبين أن جسد الحمار كان يخفى وراءه الرجل الذي كان يصنع هذا الصنيع ولكن البصر قد قصر عن إدراكه.

بهذه الأمور الثلاثة يزول الشك فى الحواس التى ستمارس وظيفتها عندئذ بقوة وتقدم معارف يقينية.

المصدر الثاني: العقل :

لقد بين الإمام حميدان-كما سبق- أن العقل من جملة الأعراض التي خلقها الله سبحانه وجعل محلها القلب، وان مثل حلول العقل فيه كمثل حلول البصر فى العين [٤].

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٧ يمين.

(٢) د. أمام عبد الفتاح أمام : مدخل إلى الفلسفة ص ٢٤٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٥١.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة١٦ يمين.

وبالعقل نوعان من المعارف: أحدهما ضرورية والثانية مكتسبة، وفى ذلـــك يقـــول "العلم إما ضروري وإما مكتسب" [١].

فأما العلوم الضرورية فمنها ما جبل الله العقول وفطرها على معرفته ابتداء لاعـــن طريق نحو علم العاقل بأحوال نفسه وتمييزه بين كثير مما ينفعه أو يضره ، ونظير ذلك فى غير العاقل من الحيوان ما فطرها عليه من الإلهام. ومنها أعنى العلوم الضرورية مـــا جعـــل الله طريق معرفته الخبرة وإدراك إحدى الحواس الخمس [٢] ومنها أيضاً المحالات العقلية مثل علم المرء أن كل مذهبين نقيضين إذا صح أحدهما فإن صحته تدل على بطلان نقيضه[٣] وكقول القائل زيد لا يخلو إما أن يكون في الدار أو ليس فيها فلا يجوز أن يقول قائل لا هو فيها ولا في غيرها [٤].

ومثل العلم بأنه يستحيل إثبات متوسط بين النفي والإثبات نحو شيء ولاشيء فانه لا يجوز أن يتوسط بينهما إلا ما يعلم ضرورة انه محال نحو أن يوصف أمر بالنفي والإثبـــات معاً فيقال شيء ولاشيء أو يوصف بنفيهما معاً فيقال لاشيء ولا لاشيء ، وكذلك الجمـــع بين صفتي القدم والحدوث هو أن يوصف أمر بأنه محدث وأزلي أو محدث ولانهاية لجنـــــس ذاته أو محدث ولا أول لذاته، وكذلك الجمع بين صفتي الوجود والعدم نحو أن يوصف أمر بأنه ثابت معدوم [٥] ويعتبر كل من خالف هذه المعلومات الضرورية مكابر لعقله [٦].

بهذا يرى الإمام حميدان -على عكس الحسين- أن الإنسان يولد ولديـــه أفكـــار ضرورية أولية تعد أصولاً لمعارف تحصل بالنظر والاستدلال وفى ذلك يقول: "ان المحكم من كتاب الله سبحانه من جملة ما فضله الله على غيره وجعله إماما يقتدي بـــــه نحـــو العلـــم الضروري الذي جعله الله أصلاً يبنى عليه ويرجع فى كل ما أختلـــف فيـــه مـــن العلـــوم

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٦ يمين.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١يمين.

(٣) المرجع السابق لوحة ١٧ شمال.

(٤) المرجع السابق لوحة ٢٨ شمال.

(٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال.

(٦) المرجع السابق لوحة٥٢ يمين.

الاستدلالية إليه [١]. ولذلك لا ينبغي على المرء أن يرخص لنفسه فى تجويز أن يؤدى النظـر والاستدلال الى خلاف شيء مما يعلم ضرورة أو بالإجماع وذلك لان المعلوم ضـــرورة أو المعلوم بالإجماع لا يجوز الغلط فيه ولا الالتباس كما يجوز فى النظر والاستدلال، ولذلـــك يجب أن يستشهد بالضروري على صحة الاستدلال ولا يحكم بالاستدلال على الضـــروري [٢] لان ذلك يؤدى الى تجويز إنكار كل معقول والى إثبات مالا نهاية له من الجهالات [٣].

والذي ينقذ الإنسان من الجهالات أيضاً هو ان يترل العقل مترلته، فالعقل مترلـــة محمودة متوسطة بين طريقين مذمومين نحو السخاء المحمود المتوسط بين التقتـــير والتبذيـــر والعدل المتوسط بين الإهمال والجور، وكذلك العقل بين التفريط والإفـــراط ، ومثلـــه فى هدايته للمعلم المتوسط بين الجهل والغلو كمثل من يسير بمن اتبعه فى طريق معلوم لغـــرض مفهوم الى حد مقصود، والغلو هو المروق والتعدي لحد العقل الى الطريق المذمـــوم وهـــو الإفراط ، ومثله فى الإضلال كمن يسير بمن اتبعه فى غير طريق لا بغرض ولا الى حد. وهو ثلاثة أضراب : *الأول* غلو الإنسان فى تعديه لحد نفسه وقدره نحو من يدعى من المخلوقـين الربوبية ومن يدعى من الرعية النبوة والإمامة ومن يدعى من الروافض انه أعلـــم بعلـــوم الدين من الأئمة عليهم السلام. والثاني غلو فى غيره نحو غلو الصوفية والباطنية فى مدحـهم لكبرائهم ووصفهم لهم بصفات الإله تعالى. والثالث غلو فى نظره نحو ادعاء الفلاسفة بعلـم المبدأ والميعاد وكيفية ترتيب العالم وكم مساحته وعدد أجناسه وأنواعـــه ، ونحـــو ادعـــاء السوفسطائيين ان نظرهم أداهم الى تبطيل حقائق الأشياء المشاهدة وادعاء الأشعرية للعلـــم بأزلية الإرادة وقدم القرآن وادعاء المعتزلة للعلم بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل ولإثبـــات أمور ليست بشيء ولا لاشيء [٤].

إذن فمن الغلو ان يستعمل العقل فى غير محاله، ومحاله هو الواقع المشاهد أو الموجود العينى وفى ذلك يقول: "ومن المعلومات ما طريق معرفته النظر العقلي والقياس الاســتدلالي

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٥ شمال.

(٢) المرجع السابق لوحة ١٦.

(٣) المرجع السابق لوحة ٢٨ شمال.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة٢٥ شمال.

نحو الاستدلال بالصنع على أن له صانعا [١] وكذلك نحو ما يعلم من ان ما فى الإنسان من اثر الصنع العجيب يدل على أن له صانعا حيا قادرا عالما ، هذا مع ما ورد به نص الكتاب من الآيات الدالة لكل عاقل على صحة ما دل عليه عقله [٢].

وكون موضوع المعرفة العقلية هو الموجود يعني لا يعنى أن العقل يقف عاجزا أمام موضوعات الغيب نعم ان الغيوب لا يعلمها إلا الله سبحانه[٣] بمعنى أن الله سبحانه يعلم كنهها وحقيقتها ولكن العقل يستطيع ان يثبت وجودها ، وفى ذلك يقول : "أما العرفان بالعقول فهو المعرفة لله سبحانه بأدلة العقل التي بها ولأجلها وجب التصديق والمعرفة للفروض التي أوجب الله سبحانه وتعالى الإيمان بها وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[٤].

هذه هي الوسطية التي يجب أن يتبعها كل إنسان فى نظرته إلى العقل بمعنى أنه يجب عليه ان يسلك طريقا متوسطا بين التفريط والإفراط [٥]ولذلك جاء مذهب العترة ليمثل تلك الوسطية بين تفريط المشبهة وإفراط المعتزلة فللمشبه المجسمة في ذلك مذهب منسوب إلى التفريط فى النظر بالعقل الصحيح وهو وصفهم للبارئ سبحانه بصفة المخلوق فى الإدراك وغيره، وللمعتزلة فيه مذهب منسوب إلى الإفراط والتعدي لحد العقل وهو وصفهم له سبحانه بأنه مدرك للمسموع والمبصر بدرك محدود زائد على كونه عالما قالوا وهو امر لاشيء ولا لاشيء واما مذهب العترة فقد سلكوا فيه مذهبا متوسطا وهو قولهم بأنه سبحانه مدرك لكل مدرك درك علم لا يعذب عنه منه شيء فيما لم يزل وفيما لا يزال ولا يجوز توهمه ولا قياسه ولا التفكر فيه [٦].

---

(١) الامام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٢ يمين.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٢ شمال.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٨ يمين.

(٥) الامام حميدان التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٠ شمال.

(٦) الإمام حميدان تنبيه الغافلين لوحة ٣١ يمين

وبإنزال العقل هذه المنزلة المتوسطة يصبح العقل معياراً للحق والصدق لأنه مفطور على معرفة الأدلة [١] وبالتالي يظهر كذب كل مدع ان عقله دله على صحة مخالفته للحق وأهله [٢]. وبهذه المنزلة المتوسطة ابتلى الله عباده ليميز بين من يقف بعقله على حده وفرضه وبين من يتعدى الحدود بوهمه ويتعاطى معرفة مالا علم له به [٣].

وهنا تبرز مشكلة هامة وهي مشكلة التقليد، ويطرح السؤال التالي نفسه علينا : هل يجوز -عند الإمام حميدان- التقليد؟ مع العلم أن التقليد تفريط في مقابل الغلو الذي هو إفراط، وفي هذا إخلال بالوسطية التي دعى إليها الإمام حميدان.

والحقيقة أن الإمام حميدان يرفض التقليد ويرى أنه لا يجوز القنوع بالتقليد فيما يجب معرفته بالعقل[٤]. ولذلك يهاجم الصوفية والباطنية [٥]والمعتزلة [٦] والعامة [٧] لأنهم ارتضوا التقليد. ومع ذلك فقد أجاز الإمام حميدان تقليد الأئمة فكيف يستقيم هذا مع رفضه للتقليد؟ هل هذا تناقض في موقفه ؟

الحق ان هذا ليس تناقضاً في موقف الإمام حميدان لأنه قد أكد انه لا يجوز القنوع بالتقليد فيما يجب معرفته بالعقل لكن هناك نوع من المعارف يجوز فيه التقليد ولا يتضح هذا النوع الا بعرض رأيه في العقول هل هي متساوية بين جميع الناس؟ أم لا؟ والإجابة - التي يسير فيها الإمام حميدان سيرة أسلافه من الأئمة- إن عقول الناس تتفاضل وتختلف، واختلاف عقولهم كاختلاف قواهم فمن كانت قوته تبلغ أداء الفرائض وجبت عليه ومن لم يطق فلا يكلفه الله ما يعدم بدنه ولا يصل بقوته إليه وإنما العقول على وجوه معروفة وأحوال بينه موصوفة، منها عقول سادتنا الملائكة المقربين عليهم السلام ومنها الأنبياء

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه أولي الألباب لوحة ٤٠ يمين.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٠يمين.

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ يمين.

(٤) المرجع السابق لوحة ٥٢ شمال.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٥ شمال.

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٧٥ يمين.

(٧) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٧ يمين.

المرسلين وعقول الأوصياء المستخلفين وعقول الأئمة الطاهرين وبعد ذلك عقول المكلفين. فأفضل العقول عقول الملائكة الأكرمين ثم عقول الأنبياء أكمل من عقول الأوصياء ثم عقول الأوصياء أكمل من الأئمة فى العقول وأفضل فى الاعتقاد والقول ثم السابقين من الفضيلة على المقتصدين كمثل فضل الأنبياء على الوصيين، وللأئمة المقتصدين من الفضل ما لا يكون تفضلاً للمؤمنين وأفضل الناس كلهم فضلاً وأكملهم ديناً وعقلاً سيدنا محمد صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين [١].

وكما فاضل الله سبحانه بين عباده فى العقول وفى الطاقة فاضل بينهم فى التكليف ولم يكل المفضول منهم إلى نفسه ولا إلى عقله فلذلك أوجب على المفضول طاعة الفاضل وسؤاله والرد أليه. ولولا أن مما تعبد المكلفين بمعرفته ما يجب التقليد فيه، وإن من عباده من يجب تقليده لما أمر بطاعة أولى الأمر وسؤال أهل الذكر، ولولا أنه سبحانه قد عرفهم بما يقلدون فيه وهو قوله تعالى "وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله" [الشورى/من الآية ١٠] وعرفهم بمن يقلدونه فى مثل قوله تعالى "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" [فاطر/من الآية ٣٢] وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: "إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتى" [٢] لكان أمره بالطاعة وبالسؤال تكليف لعلم مالا يطاق وعلم مالا يعلم فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [٣].

فهذا النوع من التقليد لا يخرج العقل عن وسطيته التي تجعل معارف العقل يقينية لأنه ليس تقليد فيما يجوز معرفته بالعقل.

ومن لوازم هذه الوسطية -أيضا- أن يقف الإنسان بنظره عند حد المسموع وفى ذلك يقول: "التوحيد دين مستقيم وتعبد مستمر لا يجوز الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا التجاوز بالنظر لحد المسموع منه لأن الله سبحانه أعلم بنفسه وهو المُعلم لعباده ما لم يكونوا يعلمون" [٤] فلا تعارض -إذن- بين القرآن والسنة والعقل وإنما قد يأتي التعارض مما يتوهم

---

(١) الإمام حميدان: بيان الأشكال . لوحة ١٣٤-١٣٥.

(٢) لا يعرف هذا الحديث بهذه الألفاظ إلا عند الشيعة فقط.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٦ يمين.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٩٦ شمال.

أنه من السنة وفى ذلك يقول: "ومعرفة الفرق بين الحق والباطل فرع على معرفة الحق بين أدلة العقل وما يعارضها من السنة المتوهمة" [١].

واتفاق العقل والنقل سمة من سمات المفكر المسلم اكتسبها من خلال تدبر آي الذكر الحكيم، وإذا كان ابن رشد قد اكتسب شهرة واسعة فى العالم الغربي بسبب كتاباته التى تنادى بضرورة اتفاق الفلسفة والدين فليس ذلك لأنه الوحيد الذي نادى بهذا الأمر بل لأن كتاباته قد ترجمت إلى اللاتينية والعبرية [٢] وهى فرصة لم تتح لكتابات الكثير من مفكري الإسلام والتي يتجلى فيها هذا الأمر بوضوح.

إذن فلا تعارض بين العقل الصحيح وبين النقل أو النص الصحيح، وقد عرفنا العقل الصحيح فكيف نعرف صحة النقل ؟ هنا يرى الإمام حميدان أننا نعرف صحة النقل بالعقل الذي يجب أن نقدمه - وفى تلك الحالة فقط - على النقل وذلك لأن من صفات العقل كونه هاديا إلى الرشاد ومميزاً بين الصدق والكذب في الأقوال والحق والباطل فى الاعتقادات[٣] ويقول أيضاً : "فأدلة العقل مقدمة على أدلة السمع بمعنى أنه لا يجوز القنوع بالتقليد فيما يجب معرفته بالعقل ، وانه لا يحتج بالفرع على من ينكر أصله"[٤] وهذا المذهب هو مذهب أئمة الزيدية الذين يقدمون أدلة العقل على أدلة الكتاب والسنة والإجماع[٥] فإذا ما تأكدنا من صحة النقل أو الكتاب وجب الوقوف عند حد المسموع[٦] والانقياد له لذلك فقد كذب كل من زعم أن عقله يغنيه عن الكتاب[٧] ولعله بذلك يقصد المعتزلة الذين يرون أن الإنسان مكلف حتى قبل ورود الشرائع[٨]

---

(١) المرجع السابق لوحة ٥٦ يمين.

(2) Academic Encyclopedia Ang A3 Copyright by crolier International AM also publisheal under the title Academic Encyclopedia. (1986) P.370

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٩ شمال.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال

(٥) الإمام حميدان: المنتزع الأول ، لوحة ١١٧ يمين.

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٩٦ شمال

(٧) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٥ يمين .

(٨) القاضي عبد الجبار: المغنى جـ٦ (التعديل والتجوير) طبعة مصر الأولى، ص٢٠.

والإمام حميدان بتقديمه العقل على النقل إنما ينسجم تمام الانسجام مع دينه الــــذي يدعونا دائماً إلى الإيمان من منطلق الفكر الحر وشعاره فى ذلك "اعقل ثم آمن" فى مقــــابل الجبرية النصرانية -كما صاغها القديس أوغسطين والقديس أنسلم - "آمن ثم أعقل"[١].

قال الله عز وجل "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" [محمد/٢٤] فقدم الله سبحانه بذلك التدبر الذي هو من عمل العقل على الإيمان، ليس هذا فحسب بل انه قــــد دعانا إلى النظر إلى الأمور بعقل ثاقب فقال: "قل هل ننبأكم بالاخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً" [الكهف/١٠٣-١٠٤] هذا مــع ما فى القرآن من الدعوة الدائمة إلى التأمل والنظر فى ظواهر الكون والنفس الإنسانية.

مما سبق يتضح أن الإمام حميدان يؤكد وبقوة على العقل كمصدر من أهم مصــــادر المعرفة ، غير أنه يرى أن المعرفة فيما يتعلق بعالم الغيب ليست مطلقة حيث لا يمتلك العقــل إزاء ما هو من عالم الغيب إلا أن يثبت وجوده دون كنهه وحقيقته وبذلك يفارق الإمــــام حميدان أرسطو الذي كان لا يثق إلا فى العقل والعقل فقط[٢].

المصدر الثالث : النفس والوجدان :

يرى الإمام حميدان ان النفس من جملة الأعراض التى خلقها الله ســـبحانه وتعــالى وجعل محلها القلب ... ومثل حلول النفس فيه كمثل حلول حرارة النار فى النار [٣]. وهذه النفس هي مصدر من مصادر المعرفة، ولكنها معرفة غير فلسفية نحو الفرح والغم والتوهــم وأشباه ذلك [٤] مما يعلمه العاقل من أحوال نفسه وتمييزه بين كثير مما ينفعه أو يضره ونظير

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ط٣، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت ، لبنان، سنة ١٩٧٩، ص١٢.

(2) Anton. Hermann chroust: Aristotle Nristo the New Light on his life and on some of his lost works vol. 11 observation on some of Aristotlese lost works. University of Notr Dame Press library of congress cataloging in publication Data p.165.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ١٦-١٧.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح للوحة ٥٢ شمال.

ذلك فى غير العاقل من الحيوان ما فطرها عليه من الإلهام [١] وهذه هى المعارف التى فطر الله الإنسان عليها ابتداء لاعن طريق [٢].

ثم يؤكد الإمام حميدان ان النفس -أيضا - مصدر من مصادر المعرفة الإيمانية غير انه يرى ان النفس فى هذا المجال لابد أن تسير مسترشدة بأدلة العقل التي بها ولأجلها وجـــب التصديق والمعرفة للفروض التي أوجب الله سبحانه الإيمان بها وهي الإيمان بالله وملائكتـــه وكتبه ورسله واليوم الآخر [٣].

فالنفس إذاً اتبعت أدلة العقل التي يقدمها العلماء سكنت [٤] وإذا كانت أدلة العقل تقود حتما إلى سكون النفس فإن العكس ليس صحيحاً أي أن سكون النفس ليس دليـــلاً على اتباع أدلة العقل، فالنفس قد تسكن باتباعها للهوى ومن ذلك يتضح أن قول المعتزلـة ان العلم هو الاعتقاد الذي يقتضي سكون النفس معتقده ... هو غير صحيح لأجـــل ... كون اسم العلم عاما لأنواع من العلم مختلفة المعاني ولأن علم كل عالم من علماء السوء قد اقتضى سكون نفسه بحيث لا يخطر بباله أن أحداً أعلم منه وكل حقيقة لا يحصل بها التمييز بين الحق والباطل فهي باطلة [٥].

والحق أن الصواب هنا فى جانب الإمام حميدان إذ اننا نرى البشر عـــلى اختـــلاف اعتقاداهم ونحلهم ينعمون بسكون أنفسهم، فالقائل بالتوحيد ساكن النفس، والقائل بالتثنية أو بالتثليث ساكن النفس أيضاً وعابد البقرة ساكن النفس، وعابد الحجر ساكن النفـــس، والملحد الذي لا يؤمن بإله ربما سكنت نفسه إلى إلحاده . ومن ثم يتضح صحة قول الإمـــام حميدان أن سكون النفس ليس دليلا على اتباع الحق وإن كان اتباع الحق يقود حتمـــا إلى سكون النفس.

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١ يمين.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق لوحة ٢٨ يمين.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٧٤ شمال.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٠ شمال.

بهذا يؤكد الإمام حميدان على النفس كمصدر من مصادر المعرفة اليقينية فيما يتعلق بتلك المعرفة التي يعلمها المرء بداهة، غير أنه يرى ان النفس لابد أن تسير إلى جانب العقل ويهتدي بهداه فيما يتعلق بالمعارف الإيمانية لكي تصبح هذه المعارف يقينية.

المصدر الرابع : الخبـــــر :

إذا كان كلا من الحس والعقل يعد مصدراً من مصادر المعرفة الواقعية المتصلة بعـالم الشهادة فان الخبر يعد مصدراً للمعرفة المتعلقة بعالم الغيب وعالم الشهادة معاً يقول الإمـــام حميدان فى هذا النوع من مصادر معرفة "ومن المعلومات ما طريق معرفته خبر من يجب قبول خبره اما لحكمته وإما لعصمته وإما لوجوب طاعته وهذا النوع يشتمل على الكتاب والسنة وإجماع الأمة أو العترة وأقوال أئمة الأعصار وهم أولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم مع طاعته وطاعة رسوله وأمر بسؤالهم والرد إليهم وهو سبحانه لا يأمر بسؤال من لا يجـــب قبول أخباره عما سئل عنه [١] ويقصد الإمام حميدان بأئمة الأعصار الإمـــام الســـابق [٢] ويقول فى موضع آخر "ان جمله ما يعمه اسم الفقه ستة أنواع مختلفة الأحكام وذلـــك لان جميع مسائل الفقه لا يخلو إما ان يكون طريق معرفته النص البين أو القياس المنصوص علــى مثال جنسه أو السؤال لمن يجب سؤاله والرد إليه من أولى الأمر وأهل الذكر والرجوع فيها إلى الحاكم أو إلى حكم عدلين أو إلى نظر المكلف نفسه وتحريه للأصلـــح فيمـــا التبـــس عليه.[٣] من هذه النصوص يتضح أن الخبر يتضمن المصادر الآتية :

ب- الخبر الـــمنزل : ١- القرآن الكريم ٢- السنة

ب- الخبر غير المنزل: ١- إجماع الأمة ٢- إجماع العترة ٣ - الإمام السابق
٤- الإمام الحالي ٥- الحاكم ٦- حكم عدلين ٧- نظر المكلف إلى نفسه

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١ يمين.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٠ شمال.

ويوضح الإمام حميدان أن المخالف لخبر الله سبحانه ولخبر النبي ولاجماع الأمة كـافر بالإجماع والمخالف لا جماع العترة مختلف فى كفره، والمخالف لخبر الإمام السابق رافـض وعاص لله ولرسوله إذ لا فرق بين وجوب طاعته وطاعة رسوله [١].

ويرتب الإمام حميدان هذه المصادر على النحو الآتي فيقول: "والكتاب مقدم علـى السنة بمعنى انه لا يجوز مخالفة محكم الكتاب بما ينسب إلى السنة لأنه يجب عرض ما أختلف فيه من السنة على محكم الكتاب والسنة مقدمة على الإجماع بمعنى انه لا يجـوز دعـوى الإجماع على ما يخالف محكم السنة والإجماع مقدم على أقوال أولى الأمر بمعنى أنه لا يجـوز أن ينسب إلى الأئمة الهادين ما يخالف الإجماع ثم أقوال الأئمة مقدمة على ما عداها بمعنى انه لا يجوز معارضة الأئمة بأقوال مخالفيهم [٢].

أ- الخبر المنزل (القرآن والسنة)

١- القرآن :

القرآن الكريم حجة لله بعد العقل باقية [٣] بمعنى أننا قد عرفنا صحة القرآن بـالعقل لان العقل يميز بين الصدق والكذب فى الأقوال والحق والباطل فى الاعتقادات [٤] وقـد عرفنا صحة القرآن بكونه معجز لا يقدر أحد على الإتيان بمثله لا فى الفصاحة ولا فيمـا يتضمن من الأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية ولا فى كونه محفوظا لا يأتيه الباطل من بـين يديه ولا من خلفه ولا فيما وصفه الله سبحانه نحو كونه تبيانا لكل شيء ونورا وروحـا ... وبصائر وهدى وبشرى للمؤمنين ... أوضح دليل إلى خير سبيل من قال به صدق ومـن عمل به أجر ومن حكم به عدل [٥] ولذلك كان الأئمة يقولون لا نعلم دليلا أبـين مـن

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١ يمين.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢-٥٣.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٣٥ يمين.

(٤) المرجع السابق لوحة ١٩ شمال.

(٥) المرجع السابق لوحة ٣٥ يمين.

القرآن ولا أسمى ولا أوضح من الفرقان [١] ومن ثمة فإنه يجب العمل بالقرآن قولا وعملا واعتقادا [٢].

ولما قد صح في العقل أيضا حكمة الحكيم الذي يجب تصديقه وهو الله سبحانه وتعالى، ومعرفة وجوب تصديقه فرع على معرفة حكمته [٣]. كان من الضروري على كل عاقل أن يقف بنظره عند حد المسموع لان الله سبحانه أعلم بنفسه وهو المعلم لعباده ما لم يكونوا يعلمون [٤].

٢- السنة [٥] :

يرى الإمام حميدان أن النص المجمع عليه من السنة كالنص البين من القرآن سواء بسواء وفى ذلك يقول: "أما ما طريق معرفته النص البين .. وكذلك فى كل مالا يختلف فى ان النبي صلى الله عليه وسلم بينه بقوله أو صفته من مجمل النصوص ومن أحكام هذا النوع الذي يخصه كون الخطاب به عاما يستوي فى معرفته ووجوب العمل به كل مكلف ومنها استمرار وجوب التعبد به فى كل عصر من غير تكلف نظر، ومنها حظر السؤال عن علل أحكامه لأجل كونه تكليف ممن لا يسأل عمل يفعل .. ومنها حظر تأويلها وتحريفها على غير ما يفيد ظاهرها.. لان النصوص البينة جاريه فى العلم بها مجرى العلوم الضرورية وكما لا يجوز تحريف العلوم الضرورية فكذلك لا يجوز تحريف النصوص الشرعية البينة [٦]. فلما أن توافر فى السنة شرط الإجماع أضحت بجانب القرآن ميزانا للحق وأضحى كل ما كان شاهده في كتاب الله عز وجل وفى السنة المجمع عليها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الإمام حميدان: بيان الإشكال ، لوحة ١٣٥ يمين.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٥ يمين.

(٣) المرجع السابق لوحة ٣٨ يمين.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح . لوحة ٩٦ شمال

(٥) السنة: هى ما صدر- أو جاء منقولا- عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[الشيخ محمد الخضري. "أصول الفقه" المكتبة التجاريه الكبرى د.ت، ص٢١٣ (*عبد الوهاب خلاف: "علم أصول الفقه" طبعة عام ١٩٤٠ ص١٩، د. محمد أمان: منزل السنة فى التشريع الإسلامي من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة دار النصر للطباعة الإسلامية ص١٠].

(٦) الإمام حميدان تنبيه أولى الألباب . لوحه ٤٠ شمال

أو جهة من العقل يصدقها الكتاب فكل ما كان من هذا فهو أصح مطلوب وأنور حجة في القلوب [١] ولذلك يجب تصديق النبي فيما يرويه عن الله سبحانه [٢] وذلك لان أحـــدا لم ينبيء عن الله عز وجل كما انبيء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] ولذلك لا يجـوز الاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم [٤] ومن اعترض أو خالف النبي في أصل مـــن أصول الدين لزمه اسم الكفر [٥].

ب- الخبر غير المنزل :

١- الإجماع[٦] :

هدف الإجماع نفع الأمة لان الأمة قد تجمع على ما يجر النفع إليها ولا يرد إجماعـها [٧] والإجماع دليل يحصل به العلم [٨] لذا يعد كل ما وقع عليه الإجماع واجب [٩] وكـــل من خالف إجماع الأمة كافر بالإجماع [١٠].

ومن شروط الإجماع معرفة جميع أراء المجتهدين والإحاطة لجميع كتبهم [١] وهذا مـا دفع الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ) إلى إنكار حجية الإجماع إذ انه ليس بممكن نظـــرا

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٠ يمين.
(٢) الإمام حميدان: تنبيه أولي الألباب لوحة ٤٣ شمال
(٣) الإمام حميدان:المنتزع الثاني لوحة ١٢٥ يمين.
(٤) الإمام حميدان: تنبيه أولي الألباب لوحة ٤٣ شمال.
(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٨ يمين.
(٦) الإجماع في اصطلاح الأصوليين هو اتفاق جميع المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور بعـد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي وله أربعة أركان: الأول: ان يوجد في عصـــر مـــن العصور جمع من المجتهدين. الثاني: ان يحصى جميع المجتهدين. الثالث: ان يبدى كل واحد منهم رأيــــه صراحة في حكم الواقعة. الرابع: أن تتفق آراؤهم جميعا على حكم الواقعة (عبد الوهاب خلاف :علم أصول الفقه ص٢٧-٢٩)
(٧) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٧٠ شمال.
(٨) المرجع السابق لوحة ٧٠ يمين.
(٩) الإمام حميدان: تنبيه أولي الألباب لوحة ٤٤ شمال.
(١٠) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١ يمين.

لاتساع البلاد الإسلامية ، وكثرة الحاملين للعلم، وخمول كثير منهم فى كل عصر وتعـذر حصرهم، بل قد يعجز أهل المدينة الواحدة ان يعرف ما عند كل فرد من أفراد علمائها [٢]
ولا ريب أن الشوكاني لو عاش فى زماننا هذا لغير من أفكاره هذه فى ظل ما نعيشه الآن من تقدم علمي وتكنولوجي يمكن الاستفادة منه فى جعل الإجماع ممكنا.

ومن شروط الإجماع عند الإمام حميدان- أيضا- ان يكون الإجماع فى ثابت معروف حيث يقول :"مالا يعرف لا يعتبر فيه إجماع لأنه ينتفي والإجماع لا يكون إلا على ثـابت ولان ما يعتبر فيه الإجماع لا يجوز وصفه بأنه لا يعرف[٣] فإذا ما كان الإجماع هكذا فـان الرواية الشاذة لا تقدح فيه وذلك لان تحسين الظن بالجماعة أولى منه بالواحد [٤].

٢- إجماع العترة[٥] :

يرى الإمام حميدان أن الأئمة لا يجمعون إلا على حق يجب قبوله [٦]. ولا يجوز لأحد من المؤمنين مخالفة إجماعهم [٧]. والذي يدل على أنه يصح الاستدلال بإجماعهم .. هـو أن الله سبحانه قد أمرنا بالرد إليهم وسؤالهم على كل مختلف فيه [٨] ومقارنة النبي صلـى الله عليه وسلم العترة بالكتاب ونفيه لافتراقهما وتسميته لهما باسم واحد وهو الثقل [٩] فـدل بذلك على كونهم حجة كالكتاب [١] هذا بالإضافة إلى انهم اخذوا علمهم مـن الكتـاب

---

(١) الإمام حميدان : جواب المسائل، لوحة ١٤١ شمال.

(٢) الشوكاني : أدب الطلب (ومنتهى الأدب) مركز الدراسات اليمنية ١٩٧٩ ص ١٦٤.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٥ شمال.

(٤) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٣ يمين. لوحة

(٥) لا يسمى هذا إجماع بل يسمى اتفاق لان المتفقين هنا ليسوا جميع المجتهدين (عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه ص٢٨).

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٧٠.

(٧) الإمام حميدان: المنتزع الأول لوحة ١٠٩ يمين.

(٨) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٦٣ يمين.

(٩) وذلك فيما أورده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلـوا بعدى أبدا الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي أن العليم الخبير نبأني أنهما لن يفترقـا حـتى يـردا الحوض"

على كونهم حجة كالكتاب [١] هذا بالإضافة إلى انهم اخذوا علمهم من الكتاب والسنة ولم يحتاجوا إلى إحداث رأى ولا بدعة [٢] فإجماعهم حق ولو علم سبحانه انهم يجمعون على غير حق لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل أن يعزى الناس إليهم [٣] ومن أمثلة إجماع العترة إجماعهم على حصر الإمامة فيهم [٤]. وما تفرقت الأمة واختلفت إلا بسبب تركها لمن أمر الله باتباعه والاقتباس من علمه [٥].

ولكن إجماع العترة مطعون فيه بأمرين اثنين :

الأمر الأول: إن إجماع العترة على أن إجماعهم واجب القبول ليس بحجة لأنه كشهادة الجار إلى نفسه [٦] وهذا مما دفع الكثير من الجامعين بين التشيع والاعتزال إلى إنكارهم لفضل العترة ولكون إجماعهم حجة وتفضيلهم لكثير من علوم رفضة الأئمة على علوم الأئمة [٧] لكن الإمام حميدان ينفى هذه التهمة ويرى إن إجماعهم منصوص عليه من غيرهم [٨].

الأمر الثاني : "كثرة اختلاف الأئمة" وقد اعترف الإمام حميدان بذلك وذكر عشرة أنواع من المسائل التي خولف بها بين الأئمة [٩] والاختلاف -ما لم يكن في الأصول- أمر طبيعي

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٠ شمال

(٢) الإمام حميدان: المنتزع الأول، لوحة١١٢ شمال.

(٣) الإمام حميدان:جواب المسائل، لوحة ١٤٠ شمال.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٣ شمال.

(٥) الإمام حميدان: المنتزع الأول، لوحة ١١٢ شمال.

(٦) الإمام حميدان: -التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٠ شمال.
-جواب المسائل، لوحة ١٤٠ شمال

(٧) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٩ يمين.

(٨) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٧٠ شمال.

(٩) هذه العشرة هي:
الأولى: من المسائل المرجاة لأنظار الأئمة التي يجوز اختلافها لأجل اختلاف أحوال الأئمة وأحوال الرعية ولأجل كونها اجتهادات لا أصل لها. الثانية: مسائل اختلفت أقوالهم فيها لأجل كون أدلتها من الكتاب والسنة مجملة أو محتملة لأكثر من تأويل نحو اختلاف نظر ولد الحسن وبعض ولد الحسين فى طلاق البدعة هل يقع. الثالثة: مسائل ذكرها القسم بن على عليه السلام للتنبيه بها على جواز اختلاف أنظار الأئمة وعلى انه لا يجوز تخطئه أحدا منهم ولا تخطئة اتباع كل إمام منهم في عصره.

اقتضاه اختلاف أحوال الأئمة فى التمكين، وبالتالي فلا شيء على من ادعى انه على مذهب بعض الأئمة فى مسألة من المسائل. لكن هذا الادعاء -فى نظر الإمام حميدان- غلط [١] لأنه إقرار باختلاف الأئمة مع انه لا يجوز لأحد ان ينسب إليهم الاختلاف فى الدين[٢]، وإنما جاء خطأ من نسب الأئمة إلى الاختلاف من جهله وعدم معرفته لتصاريف عباراتهم التي معرفتها تنبه على معرفة غامض قصودهم التي من عرفها عرف اتفاقهم وأمكنه التأويل لكل مشكل من الأقوال المنسوبة إليهم من ذلك انه لما كثر حاسدهم على ما أتاهم الله سبحانه من فضله وخصهم به من إرث الكتاب. وخلافة الرسول تفرق من سلم منهم من القتل فى البلاد فمنهم من صار إلى حيث لا يمكنه التصريح بمذهبه لفظاً ومعنى والإنكار على كل مخالف في الإمامة وأحكامها ومنهم من أمكنه التوسع فى العلوم والاستظهار بكثرة التصانيف ومنهم من اقتصر على القدر الواجب عليه ... ومنهم من نشأ بين العرب ومنهم من نشأ بين العجم ومنهم من صارت كتبه فى حياته وبعد موته إلى من يحفظها من التدليس [٣] ومنهم من صارت كتبه إلى من باطنه بخلاف ظاهره، ومنهم ألزم رعيته العمل بها ... فى حياته ... ومنهم من لم يلزم أحدا ذلك ، ومنهم من جمعت أقواله بعد موته وجعلت مذهبا

الرابعة: معارضة الإمام الآخر لقول من قبله، فذلك مما لا يجوز وعلى انه يجب حمل أحد القولين المتعارضين على الوجوب وهو ما وقع الإجماع عليه وحمل الثاني على الاستحباب وهو المختلف فيه. الخامسة: مسائل عُلم يقينا أنها غير صحيحة ومن أمثلتها ما حكى عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنه كان يرى جواز بيع أمهات الأولاد. السادسة: مسائل كان الخلاف فيها بين الخاصة وهم أئمة العترة ومن قال قولهم وبين العامة وهم سائر علماء الفرق. قال بعضهم فيها بالنص وقال بعضهم بالرأي ثم نسب إلى بعض الأئمة انه استحسن القول بالرأي. السابعة: مسائل اختلفت لأجل اختلاف الأئمة عليهم السلام فى الترخيص والتشديد. الثامنة: مسائل قيل إنها متعارضة المعاني وتنسب كذلك إلى الأئمة لان لكل واحدة منها معنى غير معنى الثانية. التاسعة: مسائل اختلفت لأجل زيادة فى لفظ أحد المسلمين لا تفيد معنى لوجوب الاختلاف. العاشرة: مسائل اختلفت لأجل كون بعضها إنما (هو) واقع على سبيل السهو والخلط. [الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٤-٤٧]

(١) المرجع السابق لوحة ٤٧ شمال.

(٢) المرجع السابق، لوحة ٤١ يمين

(٣) التدليس : في اللغة كتمان عيب السلعة عن المشترى، وفى الاصطلاح: إخفاء عيب فى الإسناد، وتحسين لظاهره. (*الرازي: مُختصر الصحاح، دار ابن كثير دمشق- بيروت، د.ت، ص٢٠٩ * د. محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث: مكتبة المعارف الرياض ١٩٨١ ص٥٨)

له وأشباه ذلك مما يجب لأجل حسن الظن بهم وترك المخالفة بينهم فى كل مـــا يحتمـــل ان يتأول على الموافقة دون المخالفة [١]. وهذا تعسف واضح من الإمام حميدان وتصنع لاجماع هو فى الواقع غير موجود وان وجد فإنه لا يلزم إلا الإمام حميدان لأنه وحده الذي يعــرف كيف يؤول المختلف فيه ليصبح متفقا عليه.

بين إجماع الأمة وإجماع العترة :

الفرق بين إجماع الأمة وإجماع العترة-كما يرى الإمام حميدان إن المخالف لاجمـــاع الأمة كافر بالإجماع والمخالف لاجماع العترة مختلف فى كفره [٢] وهذه مرونـــــة محمـــودة وانفتاحا من الإمام حميدان بالمذهب الزيدي على المذاهب الأخرى. وان كنا نلاحــــظ أن الإمام حميدان فى كثير من الأحيان يسخر إجماع الأمة ويستغله لصالح مذهبه فمـــا وافـــق مذهبه من إجماع الأمة أقرّه واعترف به وما خالف مذهبه خالفه وأنكره ومن أمثله ذلك ما ادعاه من "إجماع فرق الأمة على تجويز الإمامة فى العترة وعلى تصويب كل مجتهد منهم ولم تجمع العترة مع العامة على ان الإمامة تجوز فى غيرهم ولا على تصويب اجتهاد من خــالف إجماعهم [٣].

فهذا خطأ وتوهم من الإمام حميدان بإجماع الأمة مع العترة ولو جاز مثل هذا النوع من الإجماع لجاز لقائل أن يقول "اجمع النصارى والمسلمين مع اليهود على صحـــة نبــوة موسى، ولم يجمع اليهود والنصارى مع المسلمين على صحة نبوة محمد فهذا إجماع من أهــل الأديان على صحة نبوة موسى واختلاف في نبوة محمد" . ومن ثم فليس للإمام حميـــدان أن يقول إن القائلين بجواز "الإمامة فى كل الناس" أو القائلين بجوازها في قريش قد اجمعوا معنــا على جوازها فى أبناء الحسن والحسين دون غيرهم فهذا إجماع جدلي يقوم علـــى التوهــم بتقارب الآراء بينما الواقع يقول: إن هذه الآراء كانت متنافرة ومتباعدة كل البعد وإلا بمــا تفسر هذه الهوة الموجودة بين الشيعة والسنة إلى يومنا هذا ؟!

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٤.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١ يمين.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة٤٨ يمين.

٣-الإمام السابق :

الإمام السابق حجة لله سبحانه وتعالى يجب تصديقه والاقتداء به يدل على ذلك قول الله سبحانه "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" [النساء/من الآية ٥٩] وأولى الأمر هم أئمة الأعصار فدل ذلك على طاعتهم واجبه كطاعته وطاعة رسوله، وكل من وجبت طاعته لم يجز مخالفته ولا الشك فى روايته واجتهاده وسيرته [١] ولذلك اجمع علماء العترة على أن الإمام السابق قائم فى أهل عصره مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يجب عليهم الطاعة والتسليم ويجب لهم عليه من الهدايا [٢] وكذلك اجمع مع الزيدية المحققين ممن لم يغل من الإمامية فى أن العترة على الجملة أفضل الناس لكونهم مصطفين لأرث الكتاب ومنصب الإمامة وان من بلغ منهم درجة السبق فإنه أعلم العترة أو كأعلمهم [٣].

ولذلك فقد أخطأت الشيعة المعتزلة فى تجويزهم لمخالفة كل عالم منهم لإمام عصره فى مسائل الاجتهاد [٤] وهم بذلك ليسوا شيعة وإنما هم مدعين للتشيع ذلك أن مدعى التشيع لا يخلو إما ان يلتزمه أو لا يلتزمه فان لم يلتزمه فليس بشيعي وان ألتزمه لزمه ان يعتقد أنه لا فرق فى استحقاق الدم والعقاب بين من خالف النبي وبين من خالف الإمام السابق، وانه كما لا يجوز لمسلم ان يتوصل بنظره واستدلاله إلى مخالفة النبى صلى الله عليه سلم لكونه متعديا (متعبداً) بنظره واستدلاله كذلك لا يجوز له ان يتوصل بنظره واستدلاله إلى مخالفه الإمام وكما لا يحق له معارضة النبي صلى الله عليه وسلم وآله فى التنزيل فكذلك لا يجوز له معارضة الإمام فى التأويل، وكما لا ينفع مؤمنا إيمانه بجميع الأنبياء مع جحده للنبي الواحد منهم لا ينفعه ذلك مع رفضه لإمام واحد، وكما لا يجوز إنكار فضل النبي وكونه حجة لأجل كونه من جملة البشر المتعبدين فكذلك لا يجوز له إنكار فضل الإمام وكونه حجة لكونه من آحاد البشر المتعبدين وكما لا يصح ولا ينفع الإقرار بصحة نبوة

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٣٧ يمين.
(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨١ شمال.
(٣) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٠ شمال.
(٤) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٩ يمين.

النبي مع اعتزاله فكذلك لا يصح ولا ينفع الإقرار بإمامة الإمام مع اعتزاله وموالاة من اعتزله [١].

٤- الإمام الحالي :

مذهب الأئمة على ان الإمام الحالي كالإمام السابق حجة لله سبحانه يجب تصديقه ودليلهم على ذلك "ان الله سبحانه ختم النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا نبى بعده ولا مرسل من الله سواه، فلما ان كان ذلك كذلك لم يستغن الخلق عن قائم فى كل وقت يأمرهم حاكم فيهم بكتاب الله يبين الأحكام ويوضح الإسلام [٢] ، ولهذا فمن الخطأ رفض الأئمة الباقين والتعلق بكتب الماضين [٣]. بل الواجب على الرعية إذا وثقت بعدالة أمامها وصحت عندهم إمامته ان يعلموا ان علمهم يقصر عن علمه ولا يقعون من الغامض على ما يقع فإذا علموا ذلك وجب عليهم التسليم له [٤] ولذلك يهاجم الجامعين بين التشيع والاعتزال لتعلقهم بعلوم الميت من الأئمة دون الحي وتعرضهم لسيرة الحي بسيرة الميت وإظهارهم للدرس فى كتب من كتب من الأئمة الماضيين [٥]

٥- الحاكم :

الحاكم هو من نصبه أمام الحق [٦] ومن أمثلة المعلومات التى طريق معرفته حكم الحاكم تقدير الحكومات فيما له أرش [٧] من الجنايات، ومقادير واجب النفقات والتوسط الصلح فما تساوت فيه الإيمان والبينات وما أشبه ذلك من الأحكام التي لا يجوز أن ينظر فيها إلا من نصبه أمام الحق إلا على وجه الاحتساب فى أوقات الفترات لمن يجوز

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٣ يمين.
(٢) المرجع السابق، لوحة ٨٣ شمال.
(٣) الإمام حميدان: بيان الإشكال، لوحة ١٣٥ يمين.
(٤) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٤.
(٥) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٩ يمين.
(٦) المرجع السابق، لوحة ٤١.
(٧) أرش :الأرش بوزن العرش دية الجراحات (الرازي: مختصر الصحاح، ص١٣)

الاحتساب من أهل العلم والدين والورع [١] وهذا النوع المتفرع عن معرفة الحاكم لظواهر الأحكام الشرعية وعن الخبرة والمعرفة لأحوال الخصوم بخلاف ما لا يجوز الرجوع فيه إلا إلى الأئمة خاصة لان ما يرجع فيه إليهم متفرع عن استنباطاهم لغامض علم الكتاب الذي خصهم الله بإرثه وجعلهم أهلاً له، وعلم الحاكم متفرع من علوم الأئمة من ذلك يعلم بطلان قول من زعم انه لا فرق بينه وبين الأئمة فى غامض الكتاب، ويعلم ان كل اجتهاد لهم خالفوا به إجماع العترة فهو باطل وان كان منه موافقا لكلهم أو لبعضهم فنسبته إلى الأئمة أولى من نسبته إليهم لأجل كونهم رعية لا رعاه [٢].

٦- ما طريق معرفته حكم عدلين :

من أمثلة هذا النوع من المعرفة قول الله سبحانه فى جزاء ما يقتل من الصيد المحرم "يحكم به ذوا عدل منكم"[المائدة /من الآية ٩٥]وقوله فى شأن الزوجين "فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها"[النساء/ من الآية ٣٥] وهذا النوع من المعرفة ليس مما يجب على الإمام ولا على الحاكم لجواز كون غيرهم أعرف منهم به لأجل الخبرة،وهذا مما يجوز أن يقاس عليه ما أشبهه من مسائل الصلح فى مسائل المعاملات الحادثة [٣].

٧- فيما طريق معرفته نظر المكلف نفسه :

إن من المعلومات ما طريق معرفته نظر المكلف فيما تلجئه إليه الضرورة من التحري للأصلح فيما لا طريق إلى معرفته إلا تغليب ظنه، فمن أمثلته تحرى جهة القبلة فى وقت الصلاة وما أشبه ذلك من كل مشكل فى مسائل العبادات المعينة .. وما يخص هذا النوع كون النظر فيه ضعيفاً وكونه عاما لكل مكلف، وإنه هو الذي يجوز أن يقال فيه خاصة: كل مجتهد مصيب [٤].

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤١-٤٢.

(٢) المرجع السابق لوحة ٤٢ يمين.

(٣) المرجع السابق

(٤) المرجع السابق.

هذه هي مصادر المعرفة وطرقها، وكل من طلب علماً من غير هذه الطرق فهو متوهم ومتظنن ومخترص[1] وهي كما اتضح لا تخلو من طابع شيعي زيدي.

ثالثا : موضوعات المعرفة :

إن الإمام حميدان – بالنسبة لموضوعات المعرفة – يتبين ما هو "حسي" وما هو "عقلي" وذلك بحكم تقديره للحس والعقل كمصدرين من مصادر المعرفة التي تنتمي إلى عالم الشهادة ، أما عالم الغيب كموضوع للمعرفة فليس طريقه العقل ولا الحس لأنه فوق مستوى وقدرة كل منهما وإنما طريقة الخبر المنزل أو السمع.

أ- عالم الشهادة:

يرى الإمام حميدان أن "الحسي" هو الموضوع الصالح لان يكون موضوعاً للمعرفة الحسية وفى ذلك يقول "ومن المعلومات ما طريق معرفته درك الحواس الخمسة وأمثلتها ظاهرة فى الأجسام والأعراض" [2]. فالحس إذن يشمل الجسم وأوصافه أي الأعراض ولكن ما الذي تدركه الحواس من موضوعها ؟ أتدرك الجسم ذاته ؟ أم تدرك أوصافه؟ لقد تخلت الفلسفة فى عصرنا هذا عن رغبتها فى إدراك كنه الموضوع المدرك حتى أن الفلاسفة القائلين بالمادة أنفسهم يعترفون بأنهم لا يدركونها فى ذاتها [3].

وماذا عساي أن أريد من كنه الأشياء وذواتها ان السعي وراء كنه الأشياء تطفل ومضيعة للوقت، إن علاقتي بالأشياء انما هى علاقة قائمة على الانتفاع بها والاستفادة منها ولن يتحقق لى ذلك إلا بمعرفة صفات الموضوع المدرك لا كنهه، فحاجتي الى النار الحارقة فى طهي الطعام لا تستلزم مني على الإطلاق معرفة كيفية إحراقها.

هذه الحقيقة أدركها الإمام حميدان حين أكد على ان الحواس إنما تدرك من الأشياء أوصافها لا كنهها وفى ذلك يقول لمن أراد أن يسأل عن معرفة موجود عيني ان على السائل ان يذكر بعض أوصاف المسئول عنه الذي يحصل له بذكرها معرفة ما سئل عنه نحو

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢١ يمين.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٢ شمال.

(٣) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ط٦ دار المعارف ص ١٦٧-١٦٨

أن يقول مثلا ما هو الجسم ؟ فيجاب بانه ما صح ان يرى، أو ما يشغل الجهة عن غيره أو ما تحويه الجهات الست أو ما يحله العرض أو ماله طول وعرض وعمق [٤] فهذه الصفات أو الأعراض هي التي تمثل الموضوع وتصفه وبالتالي تجعله موضوعاً للمعرفة الحسية لان الحواس لا تدرك إلا كل ماله حد ومثال وصفه [٥] أي أن هذه الأعراض تميزه عن غيره من الموضوعات حتى يمكن إدراكه وفي ذلك يقول: "إن ما وقع بين الاشياء مما يقع من الاختلاف فليس يوجد واقعا إلا بين ذوات الأوصاف [٦].

وهذه واقعية لازمت المفكر المسلم ولم تنفك عنه ابدا بينما تنكب عنها المفكر الغربي أحيانا كثيرة فقديما اعتقد هرقليدس واتباعه ان الحواس لا تؤدى إلينا سوى أشباح زائلة وقد تابعهم أفلاطون في هذا الرأي فاعتقد ان عالم المثل وحده العالم الحقيقي [٧] وحديثاً زعم بركلي (١٦٨٥-١٧٥٣) واسبنوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) وأضرابهم ان الأجسام في الحقيقة ما هي الا تصورات للروح فالاعتقاد بالمادة عديم الجدوى وفيه خطر كبير [٨] وهنا تبدو المفارقة واضحة لان الاعتقاد بوجود المادة لا يرجع الى الأهواء والأمزجة وإنما هو أمر اعتقادي وهذا ما أكده الإمام حميدان حين قال : "إن الإيمان بالله سبحانه والاستدلال عليه بصنعه .. هو الذي اذا تفكر فيه الموحد ازداد يقيناً [٩] هكذا يؤكد الإمام حميدان وجود العالم الخارجي وجودا مستقلا عن الذات العارفة.

أما ما لم يكن له حد أو مثال أو صفة فلا تدركه العقول ولا الفكر ولا الحواس[١٠] لان الحواس المخلوقة والألباب المجعولة لا تقع إلا على مثلها ولا تلحق إلا بشكلها ولاتحد

---

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٤ يمين.

(٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٥ شمال.

(٦) الإمام حميدان: المنتزع الثاني، لوحة ١٢٧ يمين.

(٧) د. فيصل بدر عون : فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية،الطبعة الاولى، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٠ ص٨٢.

(٨) يوسف كرم:تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٦٨.

(٩) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٥ شمال.

(١٠) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٥ شمال.

إلا نظيرها[١١].ومن هنا لا يمثل الله سبحانه وتعالى-وكذلك كـل الغيبيـات- موضوعـا للمعرفة الحسية لأنه سبحانه مخالف لها فى كل معانيها بائن عنها فى كل أسبابها، ولو شاكلها فى سبب من الأسباب لوقع عليه ما يقع عليها من درك الألباب [١٢] ويمثل "الحسي"أيضـاً موضوعا للمعرفة العقلية حيث يسير العقل الى جانب الحواس فيجبر قصورهـا ويصحـح أخطائها ولذلك نجد الإمام حميدان دائما ما يقرن "الحس" بالعقل فيقول مثلاً "وأما تنـوع الأجسام الى كثيف ولطيف وحيوان وجماد وتنوع الأعراض الى ما يعلم بـدرك الحـواس الخمس، وما يعلم بالدليل فذلك ظاهر لكل من لم يكابر الضروريات بكابر التوهـم" [١٣] ومعرفة الدليل-كما سبق- إنما هو من عمل العقل لا من عمل الحواس ذلك لان الحـواس لا تقدم إلا معارف متفرقة ، أما العقل فهو الذي يدرك ما بينها من علاقات فيؤلف بينـها وينظمها ويرتبها. ولا يقف العقل عند هذا الحد بل إنه يستطيع ان يستدل "بالحسي" علـى ما وراء "الحسي" كالاستدلال بأثر الصنع على الصانع سبحانه وفى ذلك يقول"وكذلـك يعلم أيضا من طريق الاستدلال العقلي أن ما فى الإنسان من أثر الصنع العجيب يدل علـى ان له صانعا حيا قادرا عالما [١٤].

ب- عالم الغيب :

يرى الإمام حميدان أن عالم الغيب ذو موضوعات ليست فى مقدور العقل إدراكـها، وهى نوعـان:

الأولى: غيبيات يجهلها البشر جملة وتفصيلا.   الثانية: غيبيات يجهلها البشر تفصيلا.

وفى ذلك يقول: "ومن المعلومات ما لا طريق لكل المكلفين ولبعضهم إلى معرفتـه على الجملة أو على الجملة والتفصيل لكونها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها أو خـص بعلمها بعض عباده وشاهد ذلك قوله سبحانه " ويخلق مالا تعلمون" [النحل/من الآيـة ٨]

---

(١١) الإمام حميدان: المنتزع الأول، لوحة ١٢٨

(١٢) المرجع السابق، لوحة ١٢٨ شمال.

(١٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة٢٧ يمين.

(١٤) المرجع السابق : لوحة ٢٢ يمين.

وقوله "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" [الإسراء/ من الآية٨٠]وقوله "وفوق كل ذي علـم عليم" [يوسف/من الآية ٧٦][١٥].

فأما النوع الأول الذي يجهله البشر جملة وتفصيلا فهي الغيوب التى لا يعلمـها إلا الله سبحانه [١٦] فلا سبيل لمعرفتها لا من جهة العقل ولا من جهة السمع لان الله لم يخـبر عنها شيء فهي من علم الله المكنون.

وأما النوع الثاني من الغيوب فقد علمناه عن طريق السمع مثل وجود الله سـبحانه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والميزان والحساب ... الخ فهذه أمور علمنـا وجودها دون أن نعلم كيفياتها وتفاصيلها والعقل إزائها يستطيع أن يثبت وجودهـا دون تفاصيلها، وفى ذلك يقول الإمام حميدان وكذلك يعلم أيضاً من طريق الاستدلال العقلي أن ما فى الإنسان من أثر الصنع العجيب يدل على أن له صانعاً حياً قادراً عالماً [١٧] ويقـول أيضا: "وأما العرفان بالعقول فهو المعرفة لله سبحانه بأدلة العقل التي بها ولأجلها أوجب الله سبحانه الإيمان بها وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر [١٨].

هذه هى حدود العقل وإمكاناته فيما هو من عالم الغيب ولذلك يجب على الإنسـان العاقل أن يقف بعقله عند هذا الحد، وفى ذلك يقول الإمام حميدان: "التوحيد دين مسـتقيم وتعبد مستمر لا يجوز الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا التجاوز بالنظر لحد المسموع منه لان الله سبحانه أعلم بنفسه وهو المعلم لعباده ما لم يكونوا يعلمون [١٩].

ولذلك فقد غالى الفلاسفة عندما ادعوا معرفتهم لعلم المبدأ والميعاد وكيفية ترتيـب العالم وكم مساحته وعدد أجناسه وأنواعه [٢٠]. وغالى المعتزلة عندما تكلموا فى نقص نعيـم

---

(١٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٢ يمين.

(١٦) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٢ شمال.

(١٧) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٢ يمين.

(١٨) المرجع السابق، لوحة ٢٨ يمين.

(١٩) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٦ شمال.

(٢٠) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ يمين.

الجنة وما قدرها وهيئتها من التدوير والتربيع [٢١]، وعندما ادعوا العلم بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل [٢٢]، وعندما قالوا بثبوت أمور ليست بشيء ولا لاشيء [٢٣] وغالت الأشعرية فى ادعائهم للعلم بأزلية الإرادة وقدم القرآن [٢٤].

فهذه الأمور وغيرها مما استأثر به سبحانه وتعالى ذات طبيعة تختلف عـــن طبيعـــة الموضوعات التي تنتمي إلى عالم الشهادة، أي أنها ليست لها نماذج او مثل مشابهة فى عـــالم الشهادة يستطيع العقل من خلالها ان يدركها، كما كان يظـــن أفلاطـــون ، وانمـــا هـــى موضوعات تنتمي الى عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه.

رابعاً: مناهج البحث :

لقد كان لتبين الإمام حميدان تعدد موضوعات المعرفة أثره فى انه اهتـــدى الى مـــا يقتضيه هذا التعدد من ضرورة تباين الأساليب أو المناهج أو الطرق التي تحصل بها معرفـــة هذه الموضوعات، ولكي يتضح هذا الأمر سوف نعرض لمناهج المعرفة لديه فى كل من عـــلم الغيب، ثم فى العلوم الشرعية ثم فى العلوم غير الشرعية (العقلية).

أ- مناهج البحث في عالم الغيب:

يرى الإمام حميدان ان موضوعات عالم الغيب نوعان :

الأولى : غيبيات يجهلها البشر جملة وتفصيلا، وهذه لا وسيلة ولا طريقة الى معرفتها البتة وفى ذلك يقول : "ومن المعلومات ما لا طريق لكل المكلفين أو لبعضهم الى معرفتـــه على الجملة أو على الجملة والتفصيل لكونها من الغيوب التي استأثر الله بعلمها [٢٥].

---

(٢١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٧ شمال.

(٢٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ يمين.

(٢٣) المرجع السابق.

(٢٤) المرجع السابق.

(٢٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٢ يمين.

الثانية : غيبيات يجهلها البشر تفصيلا لا جملة كوجود الله سبحانه وصفاته، ووجود الملائكة والجنة والنار والميزان والحساب والجزاء والثواب والعقاب .. الخ فهذه كلها أمور علمنا بوجودها دون أن نعلم تفاصيلها وطريقتنا فى معرفتها على هذا النحو هو السمع.

والعقل إزاء هذا النوع الثاني يستطيع ان يثبت وجوده وفى ذلك يقول الإمام حميدان :

"ولذلك يعلم أيضا من طريق الاستدلال العقلي ان ما فى الإنسان من أثر الصنع العجيب يدل على أن له صانعاً حياً قادراً (٢٦) ويقول أيضاً: "وأما العرفان بالعقول فهو المعرفة لله سبحانه بأدلة العقل التي بها ولأجلها أوجب الله سبحانه الإيمان بها وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (٢٧) بهذا يؤكد الإمام حميدان ان العقل يستطيع ان يشارك السمع فى إثبات وجود هذه الموضوعات ولكنه لا يستطيع ان يتعدى هذه الحدود كان يحاول مثلا إثبات كنهها وكيفياتها ولذا يحتم الإمام حميدان على العقل ان يقف عند حد المسموع ولا يحاول ان يتعداه وفى ذلك يقول: "التوحيد دين مستقيم وتعبد مستمر لا يجوز الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا التجاوز بالنظر لحد المسموع منه لان الله سبحانه أعلم بنفسه وهو المعلم لعباده ما لم يكونوا يعلمون (٢٨).

ومن هنا نعلم لماذا أخطأ الفلاسفة والمعتزلة والأشاعرة لأنهم استخدموا مناهج لا تتلاءم مع موضوعات البحث التي تناولوها بها فادعت الفلاسفة معرفة علم المبدأ والميعاد وكيفية ترتيب العالم وكم مساحته وعدد أجناسه وأنواعه (٢٩). وادعت المعتزلة نقص نعيم الجنة وتكلموا فى قدر الجنة ومساحتها وهيئتها من التدوير والتربيع (٣٠)، كما ادعوا العلم بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل وبثبوت أمور ليست بشيء ولا لاشيء (٣١) وادعت الأشعرية العلم بأزلية الإرادة وقدم القرآن (٣٢).

---

(٢٦) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٢ يمين.
(٢٧) المرجع السابق، لوحة ٢٨ يمين.
(٢٨) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٦ شمال.
(٢٩) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ يمين.
(٣٠) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٧ شمال.
(٣١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ يمين.
(٣٢) المرجع السابق.

وهذه كلها أمور لا طريق لنا إليها إلا عن طريق السمع لا العقل، وقد سكت السمع عنها فلماذا لا يسكت عنها العقل؟

ب- مناهج البحث فى العلوم الشرعية :

يرى الإمام حميدان ان مناهج البحث فى العلوم الشرعية متنوعة وذلك بحسب تنوع أحوال ودلالات النصوص الشرعية فمن النصوص ما هو واضح الدلالة ومنها ما هو جلى ومنها ما هو خفى، ثم هناك النوازل الجديدة التي لم يرد فيها نص صريح، ولذلك تتعدد المناهج على النحو الآتي :

١- السمع كمنهج لتناول النصوص الواضحة أو قطعية الدلالة.

٢- التأويل كمنهج لتناول النصوص الخفية.

٣- القياس (الاجتهاد) كمنهج لتناول النوازل الجديدة.

١- السمع كمنهج لتناول النصوص الواضحة أو قطعية الدلالة.

يرى الإمام حميدان ان الخبر (قرآن وسنة)أو السمع هو الأسلوب أو المنهج الذي يجب ان نلتزم به فى تناول النصوص البينة وفى ذلك يقول :أما ما طريق معرفته النص البين فذلك مثل ما ذكره الله سبحانه من مقادير سهام ذوى السهام من الورثة وأنواع الكفارات وأوقات العدة وكذلك فى كل ما لا يختلف فى ان النبي صلى الله عليه وسلم بينه بقوله أو فعله من مجمل النصوص ومن أحكام هذا النوع الذي يخصه كون الخطاب به عاما يستوي فى معرفته ووجوب العمل به كل مكلف، ومنها استمرار وجوب التعبد به فى كل عصر من غير تكلف نظر، ومنها حظر السؤال عن علل أحكامه لأجل كونه تكليفا ممن لا يسأل عما يفعل .. ومنها حظر تأويلها وتحريفها على غير ما يفيد ظاهرها ولذلك سميت الباطنية زنادقة لأجل قولهم: "إن لكل ظاهر من الفروض باطنا" وذلك لان النصوص البينة جارية فى العلم بها مجرى العلوم الضرورية وكما لا يجوز تحريف العلوم الضرورية العقلية فكذلك لا يجوز تحريف النصوص الشرعية البينة [٣٣].

(٣٣) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب ، لوحة ٤٠ شمال.

والعلة فى عدم السؤال عن علل هذه النصوص البينة أنها لا تخضع للقياس ومن ثم لا يجب السؤال عن علتها وفى ذلك يقول : "وذلك لان فريضة ... نحو الصلاة أو الزكاة لا يصح قياسها ولا القياس عليها ولذلك لم يجز السؤال عن عللها إذ لو كان لها علل وجبت لاجلها لما عقل كونها تعبدا لفاعل حكيم مختار يجب التسليم لأمره" (٣٤).

أما إذا كان النص من السنة فالإمام حميدان يرى ان " كل ما لا يختلف في أن النبي صلى الله عليه وسلم بينه بقوله أم فعله من مجمل النصوص" فهي سنة صحيحة تجرى مجرى النص القرآني الواضح الدلالة.

والسؤال الآن هو كيف يتسنى لى أن أعرف صحة الأخبار المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم؟.

فى الإجابة على هذا السؤال يحسنا الإمام حميدان على تصديق الأئمة فيما ترويه عن النبي (٣٥) لان سندهم ينتهي بهم الى أمير المؤمنين عن سيد المرسلين عن الروح الأمين وإخوانه الملائكة المقربين عن الله رب العالمين (٣٦) وبالتالي فهم يستطيعون تبين الأخبار المزخرفة (٣٧).

ولكن السؤال يطرح نفسه من جديد كيف يتسنى لائمة الزيدية معرفة صحة الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ مع العلم بأن رواة الحديث منهم المدلس ومنهم المنافق الكذاب ومنهم المتوهم.

المعلوم ان معرفة ذلك لا يتم إلا عن طريق معرفة علوم الحديث كعلم الجرح والتعديل (٣٨) ومعرفة المعلول (٣٩) والمردود (٤٠) والمقبول (٤١) من الأحاديث وبضاعة أئمة

---

(٣٤) المرجع السابق لوحة ٤١ يمين.
(٣٥) المرجع السابق لوحة ٤٣ شمال.
(٣٦) الإمام حميدان: جواب المسائل ، لوحة ١٣٤ يمين.
(٣٧) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥٠ شمال.
(٣٨) إن الحكم على الحديث صحة وضعفا مبنى على أمور منها عدالة الرواة وضبطهم وهذا ما يسمى بالتعديل أو الطعن فى عدالتهم وضبطهم وهذا ما يسمى بالجرح (د. محمود الطحان : تيسير مصطلح الحديث ص١١٣).
(٣٩) الحديث المعلول: أو المعلل اصطلاحا هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح فى صحته مع أن الظاهر السلامة منها (المرجع السابق ص ٧٤).
(٤٠) الحديث المردود : هو الحديث الذى لم يترجح صدق المخبر به، وترجع اسباب رد الحديث الى سببين رئيسين هما أ- سقط فى الاسناد ب- طعن فى الراوى (المرجع السابق ص٤٧)

الزيدية فى ذلك مزجاة، وقد أدرك ابن الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ) هذه الحقيقة حين قـال : "ان إعراض الزيدية عن المحدثين أمر خطير، انه يعنى إعراض عن سنة الرسول، انه من الخطأ القول بالرجوع الى أئمة الزيدية فى علوم الحديث ومعلولة ومردوده ومقبوله ما يكفى أهـل الاجتهاد من أهل الإسلام وإنما الذين صنفوا فى ذلك كله هم علماء الحديث، وليس لائمـة الزيدية فى ذلك تصنيف البتة ، والذي تعرض لذلك منهم انما تعرض لجمعه فقـط، أمـا الإسناد وعلق الجرح والتعديل وعلم العلل فليس للزبدية فى هذا الفن تأليف البتة ، وهـى علوم جليلة لابد أن يعرفها أهل الاجتهاد، والقول بالرجوع الى الزيدية فى الحديث كالقول بالرجوع الى علم الحديث فى معرفة الطب او الى أئمة الزيدية فى علم الأدب [٤٢].

ومن هنا يتضح سر هذا الكم الهائل من الروايات الضعيفة والموضوعة والتي تمـلا بطون كتب أئمة الزيدية، والتي هى فى حقيقتها ضربة للمذهب الزيدي فى مقتل وخاصة فى جانبه المتعلق بالإمامة، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض علمـاء الزيديـة -كـابن الوزيـر والشوكاني- فساروا بالمذهب فى طريق أهل السنة والجماعة وعلى الأخص طريـق أهـل الحديث.

وعلى هذا فنحن لا نوافق الإمام حميدان على الرجوع الى أئمة الزيدية فى معرفـة صحة الأحاديث وضعفها بل لابد ان نرجع فى ذلك الى علماء الحديث لأنهم أهله وقد حثنا الإمام حميدان على طلب العلم من أهله ومعدنه [٤٣].

٢-التأويل [٤٤] كمنهج لتناول النصوص الخفية :

يصرح الإمام حميدان بان القرآن منه الخفي الغامض، وان هذا الغامض لا يعلمـه إلا ورثة الكتاب من أئمة الزيدية الذين يجب الرجوع إليهم فى كل مشكل من غامض علومـه

---

(٤١) يقسم الحديث المقبول بالنسبة الى تفاوت مراتبه الى قسمين رئيسيين هما صحيح وحسن (المرجـع السابق ص ٢٧).

(٤٢) ابن الوزير: الروض الباسم فى الزب عن سنة أبي القاسم، نشر دار الطباعة المنيرية بمصر، جـ١ ص ٨٩.

(٤٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٩ شمال.

(٤٤) التأويل : تفسير ما يئول إليه الشيء، (الرازي: مختصر الصحاح، ص ٣٣).

او مختلف فى تأويله [٤٥] لأنهم أمناء الله على سرائر الخفيات من منزل وحي كتابه وما فيه من خفي عجائبه [٤٦] وكما لا يجوز معارضة النبي فى التنزيل لا يجوز معارضة الإمام فى التأويل الذي خصه الله سبحانه بإرثه وجعله أهلا له [٤٧].

بهذا يؤكد الإمام حميدان ان هذا المنهج لا يجوز استخدامه لغير الأئمة لأنهم هم وحدهم دون غيرهم الذين خصهم الله بإرث هذا المنهج، كما يوضح ان هذا المنهج انما ينحصر فى الأمور المشكلة أو المختلف فيها وبهذا يخالف الإمام حميدان الإمامية التى زعمت ان القرآن الصحيح مكنون مع الأئمة الغائبين، كما يفارق الباطنية التى زعمت ان للقرآن تأويلا باطنا مخالفا لجميع ظواهره[٤٨] فهؤلاء وهؤلاء يجعلون القرآن أسيراً لعقول أئمتهم، وأين أئمتهم الآن ؟ أين أئمة الإمامية الذين طال غيابهم، والذين ربما أعجبتهم الغربة ولن يعودوا الى عالمنا هذا مرة ثانية ؟! وأين أئمة الباطنية الذين لم يتجاوز فكرهم حدود الحصون والقلاع التى كانوا يعيشون فيها. ان آفة هذا الفكر انه قدس الأفراد على حساب النص المنزل فراح يفسر النص ويأوله ليوافق اعتقاده فى هؤلاء الأفراد . فحاشا لله ان يجعل القرآن أسير هؤلاء الأفراد، حاشا لله ان يجعل بين الناس وبين فهم القرآن الميسر للذكر وسائط، حاشا لله ان يجعل فهم القرآن الذي هو سبيل النجاة للبشر فى يد حفنة من البشر يجاملهم على حساب البشرية جمعاء : حاشا لله ان يفعل ذلك وإهانة لعقولنا ان تقبل ذلك ولكنه فكر الحصون والقلاع !

ومع اعتقادنا بان الإمام حميدان – وأسلافه من أئمة الزيدية – قد نجى من هذا المستنقع الفكري الفاسد، الا أننا نسأل الإمام حميدان عن هذا العلم الخفي ، أهو من المعلوم ضرورة؟ أم بالاكتساب؟ فان قال مكتسب قلنا لا حاجة إذن الى الأئمة وان قال ضروري قلنا: ان هذا الضروري إما ان يكون مما يستوي فيه كل الناس (الأئمة وغيرهم) وهنا أيضا لا حاجة الى الأئمة وإما أن يكون مما عند الأئمة من هذا العلم الضروري ما لا يوجد عند

---

(٤٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٥ شمال.

(٤٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٠ يمين.

(٤٧) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٣ شمال.

(٤٨) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٥.

غيرهم قلنا لا سبيل الى تعليمه للناس لان كل مكتسب من العلوم لابد ان يسبقه علم ضروري والا كان محالا.

فان قيل وبماذا يتفاضل الناس فى العلم؟ قلنا يتفاضلون - بعد سلامة حواسهم - بالاجتهاد والاكتساب وذلك قول الله سبحانه "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" [النحل/٧٨].

هذا وسوف يعول الإمام حميدان كثيرا على هذا المنهج فى إثبات مذهب الزيدية وبيان فساد المذاهب الأخرى.

٣- القياس (الاجتهاد) :

القياس فى اصطلاح الأصوليين هو إلحاق مالا نص فيه بما فيه نص فى الحكم الشرعي المنصوص عليه لاشتراكهما فى علة الحكم ويؤخذ من هذا التعريف أن أركان القياس أربع :

المقيس عليه : وهو الأمر الذي ورد النص ببيان حكمه ويسمى الأصل.

المقيس : وهو الفرع الذي لم يرد نص بحكمه ويراد معرفة حكمه ويسمى الفرع.

الحكم : وهو الحكم الشرعي الذي ورد به النص فى الأصل ويراد الحكم به على الفرع.

العلة : وهى الوصف الذي شرع الحكم فى الأصل من اجله وتحقق فى الفرع [٤٩].

ويرى الإمام حميدان ان المسائل التى تنتمي الى النص البين بخلاف مسائل القياس وان كان كلها معلومة بالنص وذلك لان فريضة من فرائض النوع الأول نحو الصلاة والزكاة لا يصح قياسها ولا القياس عليها ولذلك لم يجز السؤال عن عللها إذ لو كان لها علل وجبت لأجلها لما عقل كونها تعبدا لفاعل حكيم مختار يجب التسليم لآمره، ومسائل هذا النوع يصح السؤال عن عللها لكونها مسائل قياس كما أراد الله سبحانه [٥٠]. وكذلك مسائل النص البين لا يجوز ورود الخطأ والالتباس فيها بينما جاز ورود الغلط والالتبـاس فى كثير من مسائل القياس لأجل جهل كثير من القائسين صفة ما يصح قياسه والقياس عليه

---

(٤٩) عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه، ص ٣٥.

(٥٠) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤١ يمين.

وصفة من يجوز له القياس [٥١] لذلك يحرص الإمام حميدان على بيان هذه الأمور الثلاثة والتى بسببها يقع أكثر القائسون فى الخطأ.

فأما الأمر الأول وهو ما يصح قياسه فهو " النازلة الجديدة " اذ من شرط صحة الاجتهادات الا تكون الا فى حادثة لا نص عليها [٥٢] والنازلة قد تتلون بين عصر وآخر وقد يتحكم فيها ظروف المجتمع أو العصر وهذا يقتضي اختلاف القياس من عصر لآخر وفى ذلك يقول "ولكل إمام فى عصره نوازل تنزل به وعليه يحكم فيها بما يوفقه الله سبحانه له فيستنبطها من كتاب الله وسنة نبيه أو جهة العقل التى يستدل بها على غامض الكتاب ويستخرج بها الحق والصواب ولو نزلت هذه المسألة بالأول لا يستخرجها كما يستخرجها الآخر ... فلعله ان يجرى فى عصر الإمام سبب من أسباب الرعية يحكم فيها بالصواب الذى يشهد له به الكتاب ثم تنزل تلك النازلة فى عصر إمام آخر من الأئمة لا يمكنه من إنفاذ الحكم فيها ما أمكن الأول فيكون بذلك عند الله معذورا" [٥٣] وهذا الاختلاف فى القياس بين عصر وآخر يقتضي اختلافا فى الحكم الذي تناله النازلة الواحدة بين عصر وآخر بل وبين مجتمعين فى عصر واحد وهذا امر ضروري لاشيء فيه ولذلك جاء مذهب الأئمة على ان الاختلاف بين الأئمة فى فروع الشريعة فليس ذلك مما ينقص من علمهم وفضلهم لان الاجتهاد فى الدين واجب والاحتياط لازم والرجوع الى الكتاب والسنة مما يعم به البلوى ولكل فى عصره نظر واستدلال وبحث وكشف وقد ينكشف للمتأخر ما لم ينكشف للمتقدم لأن المتقدم قصر عما بان للمتأخر [٥٤] وبهذا -وعلى رأى الإمام حميدان- يظل باب الاجتهاد مفتوحا والى الأبد(*).

وأما الأمر الثاني وهو "ما يقاس عليه" فهو ما ورد النص بتعين جنسه وذكر صفته وذلك كمثل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الفضة بالفضة إلا مثلا بمثل ويدا بيد وكذلك

---

(٥١) المرجع السابق.

(٥٢) المرجع السابق، لوحة ٤٧ شمال.

(٥٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٨ شمال.

(٥٤) المرجع السابق.

(*) يدور فى عصرنا جدل كبير حول هذه المشكلة فهناك من يرى -خطأ- ان باب الاجتهاد قد اغلق وهناك فريق آخر - على حق - يرى ان باب الاجتهاد مازال مفتوحا.

البر بالبر ونحو ذلك مما علم قصده صلى الله عليه وسلم انه انما اصله ليقاس عليه كل مـــا شاركه في اسم الجنس وصفة الوزن او الكيل فى تحريم بيع بعضه ببعض متفاضلا او مؤجـلا [٥٥].

والقياس لا يصح كونه قياسا إلا اذا كان الذي يقاس مشاركا للذي يقاس عليــه فى اسم جنس معلوم وصفه خاصة معلومة [٥٦] فإذا ما توافر ذلك فى القياس كـــان القيـــاس صحيحا وإلا كان فاسدا ومن أمثلة هذا القياس الفاسد : "من أوجب على من له عشـرة أثواب وفيها واحد متنجس ان يصلى فى جميعها اذا التبس بها قياسا على من له عشرة عبيد منهم واحد معتق والتبس بهم، وانما كان هذا القياس غير صحيح لان من صلى فى ثوبين من تلك الثياب التى ليس فيها إلا ثوب واحد يحصل له العلم ضرورة انه قد صلى فى طـــاهر وليس كذلك فى العبد الملتبس لأنه لا يحصل له العلم به حتى يعتق كلهم [٥٧] وكذلك مـــا قيل من تجويز معالجة الخمر خلا قياسا عليها إذا استحالت خلا بنفسها، وانما كـــان هـــذا القياس غير صحيح لان المعالجة فعل لفاعل مختار فلا يجوز قياسه على الاستحالة التي ليست كذلك ولان النبي صلى الله عليه وسلم لما حرمت الخمر استؤذن فى تحليل الخمر كـــانت لأيتام فلم يأذن وأمر بإهراقها وهو لا يبلغ إلا ما يوحى إليه فلو كان ذلك جائزا لما أمـــر بإضاعة مـــال الأيتـــام وتحريمـــه لذلـــك نـــص لا يجـــوز مخالفتـــه بالاجتـــهاد"**[٥٨].

---

(٥٥) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٠-٤١.

(٥٦) المرجع السابق، لوحة ٤١ يمين.

(٥٧) المرجع السابق، لوحة ٤٥ شمال.

** بهذا يلتقي الإمام حميدان مع أهل السنة والسلف كابن تيميه وابن القيم الجوزية اللذان كانا يريـــا ان القياس الصحيح هو الذي لم يأت بخلاف نص شرعي (ابن تيميه - ابن القيـــم : القيـــاس فى الشـــرع الإسلامي : تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - دار الآفاق الجديدة - بيروت ط خامسة سنة ١٩٨٢ ص ١٠-١١، ٨١).

(٥٨) الإمام حميدان : تنبيه أولى الألباب ، لوحة ٤٥-٤٦.

وكما لا يجوز مخالفة القياس للنص فكذلك مخالفته للإجماع [٥٩] لان الإجماع كما أسلفنا يجرى مجرى النص المنزل البين الدلالة. وكذلك أجمعت العترة على عدم تصويب اجتهاد من خالف إجماعهم [٦٠].

وأما الأمر الثالث : "وهو شروط المجتهد أو القائم بالقياس" فمن أظهرها ان يكون عالما بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أصول الشريعة وفروعها التى لا يصح تعارضها بالاجتهاد لان من شرط صحة الاجتهادات إلا تكون إلا فى حادثة لا نص عليها ولا يعلم كونها حادثة إلا من أحاط بعلم خطاب الله سبحانه وخطاب رسوله، ويعلم كيفية الاستدلال به، وما هو منه معلوم لا يحتاج الى تأويل وما يحتاج فى تأويله الى العقل أو الى اللغة العربية او الى الاجماع، ولاحيط بعلم ذلك إلا من عرف الفرق بين المحكم والمتشابه والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ والخاص والعام، وعرف ما هو المجمع عليه من الأخبار وما هو موافق لمحكم الكتاب وما هو منها الموافق للمتشابه، وعرف ما يصح قياسه والقياس عليه [٦١].

وهنا تبرز من جديد نزعة الإمام حميدان الشيعية الزيدية التي يحاول ان يصبغ بها القياس فيزعم ان شروط الاجتهاد لا تتوفر إلا فى أئمة العترة الزيدية حيث يقول: "إجماع جملة فرق الأمة على .. تصويب كل مجتهد منهم-أي العترة- ولم تجمع العترة مع العامة على تصويب اجتهاد من خالف إجماعهم فصح بهذه الأدلة أن أئمة العترة هم أعلم الأمة بنصوص الكتاب والسنة وبكيفية الاستدلال والقياس لأجل عدم وجود صفة من يجوز له الاجتهاد فى كل من خالفهم فلذلك لزم إلا يعتمد على اجتهاد أحد من المخالفين" [٦٢].

وعارضت المعتزلة الزيدية فى ذلك بادعائهم أن كل عالم منهم متعبد بنظره واجتهاده [٦٣] احتجاجهم على ذلك بروايتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال "العلماء ورثة

---

(٥٩) المرجع السابق، لوحة ٤٦ يمين.
(٦٠) المرجع السابق، لوحة ٤٨ يمين.
(٦١) المرجع السابق، لوحة ٤٧ شمال.
(٦٢) المرجع السابق، لوحة ٤٨ يمين.
(٦٣) ليس هذا فحسب بل عندهم عبد مكلف بذلك وهذا مما أجمعوا عليه (القاضي عبد الجبار:المنية والأمل، ص ١٠٥)

الأنبياء" [٦٤]. وبحكاياتهم عن أمير المؤمنين انه كان يرى جواز بيع أمهات الأولاد فى أحد قولين وان عبده السلمانى قال له رأيك يا أمير المؤمنين فى الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك. وبروايتهم ان النبى صلى الله عليه وسلم إذن لمعاذ حين بعثة الى اليمن ان يجتهد رأيه اذا عدم الحكم من الكتاب والسنة وانه قال صلى الله عليه وسلم "كل مجتهد مصيب" [٦٥].

ويستخدم الإمام حميدان حججه العقلية ومنهجه فى التأويل لبطل احتجاجات المعتزلة هذه على النحو الآتى :

فأما احتجاجهم بقوله صلى الله عليه وسلم "العلماء ورثة الأنبياء" يرى الإمام حميدان انهم إنما أصلوا ذلك ليتوصلوا به إلى أن يجعلوا أنفسهم من ورثته صلى الله عليه وسلم خلافا للعترة [٦٦].

ثم يبطل ذلك فيقول إن قوله: " العلماء ورثة الأنبياء" إما أن يريد به علماء كل فرقة مع اختلافهم او يريد به علماء الفرقة الناجية، ولا يجوز ان يريد به علماء كل فرقة لوجهين أحدهما ان تجويز نجاة علماء كل فرقة رد ما أخبر الله تعالى به من ضلال كثير من الأحبار والرهبان .. وما فى ذلك من تجويز ان يكون الله سبحانه أمر المختلفين بسؤال المختلفين فكل ذلك باطل وفى بطلانه دليل على النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك الا علماء الفرقة الناجية، وإذا ثبت بأدلة الكتاب والسنة ان العترة ومن شايعهم هم الفرقة الناجية لزم من أنكر ذلك بعد معرفته له بقلبه وإن أقره بلسانه ان يكون كاتما لما أنزل الله

---

(٦٤) العلماء ورثة الأنبياء :رواه أحمد والأربعة (أبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه) وآخرون عن ابى الدرداء ومرفوعا بزيادة: الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم الحديث وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكتانى وضعفه غيرهم لاضطراب سنده لكن له شواهد ولذا قال الحافظ لله طرق يعرف بها أن للحديث أصلا ورواه الديلمى عن البراء بن عازب بلفظ الترجمة وبزيادة يحبهم أهل السماء، وتستغفر لهم الحيتان فى البحر اذا ماتوا، ورواه أيضا بلا سند عن انس بلفظها. وبزيادة وانما العالم من عمل بعلمه، وقال النجم وروى أبو يعلى عن على : العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء وورثتى وورثة الأنبياء (العجلونى : كشف الخفاء جـ٢، ص٨٣).

(٦٥) الأصل "لكل مجتهد نصيب": وهو من كلام العلماء. (أبو عبد الله محمد بن درويش الحوت البيروتى: أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب ، دار الفكر للطباعة ، القاهرة سنة ١٩٩١، ص ٣٥٥).

(٦٦) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧١ شمال.

من البيان فيهم وقد قال تعالى "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" [البقرة/١٥٩] (٦٧)

ونحن لا نوافق الإمام حميدان ولا نقره على قياسه لرجال المعتزلة -وان كنا نختلف مع المعتزلة في الكثير- على الرهبان والأحبار فقياسه هذا فاسد لان رجال المعتزلة المسلمين الموحدين ليسوا من جنس الأحبار والرهبان المشركين الكافرين، ثم ان صفة رجال المعتزلة المجتهدين ليست هى صفة الأحبار والرهبان الذين يخفون كلام الله ويحرفونه عن مواضعه فكيف يسحب الإمام حميدان حكم أصل على فرع لا ينتمي الى هذا الأصل، ولذلك قلنا: إن القياس فاسد لأنه -كما يرى الإمام حميدان نفسه- لا يصح كون القياس قياس إلا إذا كان الذي يقاس مشاركا للذي يقاس عليه فى اسم جنس معلوم وصفة خاصة معلومة (٦٨).

أما قول الإمام حميدان بأنه لو أراد بذلك كل العلماء لكان فى ذلك من تجويز ان يكون الله سبحانه أمر المختلفين بسؤال المختلفين ففيه خلط ولبس يقتضي تحديد ما اختلف فيه. فان كان الذي اختلف فيه من أصول الدين أو من الأمور القطعية (٦٩) فالإجماع على أن المخطئ فيه يتراوح حكمه بين الإثم والكفر (٧٠) واما ان كان الذي يختلف فيه من الفقهيات الظنية التى ليس عليها دليل قاطع فهي فى محل الاجتهاد، ولا آثم على المجتهد فيها لا عند من يقول المصيب واحد، ولا عند من يقول "كل مجتهد مصيب" (٧١).

---

(٦٧) المرجع السابق، لوحة ٧١-٧٢.

(٦٨) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤١ يمين.

(٦٩) الأمور القطعية أنواع ثلاثة اما كلامية والمراد بها العقليات المحضة وهذه الحق فيها واحد ومن أخطأ فهو آثم وذلك مثل حدوث العالم واثبات واجب الوجود ووصفاته واما أصولية ككون الإجماع والقياس والخبر الواحد حجة والمخالف فيها آثم، وأما فقهيه مثل الصلوات الخمس والصوم والزكاة والحج ومثل المحرمات كالزنى وشرب الخمر وكل ما علم قطعا من دين الله فالحق فيها واحد وهو المعلوم والمخالف فيها آثم، فان كان الخلاف فيما علم بالضرورة من مقصود الشارع فهو كفر (الشيخ محمد الخضري:أصول الفقه ص ٣٧٤).

(٧٠) المرجع السابق.

(٧١) المرجع السابق.

ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا بشر المريسى الذي ذهب الى إلحاق الفروع بالأصول وقال : فيها حق واحد متعين والمخطئ آثم، وذهب الجاحظ (١٥٠-٢٥٥هـ) الى إلحاق الأصول بالفروع وقال: فيها حق واحد متعين لكن المخطأ معذور غير آثم كما فى الفروع وقال عبد الله بن الحسن العنبري : كل مجتهد فى الأصول أيضا مصيب[٧٢] وهذه أقوال شاذة ظاهرة البطلان ولا يلتفت الى الشاذ ومن ثم يتضح أن إجماع العلماء على الأصول ليست محل الاجتهاد ولأنها قطعية الدلالة ولا تحتمل الاختلاف وهذا ما ذهب إليه أيضا أئمة العترة فلا اختلاف هنا إذن تبقى الأمور الظنية أو الفروع أو النوازل الجديدة التي هي إطار عمل المجتهد والاختلاف فيها وارد بين كافة العلماء من أئمة الزيدية وغيرهم فما الذي يميز إذن أئمة الزيدية عن غيرهم من علماء العامة وعلماء المعتزلة ؟!

وأما زعمهم – أي المعتزلة – انه – أي على عليه السلام – كان يرى بالرأي بيع أمهات الأولاد فاصلوه ليتوصلوا به الى دعوى كونه عليه السلام مجمعا معهم على القول بالرأي والى تجويز بيع أمهات الأولاد.

وذلك –كما يرى الإمام حميدان– غير صحيح عن على عليه السلام لان تحريم بيع أمهات الأولاد ثابت بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأم ولد اعتقها ولدها [٧٣] وذلك نص لا يجوز ان ينسب الى أمير المؤمنين عليه السلام ولا أنه يجهله ولا أنه يخالفه [٧٤] قلنا وهذا الذي ذكره الإمام حميدان هو علمه بدليل تحريم بيع أمهات الأولاد وليس حجة أو دليلا على بطلان نسبة هذا الادعاء إلى على رضى الله عنه فقد ورد من غير طريق المعتزلة أن عليا وجماعة من الصحابة كانوا يرون بيع أمهات الأولاد [٧٥].

وأما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كل مجتهد مصيب" فان المعتزلة اصلوه ليتصلوا به الى تصويب مشايخهم فيما أداهم إليه الاجتهاد والرأي من البدع نحو اجتهاد أهل السقيفة فى أن يجعلوا الإمامة فى أبي بكر واجتهاد أبو بكر أن ينزع فدك من

(٧٢) المرجع السابق ص ٣٧٤-٣٧٥.

(٧٣) سنن ابن ماجة ، جـ٢، طبعة دار الحديث ، القاهرة د.ت ، رقم ٢٥١٦، ص ٨٤١.

(٧٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٢.

(٧٥) ابن قدامة : المغنى، مجلد ٩ ، طبعة دار البصائر، القاهرة د.ت ، ص ٥٣٥.

أهلها وان يجعل الإمامة فى عمر ... وهذا الخبر -كما يرى- الإمام حميدان لا يخلو إمـا ان يحمل على ظاهرة فيلزم من ذلك ان يكون ناسخا لأكثر نصوص الكتـاب والسـنة وإلا يخطئ أحد من جميع ما أداه اجتهاده الى تحريم ما أحل الله سبحانه وذلك باطل بالإجمـاع، وإما ان يكون متأولا فيبطل احتجاج المعتزلة به فيجب ان يتأول على مـا يوافـق الحـق والمحقين.

ثم يشرع فى تأويل الحديث فيرى ان الاجتهاد ينقسم : فمنه مـا يرجـع فيـه الى الاستنباط من غامض الكتاب والسنة لا إلى الظن وذلك هو الذى أمر الله سبحانه برده الى أولى الأمر وهم الأئمة السابقون وانما وجب رده إليهم لانه لا يجتهد فيه إلا بعـد عـدم الدليل الظاهر عليه فى الكتاب والسنة ولا يعدمه إلا من أحاط بعلم أحكامهما ولا يحيـط بعلمهما الا السابق بالخيرات من أهليهما ووريثهما، ولان من شرط من يصلح للاجتـهاد عند الجميع ان يكون عالما بخطاب الله سبحانه وخطاب رسوله وما تقدم ذكر بعضه مـن نصوص الكتاب والسنة الدالة على حصر الإمامة وقد خالفت فيها المعتزلة فلزم ان يكونوا جاهلين ببعض خطاب الله وخطاب رسوله وقد اجمعوا على أن من جهل شيئا من ذلـك لا يصح اجتهاده وتسميته بالفقيه حقيقة.

ومنه ما يرجع فيه الى الاقتداء بظواهر النصوص واعتبار الأحوال، وذلك نحو مـا يرد إلى الحكام من تقدير النفقات واروش الجنايات، ونحو ما يرد إلى حكم ذوى عـدل فى تقويم جزاء ما يستهلك من الصيد المحرم وكذلك ما يرد الى حكم الحكمين المبعوثين مـن أهل الزوجين كما أمر الله سبحانه. ومن الاجتهاد ما لا يقوم فيه أحد مقام أحد نحو تحـرى جهة الكعبة ووقت الصلاة اذا أُشكل وهذا وما أشبهه هو الذى يصح أن يقال فيه علـى الإطلاق ان كل مجتهد مصيب [1]. ولنا مع الإمام حميدان هنا وقفتان :

الأولى : قوله: ان كل مجتهد مصيب لو حمل على ظاهره يكون ناسـخا لأكـثر نصـوص الكتاب والسنة وألا يخطأ أحد من جميع ما أداه اجتهاده الى تحريم ما أحـل الله سبحانه . هذا خطأ من الإمام حميدان لان الاجتهاد -كما سبق- يعتبر فاسـدا

---

(١) المرجع السابق لوحة ٧٢-٧٣.

إذا تعارض مع النصوص المنزلة (قرآن وسنة) ثم أن الاجتهاد -كما أسلفنا- لا يكون إلا فى الفقهيات الظنية والنوازل الحادثة أو الفروع التى ليس عليها دليل قاطع ولا أثم على المجتهد فيها لا عند من يقول المصيب واحد ولا عند من يقول كل مجتهد مصيب .. وهذه هي حدود القياس ونطاق عمله ولا يخرج عنها أقسام الاجتهاد الثلاثة التي ذكرها الإمام حميدان.

الثانية : قصر الإمام حميدان للقياس أو الاجتهاد وعلى أئمة العترة الزيدية وحدهم دون غيرهم وذلك باطل للآتي :

١- إن قول النبي صلى الله عليه وسلم "العلماء ورثة الأنبياء" وقوله "كل مجتهد مصيب" حكم عام يشمل كل العلماء وكل المجتهدين من الأمة الإسلامية ولو خاصا لقال النبي صلى الله عليه وسلم " العلماء من آل بيتي أو من عترتى ورثة الأنبياء" "وكل مجتهد من آل بيتى أو عترتي مصيب" فلما امتنع المخصص امتنع التخصيص،

٢- إن العلوم اللازمة لاجتهاد المجتهد هى علوم حادثة يمكن تحصيلها واكتسابها لكل مجتهد فلما تخصص -من عند أنفسنا- الأئمة دون غيرهم.

جـ- مناهج البحث في العلوم غير الدينية :

لقد أعطت العلوم الدينية كما تبينا أسس البحث فى جزئيات العالم حيث إن استخراج الحكم ربط بالواقعة التي يتعلق بها الحكم، ومن ثم جاء استخدام الإمام حميدان للمنهج الاستقرائي فى العلوم الطبيعية أو العقلية امتدادا ضروريا لوقفته فى القياس بالمثلين والمختلفين.

وتتضح خصائص المنهج العلمي الاستقرائي عند الإمام حميدان على النحو الآتي :

١- رفض المنطق الأرسطى: يرفض الإمام حميدان المنطق الصوري الارسطى ويرى ان هذا المنطق عقيم لا يؤدى أبداً إلى الحق وكل ما ينتجه هذا المنطق مما قد يظن انه من الحقائق فليس إلا حقائق باطلة ودعاوى كاذبة وذلك لان المنطق يقوم على الحد وألفاظ الحد ليست بأكثر من ألفاظ الدعوى وصحة الحد مشروطة بصحة الدعوى، وذلك لان التحديد بالحدود المنطقية صناعة مستنبطة فمن عرف تلك الصنعة أمكنه ان يحقق دعواه

صحيحة كانت تلك الدعوى أو باطلة ولذلك وقع الاختلاف فى الحدود على حسب الاختلاف فى المحدود [١] حتى وان صحت نتائج المنطق فان طريقته طويلة ومملة وذلك ان كيفيالها ان يوصف الاسم الذى هو جنس متنوع بوصفين أحدهما عام له ولغيره من أجناسه المشاركة له فى ذلك الوصف العام، والثانى خاص له دون غيره ليكون فاصلا له من غيره بعد الاشتراك قالوا ومما يدل على صحة هذا الحد هو كونه من جنس وفصل ويجمع ويمنع ويطرد ويعكس ومثل ذلك تحديدهم للخمر بانه كل شراب مسكر فالوصف الجامع للجنس قولهم شراب لان جميع أنواع المشروبات مشتركة فيه، والوصف الخاص الذى يفصله عن سائر المشروبات قولهم مسكر، وعكس هذه الحقيقة هو ان يقال وكل شراب مسكر فهو خمرة فتأمل طول هذا الشرح الذى ادعت الفلاسفة ومن حذا حذوهم من المعتزلة انه يدل على صحة الحد وان صحة الحد تدل على صحة المحدود وهذا تدليس ظاهر لمن تأمله لأنه ما من بدعة مستحيلة الا يمكن ان يصح لها حد جامع لهذه الشروط، مثال ذلك الذي يعبده الماجوس فانهم يمكنهم ان يقولوا هو كل اله يفعل الخير فقولهم اله وصف جامع له وللظلمة وقولهم يفعل الخير وصف خاص يفصله عنها وعكسه أن يقال: وكل إله يفعل الخير فهو نور تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [٢].

ورفض الإمام حميدان للمنطق الارسطى إنما هو أمر طبيعي اقتضته نزعته-كفقيه مسلم- إلى التعامل مع الواقع على ما هو عليه دون ان يفرض عليه -مثلما فعل المفكر اليوناني- أنماطا ذهنية معينة : لذلك كان يرى ان الحقيقة هي الحقيقة التي يقدمها الواقع وليست الحقيقة بحقيقة علم أهل المنطق [٣].

٢- الالتزام بالموضوعية : والالتزام بالموضوعية يقتضي الآتي :

(أ) أن يتحرر الباحث من الأفكار المسبقة فلا يعتمد فى طلب الحق على ما سبق الى قلبه ... لما فى ذلك من خطر التعصب على الباطل [٤].

---

(١) الإمام حميدان : جواب المسائل، لوحة ١٣٨ شمال.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٤ يمين.

(٣) الإمام حميدان : جواب المسائل، لوحة ١٣٨ شمال.

(٤) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ١٦ يمين.

(ب) أن لا يرخص الباحث لنفسه فى تجويز ان يؤدى النظر والاستدلال الى خلاف شيء مما يعلم بالضرورة او بالإجماع وذلك لأن المعلوم بالضرورة أو المعلوم بالإجماع لا يجـــوز الغلط فيه ولا الالتباس كما يجوز فى النظر والاستدلال ولذلـــك يجـــب ان يستشـــهد بالضروري على صحة الاستدلال ولا يحكم الاستدلال على الضروري [١].

(جـ) أن يقف الباحث عند منتهى قدره وحد عقله [٢].

(د) أن يتقبل الباحث الدليل متى ظهر ولا يرفضه لأنه لا يعرف الســـبيل مـــن يرفـــض الدليل[٣].

(هـ) أن يؤكد نتائجه وادعاءاته بالأدلة والحجج لأن كل دعوة بلا حجة فهى باطلة [٤].

(و) التخلص من الحيل لأنه لا ينجو من جهله إلا من سلمت من الحيل نفسه [٥].

(ز) التخلص من التقليد والتدليس لأنهما يحولان بين الإنسان وبين رؤية الحق وفى ذلـــك يقول " وأما تنوع الأجسام الى كثيف ولطيف وحيوان وجماد وتنوع الأعراض الى مـــا يعلم بدرك الحواس الخمس وما يعلم بالدليل فذلك ظاهر لكل من لم يكابر الضروريات بكاذب التوهم والتجويز الذي هو طريق كل مدلس وملجأ كل مقلد [٦].

٣- العلم بموضوع البحث : فيجب على الباحث ان يعلم انه لابد لكل مسألة خلاف مـــن أصل اما صحيح واما باطل فان الخوض فى فروع المسائل قبل معرفة صحة أصلها ممـــا يطول فيه الكلام ولا ينتهي فيه الى حد معلوم [٧].

---

(١) المرجع السابق، لوحة ١٦.

(٢) المرجع السابق، لوحة ١٦ شمال.

(٣) الإمام حميدان : جواب المسائل، لوحة ١٤٣ يمين.

(٤) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ١٨ شمال.

(٥) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٠ يمين.

(٦) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين.

(٧) المرجع السابق، لوحة ١٦ شمال.

٤- التخصص : فيجب على الباحث ان يتخصص فى فرع من فروع العلم لأنه يعجز عن الإحاطة بتفصيل جميع العلوم المختلفة التى يحور فى دقتها وكثرتها الفكر وينفد دون إدراك جميعها العمر [١].

٥- تحديد ألفاظ اللغة المستخدمة فى البحث بدقة :يرى الإمام حميدان ان عدم معرفة ألفاظ اللغة يؤدى الى الوقوع فى الكثير من المغالط، وذلك لأنها على ضربين صحيحة وباطلة فالصحيحة هى كل اسم علمه الله عباده او ألهمهم على التسمية به كما قال سبحانه : "وعلم آدم الأسماء كلها " [البقرة/من الآية ٣١] يعنى أسماء جميع ما خلق الله سبحانه بين السماء والأرض والباطلة هى جميع أسماء البدع.

والصحيحة أيضاً على ضربين: أحدهما يفيد الإثبات والثاني يفيد النفي، والأسماء الحقيقة منها حقيقة ومنها مجاز، فالحقيقة هو كل اسم موجود والمجاز هو كل اسم مستعار... والأسماء الباطلة هى كل اسم عبر عنه عن المحال [٢].

وبمقدار تطابق اللفظ مع الواقع او ابتعاده عنه تتنوع الحقائق على النحو الآتي :

١- ما يصح فى اللفظ دون المعنى مثل تحقيق المعتزلة للمعدوم والمعلوم الذي ليس موجوداً وذلك لان المعدوم عندهم ثابت فيما لم يزل لأجل كونه معلوما فاللفظ صحيح والمعنى باطل [٣].

٢- ما يصح فى المعنى دون اللفظ تحقيقهم أيضاً -أى المعتزلة- للجسم بأنه الجواهر المؤتلفة طولا وعرضا وعمقا. أما صحة المعنى فلأن الجسم هو كل ماله طول وعرض وعمق، واما كون اللفظ غير صحيح فلان ذكرهم للجواهر التي يزعمون أنها ثابتة فيما لم يزل وان الجسم إذا فنى عاد جواهر، أو ان الجوهر جزء لا يتجزأ وانه ليس له إلا حد واحد يلاقى به ما جاوره، وان الجواهر إذا ائتلفت طولا فهي خط وإذا ائتلفت طولا وعرضا فهي سطح وكل هذه الأقوال باطلة.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، لوحة ٢١.

(٣) المرجع السابق، لوحة ٢٤ شمال.

٣- ومنها ما لا يصح فى اللفظ ولا فى المعنى وهو تحقيقهم -أى المعتزلة- أيضاً للذات بأنه ما يصح العلم به على انفراده وذلك لأنه يستحيل عندهم خلو الذات وانفرادها عن صفاتها الأخص التى زعموا أنها لاشيء ولا لاشيء، والاستحالة نقيض الصحة لأنه لا يجتمع ولا يجوز القول بأنه يصح انفراد الذات عما يستحيل انفرادها عنه [١] .

٦- استقصاء الحقائق من التجربة :لكي يتضح استقصاء الإمام حميدان للحقائق من التجربة لابد ان نقف معه عند ماهية الحقيقة أو حقيقة الحقيقة، وكيفية السؤال عن الحقيقة، وكيفية التحقيق. أما ماهية الحقيقة أو حقيقة الحقيقة: فان أريد بها اللفظ فهو كل لفظ جلى يكشف عن معنى خفي [٢] أو هي كل اسم موجود[٣] وان أريد بها المعنى فمعنى لفظ الحقيقة هو ذات المحقق وذات كل شيء هو هو [٤]. واما السؤال عن الحقيقة فهو يقع بألفاظ مختلفة ومعانيها متقاربة وهى أن يقال : ما هو؟ او ما حقيقته ؟ أو ما حده ؟ أو ما معناه ؟ أو ما تفسيره ؟[٥]. وأما كيفية التحقيق فالحقائق على ضربين : ما معرفته عامة لا اختلاف فيها، وكيفيتها هى ان يذكر السائل بعض أوصاف المسئول عنه الذي يحصل له بذكرها معرفة ما سأل عنه نحو ان يقول مثلا ما هو الجسم؟ فيجاب بأنه ما صح ان يرى أو ما يشغل الجهة عن غيره أو ما تحويه الجهات الست أو ما يحله العوض أو ماله طول وعرض وعمق [٦]. وأما ما معرفته اصطلاحيه مبدعة خاصة مختلف فى صحتها لأجل كونها مما يقع فيها وبها الغلط والاستغلاظ [٧] وهى حقيقة علم أهل المنطق وقد سبق الكلام عنها وعن كيفية تحقيقها.

---

(١) المرجع السابق، لوحة ٢٤-٢٥.
(٢) المرجع السابق ،لوحة ٢٣ شمال.
(٣) المرجع السابق، لوحة ٢١ شمال.
(٤) المرجع السابق، لوحة ٢٣ شمال.
(٥) المرجع السابق، لوحة ٢٤ يمين.
(٦) المرجع السابق، لوحة ٢٣-٢٤
(٧) المرجع السابق، لوحة ٢٤ يمين.

بهذا يفارق الإمام حميدان أهل المنطق ويرى ان الحقيقة التى تنتمي الى العلوم الطبيعية هــي الحقيقة الواقعية التى تستخلص من الواقع الخارجي لا التي تفرض عليه من خــلال أنمــاط ذهنية معينة. لهذا يؤكد الإمام حميدان على الملاحظة باعتبارها المنهج الملائم للتعــامل مــع الواقع وفى ذلك يقول: " النظر ... لقاح العقل وبطلان الحيرة والجهل" [١] وأمــا تنــوع الأجسام الى كثيف ولطيف وحيوان وجماد وتنوع الأعراض الى ما يعلم بــدرك الحــواس الخمس وما يعلم بالدليل فذلك ظاهر لكل من لم يكابر الضروريات بكاذب التوهم [٢] ولا يأمن الإمام حميدان للنظرة الساذجة للحواس التي ربما أصابتها الآفات [٣]. وربمــا كلــت وتحيرت وأخطأت وأدركت ظاهراً دون باطن وقصرت[٤] بل يؤكد على ضرورة أن تكـون ملاحظات العالم دقيقة مقصودة يصاحبها العقل السليم وفى ذلك يقول: " فأما من نظـر فى ذلك بعقل سليم فانه يعلم ان مجرد القسم لا يدل على صحة كل مقسوم" [٥]. وبهذا يؤكد الإمام حميدان ان الملاحظة العلمية هى تلك التى يتوافر فيها قدر كبير من الدقة لا يتوافر فى غيرها من الملاحظات الساذجة أو العابرة مؤكدا بذلك ان ثمة فارق بين درك العلــم ودرك الحواس [٦].

٧- الوصف : يتفق الوضعيون بكل طوائفهم التقليدية والحديثة على ان الوصف هو مهمة المنهج العلمي[٧]ويرى الإمام حميدان ان الوصف هو طريقتنا للتعرف على الواقع فإذا سأل سائل عن شيء مادي فعليه ان يذكر بعض أوصاف المسئول عنه الذي يحصل له بذكرها معرفة ما سأل عنه نحو ان يقول مثلا ما هو الجسم؟ فيجاب بأنه ما صــح ان يرى او ما يشغل الجهة عن غيره[٨]وبمعرفة أوصاف وقائع العالم المادي يمكننا تصنيــف

---

(١) الإمام حميدان : بيان الأشكال، لوحة ١٣٦-١٣٧.

(٢) الإمام حميدان: تنبه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين.

(٣) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٠ يمين.

(٤) المرجع السابق، لوحة ٨٩ يمين .

(٥) المرجع السابق، لوحة ٩٩ يمين.

(٦) المرجع السابق، لوحة ٨٨ شمال.

(٧) د. صلاح قنصوه : فلسفة العلم -دار الثقافة - القاهرة ١٩٨٥ ص ١٣٦.

(٨) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٣-٢٤.

ما توافق منها او ما اختلف وذلك لأنه وان وقع بين الأشياء مما يقع من الاختلاف فليس يوجد واقع الا بين ذوات الأوصاف، وكل واحد منها وان خالف غيره فى صفة فقد يوافقه فى صفة أخرى كان مما يعقل أو كان مما يلمس ويرى [١] وكل من يستطيع ان يصنف الوقائع وينظر فى علاقتها، ويصف سياقاها -كما يرى بيرسون - إنما هو رجل علم يطبق المنهج العلمي [٢].

٨- موقفه من مبدأ السببية العامة أو العلية :يرفض الإمام حميدان مفهوم العلية بمعناه القديم الضيق والذي يجعل وجود المعلول مقارنا لوجود علته ومتأخرا عنها بالرتبة لا بالزمان [٣]. وهذا المفهوم الضيق للعلية يهدف الى ربط ظواهر الكون أزواجا أزواجا بحيث يربط كل زوج برابطة السبب والمسبب أو العلة والمعلول وهذا من شأنه ان يجعل وقائع العالم وظواهره وكأنها تسير فى خطوط متوازية بينما الواقع أن ظواهر العالم ووقائعه على درجة كبير من التعقيد والتداخل و التشابك، لهذا يرفض الإمام حميدان هذا المفهوم الضيق للعلية ويقدم مفهوما جديداً للعلاقات العلية مستخلصا من الفكر الإسلامي فيرى ان العلاقات العلية على خمسة اضرب.

الضرب الأول : يستعمله من له معرفة بالقياسات العقلية من الموحدين مثاله ما يعلم ضرورة من كون كل صناعة فى الشاهد كالبناء والكتابة محتاجة الى صانع لأجل كونها محدثة فالعلة هى كون الصنعة محدثة ومعلولها هو الحاجة الى الصانع ولهذا وجب بطريقة القياس العقلي ان يكون العالم محتاجا الى صانع لكونه محدثا.

الضرب الثاني : يستعمله من له معرفة بالقياسات الفقهية مثاله تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لبيع الفضة بالفضة متفاضلا ونسأ [٤] لأجل كونها جنسا موزونا فالجنس والوزن هو العلة ومعلولها هو تحريم البيع متفاضلا ونسأ وكذلك البُر بالبُر ولهذين وجب

---

(١) الإمام حميدان : المنتزع الثاني، لوحة ١٢٧.

(٢) د. صلاح قنصوه : فلسفة العلم ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٣ يمين.

(٤) النسأ : التأخير (الرازى : مختار الصحاح، ص ٦٥٦).

بطريق القياس الشرعي إجراء الحكم بذلك فى كل ما شاركه المنصوص عليه مما عـــداه فى العلة والحكم.

الضرب الثالث : يستعمله من له معرفة بوجه الحكمة إذا سئل عن فعل من أفعـال الله سبحانه لم فعله؟ نحو أن يقال لم خلق الله العالم؟ فيقول لإظهار الحكمة، فان قيل لم اظـهر الحكمة ؟ قيل لان إظهارها فى العقل حسن وفعل الحسن فى العقل أولى من تركه وهـــذا غاية ما ينتهي إليه بالسؤال فى هذه المسألة، وإذا سأل عما لم يعرف وجه الحكمة لم يجب الا بان البارئ سبحانه حكيم والحكيم لا يجب عليه ان يعرف الناس بعلة كل فعل يفعلـــه ولا خلاف انه يجب التسليم للحكيم المخلوق قياسا يجب للبارئ سبحانه أولى.

الضرب الرابع : يستعمله كل أحد إذا سئل عن أمر لم فعله ولم لم يفعله فيقـــول : لآجل كذا صدقا كان أو كذبا.

الضرب الخامس : يستعمله كل مدلس إما عمداً وإما جهلاً نحو علل الفلاسفة التى أضافوا لها التأثير فى أصول العالم وفروعه وكذلك علل المشبهة التى اثبتوا التشبيه لأجلـــها وكذلك علل المعتزلة والأشعرية التي اثبتوا لها أحكاما خارجة عن حد العقل نحـــو إثبـــات المعتزلة لأحكام ليست بشيء ولا لاشيء واثبات الأشعرية لإرادة أزلية وكلام قديم ورؤيـــة غير معقولة [1].

هكذا يقدم الإمام حميدان دلالة جديدة للعلية ففكرة العلية لديه لم تعـــد مكافئـــة لفكرة الخلق أو الإيجاد بل امتدت لتشمل أنواعا أخرى من العلاقات التى يتعلق بعضـــــها بجزئيات العالم المادي وبعضها الآخر بمجال الفقه او المعاملات الإنسانية وبعضها بـــالدوافع النفسية لفعل فعل أو تركه.

وعلى هذا يتضح أن الإمام حميدان لم ينقد مبدأ السببية لحساب الأيمان فقط كمـــا فعل الإمام الغزالي، الذي يعتبر أول من نقد مبدأ السببية [2] لهذا الغرض حيث وجد أنهـــا

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين لوحة ٢٣.

(2) Ahmed Foad AHwny : Islamic philosophy Anglo. Egyptian Book Shop Cairo 1965.p. 131.

تتعارض مع القدرة المطلقة لله سبحانه. ولم ينقضها لحساب تصور معين للمنهج العلمي كما فعل هيوم [1] وإنما فعل ذلك لحساب التصورين معاً.

وإذا ما تعرفنا على مفهوم العلية فى عصرنا المعاصر أمكننا أن نقرر فى يقين ان الإمام حميدان قد سبق عصره بل وتفوق على عصرنا المعاصر بما قدمه من تنوع يتعلق بمفهوم العلية.

يقول د. صلاح قنصوه -فى بيان مفهوم العلية فى العصر المعاصر- "وقد شاع لدى كثير من الباحثين الاعتقاد بان العلية قد فقدت مكانتها وأهميتها فى العلم غير ان هذا الاعتقاد ليس صحيحا على إطلاقه، والصحيح فقط هو ان المعنى القديم للعلية قد أخلى مكانه لدلالة جديدة مختلفة. ففكرة العلية لا تعنى شيئاً واحداً لأنها تطورت، وتحررت من التصور التقليدي الذي مازال سائدا فى الإدراك الشائع وهو التصور الذي يجعلها مكافئة لفكرة الإيجاد أو الأحداث أو الخلق. ولكنها اليوم تعنى تصورا معينا للعلاقة بين الحوادث لا شأن لها قط بالتصور القديم" [2].

وبعد فلسنا فى حاجة الى مقارنة ما قدمه الإمام حميدان بآراء بيكون وهيوم وغيرهما من المفكرين المحدثين والمعاصرين اذ ما الفائدة فى المقارنات ؟ فضرر المقارنات -كما يقول د. عاطف العراقي- أكثر من فائدتها ان كان لها فائدة، لأنها تعنى مثلا حين نقارن بين الغزالي وهيوم ان نبوغ الغزالي مرتبط ومعلق بهيوم [3]. ولعمري إن مشكلة أمتنا لا تحل بإثبات سبقنا لغيرنا فى مجال المعرفة والعلم، ولا تحل بالتفاخر بالتراث والأجداد بل ولا تحل بطبع هذا التراث وتحقيقه [4] ما دمنا لا نقابل هذا الأحياء إلا بأعين عمى وأذان صم. إن مشكلة أمتنا لا تحل إلا عندما نصحح ضميرنا بل وننطلق الى الرغبة الحقيقية والعمل الجاد من أجل الاستفادة من هذا التراث، وعندئذ سنكتشف أنفسنا ونحقق ذاتنا بذاتنا، وعندئذ

---

(١) د. صلاح قنصوه : فلسفة العلم ص ١٥١.

(٢) مرجع سابق : ص١٥٠.

(٣) د. عاطف العراقي : ثورة العقل فى الفلسفة العربية، ص ١٧.

(٤) للدكتور زكي نجيب محمود : كلام رائع فى هذا الأمر (انظر تجديد الفكر العربي، ط سادسة - دار الشروق ١٩٨٠، الفصل التاسع، ص ٣٠٣-٣٤٠).

أيضا سنُسهم فى التراث الإنساني بإيجابية ومن منطلق الأصالة – شأن أسلافنا– لا التبعية لان التراث كما يقول د. أكرم ضياء العمرى " هو الهوية للامة من دونها تضمحل وتتفكك داخلياً، وقد تندمج ثقافيا فى أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية [(١)].

خامسا: مراحل كسب المعرفة :

لقد سبق القول ان الإمام حميدان يميز بين نوعين من العلم أحدهما الضروري والآخر مكتسب. والعلوم الضرورية منها ما جبل الله العقول وفطرها على معرفته ابتداء لا عن طريق نحو علم العاقل بأحوال نفسه وتمييزه بين كثير منا ينفعه أو يضره [(٢)] فهذا النوع يحدث فى غير وقت وبدون أي مجهود بذكر لان الله قد فطر العقول على معرفته ضرورة [(٣)]. ومن العلوم الضرورية أيضاً ما جعل الله طريق معرفته الخبرة او درك إحدى الحواس الخمس [(٤)] وعلى الرغم من هذا النوع من الضروريات يحتاج الى الزمن الا انه متى حصل فى الذهن صدق به الذهن اضطرارا من غير ان يشعر بمصدر استفادته هذا التصديق، بل يقدر كأنه كان عالما به على الدوام [(٥)]. كقول القائل زيد لا يخلو إما ان يكون فى الدار أو ليس فيها [(٦)] وان كل مذهبين نقيضين إذا صح أحدهما فان صحته تدل على بطلان نقيضه[(٧)]. وهذا العلم الضروري جعله الله للعلوم المكتسبة إماما يقتدي به واصلا يبنى عليه ويرجع فى كل ما أختلف فيه من العلوم الاستدلالية إليه [(٨)].

وأما العلوم المكتسبة اى تلك التى تصدر عن الحس والعقل فهي تكشف عند الإمام حميدان عن مجهود لا يقتصر –كما وضحنا فيما سبق– على استنباط نتائج متضمنة فى

---

(١) د. أكرم ضياء العمرى : التراث والمعاصرة : كتاب الأمة سلسة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى دولة قطر، ط ثانية، دار القلم للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ ص ٣٥.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢١ يمين.

(٣) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٢ يمين.

(٤) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢١ يمين.

(٥) د. عاطف العراقي : ثورة العقل فى الفلسفة العربية، ص ٤٩.

(٦) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٨ شمال.

(٧) المرجع السابق، لوحة ١٧ شمال.

(٨) المرجع السابق، لوحة ٢٥ شمال.

مقدمات على نحو ما كان عليه الفكر الارسطى فى مجموعه، ولكن تقوم على نــوع مــن المعاناة بين الذات العارفة وموضوعها الذي له وجود خارجي متعين من أجل التعرف علــى حقيقته، والذات العارفة تجاه هذا الموضوع اذا ما واجهته بمنهجها التجريبي أو الاســتقرائي فأنها تتبين القوانين التى تحكم الظاهرة موضوع البحث. وهذه المعاناة التى يعانيها البــاحث عند مواجهته للظاهرة موضوع البحث تتعدد مصادرها فمنها ما يعود الى الحواس التي هــي وسيلته الأساسية فى التعرف على الظاهرة فهذه الحواس ربما كلت وتحــيرت وأخطــأت وأدركت ظاهرا دون باطن وقصرت [(١)] ثم هناك معاناة يجدها الباحث فى نفسه التى ربمــا احتالت من أجل إثبات ما تميل إليه من الفروض المطروحة لتفسير الظاهرة موضوع البحث لذلك يرى الإمام حميدان انه لا ينجو من الجهل الا من سلمت من الحيل نفسه ونجت مــن نقص الآفات حواسه [(٢)].

وبالإضافة إلى ذلك فهناك المعاناة التى يجدها الباحث فى تحصيل العلوم الطبيعية ذلك ان تلك العلوم على درجة كبيرة من الخفاء الذي يستلزم بيانه، ومن التعقيد الذي يســتلزم توضيحه وتفسيره، وهذا الأمر يستلزم من الباحث نظرة واعية باحثة ومعرفة كبيرة وحيدة بالواقع الذي ينبغي ان يرتد إليه فى معرفة صحة معارفنا المتعلقة به بدلا مــن ان نفرضــها عليه وفى ذلك يقول الإمام حميدان: " فأما من نظر ... بعقل سليم فانه يعلــم ان مجــرد القسم لا يدل على صحة كل مقسوم" [(٣)].

وقد تبين الإمام حميدان قيمة "طول الخبرة" حيث صرح بأنه "قد ينكشف للمتــأخر ما لا ينكشف للمتقدم" [(٤)]. وهذه فكرة مهمة جداً لأنها تبين انه كلما كان زمن ممارســة البحث والتقصي أطول، كان الوصول إلى الحقيقة أيسر [(٥)]. وأما معيار أو مقياس الوقــوف

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٩ يمين.

(٢) المرجع السابق، لوحة ٩٠ يمين.

(٣) المرجع السابق، لوحة ٩٩ يمين.

(٤) المرجع السابق، لوحة ٦٨ شمال.

(٥) د. فوقيه حسين محمود : مدخل الى الفكر الإسلامى، طبعة بالأوفست عام ١٩٨٣ ص ٢٣٧.

على الحقيقة فهو بما يجتاح النفس اللاهثة وراءه من شعور بالاستكانة والارتياح وفى ذلك يرى الإمام حميدان أن النفس إذا أتبعت أدلة العقل التي يقدمها العلماء سكنت [١].

سادسا : الهدف من المعرفة :

أ- في عالم الشهادة :

إن المعرفة الجزئية المتعلقة بعالم الشهادة هدفين : الأول التعرف على جزئيات العالم كما هي فى الواقع الخارجي وذلك مثل معرفة الأجسام وتنوعها بين كثيف ولطيف وحيوان وجماد ومعرفة الأعراض وأنواعها [٢]. ومن خلال هذه المعرفة يتوصل الباحث الى القوانين التى تحكم الظاهرة وتحدد علاقتها بغيرها من الظواهر وقد تبين الإمام حميدان ان العلاقات التي تربط بين أشياء العالم وظواهره نوعان، إما علاقة توافق أو علاقة اختلاف وفى ذلك يقول: " إن ما وقع بين الأشياء مما يقع من الاختلاف فليس يوجد واقعا إلا بين ذوات الأوصاف وكل واحد منها وان خالف غيره فى صفة فقد يوافقه فى صفة أخرى كان مما يعقل أو كان مما يلمس ويرى [٣]. والهدف الثاني : هو معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال معرفة آثاره فى ظواهر الكون والنفس البشرية وفى ذلك يقول " ومن المعلومات ما طريق معرفته النظر العقلي والقياس الاستدلالي نحو الاستدلال بالصنع على أن له صانعاً" [٤] وكذلك "يعلم أيضاً من طريق الاستدلال العقلي ان ما فى الإنسان من أثر الصنع العجيب يدل على ان له صانعاً قادراً عالماً" [٥].

ب- في عالم الغيب :

يرى الإمام حميدان ان المعرفة المتعلقة بعالم الغيب تهدف إلى تثبيت الحقائق الإيمانية وذلك من خلال العقل بعد ان تكون قد قبلت بالقلب وفى ذلك يقول: " وأما العرفان بالعقول فهو المعرفة لله سبحانه بأدلة العقل التي بها ولأجلها وجب التصديق والمعرفة

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة٧٤ شمال.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين.

(٣) الإمام حميدان : المنتزع الثاني، لوحة ١٢٧ يمين.

(٤) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٢ شمال.

(٥) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٢ يمين.

للفروض التى أوجب الله سبحانه الإيمان بها وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" [١]. بهذا يؤكد الإمام حميدان ان المعرفة المتعقلة بعالم الغيب تهدف الى تأكيد الحقائق الإيمانية بالأدلة العقلية بعد أن تكون قد قبلت واستقرت فى القلب مما يزيـــد الاطمئنـــان والثقة فى نفوس المؤمنين بها.

سابعا : درجات اليقين :

أ- في الأوليات العقلية المحضة :

العلم الأولى أو الضروري علم يقيني لاشك فيه ومن ثم لا يجوز مخالفته، وكل مـــن خالفه فهو مكابر لعقله [٢] ولا يجوز تحريفه [٣] لان هذا العلم هو الأصل الذي يبنى عليـــه ويرجع فى كل ما أختلف فيه من العلوم الاستدلالية إليه [٤] ومن ثم فان أي محاولة لإنكـار هذا العلم الضروري أو تحريفـــه فأنها ستؤدى إلى تجويـــز إنكار كل معقول والـــى تجويـــز إثبات ما لانهايـــة له من الجـــهالات [٥]. ومن ثم فالمخالف فى العلوم الضرورية كلـــها لا يوصف بأنه مغالط ولا جاهل بها ولكن يقال مكابر ومتجاهل [٦].

ب- في المحسوسات :

لقد اختلف المفكرون إزاء الحس هل يقدم معرفة يقينية؟ أم ل ا؟ علـــى فريقـــين الفريق الأول: المعترفون بالحس وهم الأكثرون فهؤلاء يرون ان الحس مصدرا لمعرفة يقينيـة ولذلك يقولون " من فقد حسا فقد فقد علما" [٧].

الفريق الثاني : القادحون فى الحسيات وهـــذا ينســـب الى أفلاطـــون وارســـطو وبطليموس وجالينوس فهؤلاء يرون ان المعارف الحسية ليست يقينية، ولهم في ذلك حجـــج

---

(١) المرجع السابق، لوحة ٢٨ يمين.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٢ يمين.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٠ يمين.

(٤) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٥ يمين.

(٥) المرجع السابق، لوحة ٢٨ شمال.

(٦) المرجع السابق، لوحة ٢١ يمين.

(٧) الايجى : المواقف فى علم الكلام مكتبة المتنبي، القاهرة د.ت، ص ١٦.

كثيرة منها ان حكم الحس فى الجزئيات يغلط كثيرا بحيث انا نرى الصغير كبيرا كالنار البعيدة فى الظلمة .. والخاتم المقرب من العين يرى كالحلقة الكبيرة [(١)].

وينحاز الإمام حميدان للفريق الأول ويرى ان الحواس تقدم معارف يقينية حيث يقول "واما تنوع الأجسام الى كثيف ولطيف وحيوان وجماد وتنوع الأعراض الى ما يعلم بدرك الحواس وما يعلم بالدليل فذلك ظاهر لكل من لم يكابر الضروريات بكاذب التوهم"[(٢)]. فالنص السابق يوضح ان المعارف الحسية معارف يقينية تشبه المعارف الضرورية حيث قال: "فذلك ظاهر لكل من لم يكابر الضروريات".

والإمام حميدان لا ينطلق فى اعترافه بيقينية المعارف الحسية من منطلق فلسفي فحسب بل من منطلق إيماني ذلك ان المعارف الحسية الصحيحة تقود الى زيادة اليقين بالله وفى ذلك يقول " ان الإيمان بالله والاستدلال عليه بصنعه ... هو الذي اذا تفكر فيه الموحد ازداد يقيناً" [(٣)].

ومع اعتراف الإمام حميدان بيقينية المعارف الحسية الا انه -كما سبق- يشترط فى الحس شروطاً ثلاثة هي: ١- سلامة الحواس من الآفات.

٢- أن تستعمل فى مجال بحثها فقط أي فى الوجود العيني.

٣- أن تعمل فى معية العقل [(٤)].

والقول بان المعارف الحسية معارف يقينية هو أقرب الى روح القرآن الكريم الذي يدعو الناس فى غالبيه سورة الى النظر فى الكون وآياته للتوصل من خلالها الى إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته وهيمنته على الوجود كله.

جـ- في المجربات :

المجربات، ما يحكم بها العقل بواسطة الحس مع التكرار[(١)]. والمعارف التجريبية معارف نسبية، ذلك ان العلم فى حد ذاته يفند رؤياه أولا بأول لأنه خاضع للتحفظ

---

(١) المرجع السابق، ص١٥.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين.

(٣) المرجع السابق، لوحة ٣٥ شمال.

(٤) انظر ص٧٢ من هذا البحث.

والتغيير فى الموقف، فما يمكن ان يكون مقبولا فى القرن العشرين كحقائق تجريبية 'و علمية يأتى القرن الواحد والعشرون فيفندها ويكتشف ما بها من أخطاء ويقوم بتصحيحها وهـذا ما أكده الإمام حميدان قال: "وقد ينكشف للمتأخر مالا ينكشف للمتقدم"[٢].

د- في المتوترات :

المتوترات ما يحكم بها بمجرد خبر جماعة يمتنع تواطئهم علـى الكـذب[٣]. وهـذه القضايا التواترية هي التي تسكن إليها النفس سكونا تاما يـزول عنـه الشـك لكـثرة الشهادات مع المكانة، بحيث تزول الريبة عن وقوع تلك الشهادات على سبيل الاتفـاق والتواطؤ [٤] وهذا ما أكده الإمام حميدان حين اعتبر تصديق الإجماع واجبا [٥] لأنه دليـل يحصل به العلم [٦]وكل ومن خالفه فهو كافر [٧].

ويضيف الإمام حميدان الى إجماع الأمة إجماع العترة الذي يعتبر إجماعهم حقاً يجـب قبوله ولكن سبق أن بينا ان إجماع العترة مطعون فيه لأنه كشهادة الجار الى نفسه.

هـ- في النقليات :

يرى الإمام حميدان ان الخبر المتول يقدم معارف يقينية لا ريب فيها ولذلك يدعونـا الى العمل بالقرآن قولا وعملا واعتقادا لأجل كونه حجة لله بعد العقل باقية لا يجوز مخالفته .. أوضح دليل الى خبر سبيل من قال به صدق ومن عمل به أُجر ومن حكم به عـدل [٨] ولذلك فكل ما كان شاهده فى كتاب الله عز وجل وفى السنة المجمع عليها عن رسـول الله

---

(١) الايجى: المواقف، ص٣٨.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٨ شمال.

(٣) الايجى: المواقف، ص٣٨.

(٤) د. عاطف العراقي: ثورة العقل في الفلسفة العربية، ص ٥٢.

(٥) الإمام حميدان : تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٤ شمال.

(٦) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٠يمين.

(٧) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢١ يمين

(٨) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٣٥ يمين.

صلى الله عليه وسلم أو جهة من العقل يصدقها الكتاب فكل ما كان من هذا فهو أصح مطلوب وأنور حجة فى القلوب[1]

تعقيب :

إن مذهب الإمام حميدان فى المعرفة يعبر عن أصالة إسلامية حيث ان مصادر المعرفة عنده قد تنوعت بين الحس والعقل والقلب والخبر (بنوعيه المنزل وغير المنزل) موسعا بذلك دائرة إمكانية كسب المعرفة ومخالفا بذلك التراث اليوناني الذي قصر المعرفة على الجانب العقلي فقط. كما اتضحت أصالة الإمام حميدان الإسلامية فى اعترافه بالحس كمصدر للمعرفة الواقعية هذا إلى جانب تعدد موضوعات المعرفة عنده وفصله بين عالم الغيب وعالم الشهادة الذي عصمة الى درجة كبيرة من الوقوع فى الخطأ.

وهذا يؤكد ان العلم فى الإسلام يختلف عن مفهوم العلم فى الغرب فى موضوعه وفى منهجه وفى هدفه، أما فى موضوعه – فهذا الأخير – يقتصر على دراسة الظواهر المادية التى تدرك او يمكن ان تدرك بالحس، واما فى منهجه فهو يستخدم فى دراسة هذه الظواهر المنهج المسمى بالمنهج التجريبي .. وأما فى هدفه فهو كذلك هدف مادى، وهو استخدام ما تكشفه العلوم عن طريق هذا المنهج فى تقدم الإنسان تقدما ماديا فى جوهره.

ولم يكن الإمام حميدان مجرد مفكراً زيدياً ينقل ما قاله أسلافه بل كان مفكراً مبدعاً مجدداً له إسهاماته العظيمة اتضح ذلك فى إبداعه فى موقفه من مفهوم العلة، حيث رفض معناها التقليدي الذى كان سائدا فى مجال الفكر الفلسفي، فرفض هذا المفهوم وقدم مفهوما جديدا مستنبطا من الفكر الإسلامي، وسابقا بذلك عصرنا المعاصر الذي لا ينظر الى العلية إلا على أنها مجرد علاقة بين ظاهرتين من ظواهر الكون الطبيعية. ومع ذلك فلنا على الإمام حميدان مأخذان :

الأول : ربطه بين نظريته المعرفية ونظريته فى الإمامة بطريقه تجعل الأئمة أوصياء على عقول البشر وحواسهم واعتقاداتهم وأفكارهم وهذا أمر يرفضه كل صاحب عقل سليم.

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٠ يمين.

الثاني : استخدامه لمنهج التأويل العقلي فى تعامله مع النصوص المترلة مما جعلـــه يخـــرج فى كثير من الأحيان بهذه النصوص عن مراد المشرع سبحانه وتعالى مما أوقعه فى كثـــير من الأخطاء وخاصة فى مجال العلوم الدينية.



الفصل الخامس

الله : (ذاته - صفاته)

تمهيـــــــد.

أ- الذات الإلهية :

أولاً : مذهب أئمة العترة.

ثانياً : مذهب المعتزلة.

ثالثاً : إثبات صحة مذهب الأئمة وبيان بطلان مذهـــب المعتزلة.

ب- الصفات الإلهية :

أولاً : مذهب الأئمة في الصفات.

ثانياً : مذهب المعتزلة في الصفات.

ثالثاً : بيان صحة مذهب الأئمة وبطلان مذهب المعتزلة.

رابعاً : أنواع الصفات.

النوع الأول : ما ينبغي أن يضاف إلى الله مـــن صفات.

النوع الثاني : ما ينبغي أن ينفى عـــن الله مـــن صفات.

تمهيـــــــد :

تتفرع مشكلة ذات الله سبحانه وصفاته عن أصل التوحيد. وعلى الرغم مـــن أن هذه المشكلة قديمة قدم المدارس الكلامية والفلسفية الاسلامية، إلا أنها ظلت حتى عصـــر الإمام حميدان تمثل أبرز المشكلات المطروحة على الساحة الفكرية والثقافية والعقائدية بـــل والسياسية أيضاً، حيث سبق ووضحنا أن الجوانب السياسية والعقائدية كانت فى تزاوج تام ومن ثم فقد ظلت هذه المشكلة حتى عصر الإمام حميدان قائمة لم تختفى، وكيـــف تختـــف والظروف التي أوجدتها مازالت قائمة ؟!

فهناك المشبهة التي تبنت نظرية التجسيم ، وهناك الإسماعيلية أو القرامطة التي مالت إلى الخلط بينة الإسلام والفلسفة فى نظرتها الى الله سبحانه، وهناك الأشعرية الذين أثبتوا لله سبحانه صفات قديمه، وقالوا برؤية الله في الآخرة وقالوا بقدم القرآن، وهناك التيار الشيعي المشايع للمعتزلة تلك التي تمثل أكبر أعداء الإمام حميدان لما أحدثته وابتدعتـــه مـــن أراء شوهت بها أصل التوحيد كالقول بأن الله استحق ما استحقه من صفات بأمر زائد علـــى الذات لا هو هي ولا هو غيرها، وكالقول بثبوت ذوات أعيان العالم فيما لم يـــزل مثبتـــين بذلك قديمين .

من أجل هذا كان لابد للإمام حميدان أن يتصدى لهذه المشكلة لكي يوضح التصور الصحيح لها – فى نظره وعلى مذهب الزيدية – ويبطل التصورات الفاسدة التي تطرحـــها الفرق الآخرى، مستخدماً فى ذلك منهجاً يعتمد على تقديم دلالة العقول علـــى النـــص المنقول، ولقد انتهى به هذا المنهج الى الوقوع فى الكثير من الأخطاء العقائدية التى أحدثـت اضطراباً فى مذهبه .

ولكي يتضح هذا الأمر سنقف مع الإمام حميدان عند موضوعين اثنين هما:

أ- الذات الإلهية .　　　　ب- الصفات الإلهية

وكان ينبغي علينا أن نتحدث فى هذا الفصل أيضاً عن الفعل الإلهي إلا أننا سنرجئ الحديث عنه إلى فصل الفعل الإنساني تجنباً للتكرار.

(أ) الذات الإلهية :

يدور كلام الإمام حميدان ومعالجته لمشكلة الذات الإلهية حول أمور ثلاث هـــي : عرض مذهب أئمة العترة، عرض مذهب لعتزلة، بيان صحة مذهب الأئمة وبطلان مذهب المعتزلة على النحو الآتي:

أولاً : مذهب أئمة العترة :

يرى أئمة العترة أن قول القائل ذات البارئ عبارة تفيد الإخبار عنه سبحانه علـــى الجملة من غير توهم مجانسة ولا مشاركة بينه سبحانه وبيّن غيره[١] فذات البارئ ســـبحانه هى هو الذي ليس كمثله شيء لا فى الذاتية ولا في غيرها، وإذا لم يكن له مثـــل بطـــل أن يكون له مشارك لعدم الفرق بين المماثلة فى الذات والمشاركة وكذلك المكافئة والمشـــابهة. وكذلك لا يجوز عندهم عليهم السلام أن يوصف البارئ سبحانه بأنه جنس للـــذوات ولا أنه نوع من الموجودات لأجل كون التجنيس والتنويع مما يدل على الحدث ولا يجـــوز أن يوصف به إلا المحدث[٢]. والله سبحانه قديم أزلي والقديم الأزلي نقيض المحدث فى اللفـــظ والمعنى ولا واسطة بينهما ولا مماثلة ولا مشاركة فإما عموم بعض الأسماء والأوصاف فليس ذلك بحجة لمن زعم من المشبهة أن البارئ سبحانه مماثل للأشياء لأجل كونه شيئاً ولا لمـــن زعم من المعتزل أنه مشارك لها فى ذلك . والذي يدل على بطلان لاستغلاطهم للمتعلمـــين بذلك هو أن جميع الأسماء والأوصاف التي تعم الخالق والمخلوق يجب أن يقيـــد مطلقـــها ويخصص عمومها بما يجب نفيه عن الخالق وإثباته للمخلوق، نحو أن يقال في الخالق ســبحانه شيء لا كالأشياء، وموجود لا بعد عدم، وواحد لا بمعنى العدد ، وحي بلا حياة، وما أشبه ذلك مما يقع به التمييز والفرق بين القديم والمحدث في اللفظ والمعنى حقيقة لا مجازاً[٣].

وكذلك أيضاً لا يجوز عند الأئمة إثبات أمر ليس بشيء ولا لاشيء لأجل كـــون ذلك نفياً للنفي والإثبات معاً، وإثبات لأمر متوسط بينهما وذلك مما يعلم ضرورة أنه محـال

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٤ يمين.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٨ شمال.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٢٢ شمال .

وكل دليل أدى الى إثبات محال فهو محال[١]. وبهذا نعلم بيقين أنه لا يجوز أن تكون أسماء الله سبحانه ولا أوصافه مشتقة من معنى غير ذاته ولا من مزية زائدة عليها ليست بشيء ولا لا شيء لما في ذلك من إيهام زائد عليه ومشتق منه تعالى الله عن ذلك[٢].

ثانياً مذهب المعتزلة :

ذهب بعض المعتزلة أنه لا فرق بين ذات البارئ سبحانه وبين سائر الذوات في الذاتية لأجل الاشتراك في اللفظ، والله سبحانه لا يفارق ماعداه من الذوات الا عن مزية خاصة له لا هي هو ولا هي غيره ولا شيء ولا لاشيء، وأنه سبحانه لا يستحق لذاته سوى تلك المزية، وماعداها من الصفات الذاتية مقتضى عنها[٣].

وقد استدلوا على هذه الصفة أو المزية الخاصة بقولهم قد ثبت كون البارئ سبحانه مفارقاً للذوات بعد مشاركته لها في الذاتية، والمفارقة بعد المشاركة تدل على أنه لابد من أمر لأجله وقعت المفارقة ، وذلك الأمر لا يخلو إما أن يكون هو الذات أو غيرها، ثم أبطلوا أن يكون هو غيرها ، ثم أبطلوا أن يكون هو الذات لعدم الفرق بينه وبين غيره بزعمهم في الذاتية، ,أبطلوا أن يكون هو غيرها لكون الغير لا يخلو من أن يكون فاعلاً أو علة ، قالوا : فلم يبق إلا أن يكون ذلك الأمر الذي أدى إليه الدليل هو أمر زائد على الذات لا هو هي ولا غيرها[٤].

ووصفوا هذا الأمر الزائد أو هذه المزية الخاصة بأنها لا شيء ولا لاشيء وضربوا لها مثالاً بالسؤال عن الفرق بين السواد والبياض ليثبتوا بذلك في الشاهد أمر لا يعقل كونه شيئاً ولا لاشيء فقالوا : إن الفرق الذي نعلمه بين البياض والسواد لا يجوز أن يكون شيئاً ، لأنه لو كان شيئاً لأحتاج إلى صفة يتميز بها حتى يتصل ذلك بما لا نهاية له وهو محال، ولا يجوز أن يكون لا شيء لأن لاشيء لا يصح به الفرق لكونه عدماً فإذا التزم ذلك أحد متى

---

(١) المصدر السابق لوحة ٢٨ شمال.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٢٢ شمال .

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٢٨ شمال.

(٤) التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٩ يمين .

المتعلمين ألزموه أنه قد اجمع معهم على إثبات أمر ليس بشيء ولا لاشيء وأنه يلزم القـول بالمزية وان لم يعقلها[١].

ثم فرقوا بين المشاركة والمماثلة فى وصفهم لله سبحانه بأنه مشارك فى الذاتية غـير مماثل فيها[٢] واحتجوا على ذلك بالحد المنطقي الذي زعموا أنه من جنس وفصل وأنه يجمع ويمنع ويعكس ويطرد : فقالوا فى حقيقة الذات : هو ما يصح العلم به والخبر عنه بـلنفراده ثم احترزوا بذلك الانفراد عن الصفات التي زعموا أن الذات تعلـم عليـها ولا تعلـم بانفرادها[٣].

وغرضهم من هذا القول أن يجعلوه مقدمة يتوصلون بها إلى إثبـات دعواهـم أن البارى سبحانه لا يخالف ما خالفه إلا بأمر زائد على ذاته، والى قياسهم له سبحانه علـى غيره ، وإلى تحديهم له بالحد المركب من جنس وفصل لان من شرط المماثلة والمخالفـة فى الشاهد بين الأجسام أن تكون الصفات زائدة على كونها ذواتاً بزعمهم، ومن شرط صحة القياس أن يشترك المقيس والمقيس عليه فى علة توجب اشتراكهما فى حكمها، ومن شـرط صحة الحد المركب من جنس وفصل ان يوصف المحدود فى أول الحد بما يعمه وغيره ليكون جنساً جامعاً وأن يوصف فى آخره بما يفصله عن غيره من أنواع ذلك الجنس، فلو لم يقولوا بالمشاركة بطل جميع ما بنوه عليها وفرعوه منها[٤].

ويبدو أن هذه الصفة التي يهاجم الإمام حميدان المعتزلة بسببها كانت من الأفكـار التي استحوذت على فكر رجال الشيعة المعتزلة فى اليمن وذلك للآتي :

١- إن نقض هذه الفكرة أو هذه الصفة إنما جاء أيضاً - على ما أعلم - من قبل مفكرين يمنيين ، فها هو أيضاً أبن الوزير (٨٤٠هـ) يبدع المعتزلة فى قولهم بأن لله تعالى صفة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا هي من أسمائه الحسنى ولا من مفـهوماتها

---

(١) المصدر السابق لوحة ١٠١ شمال

(٢) المصدر السابق، لوحة ٩٦ شمال.

(٣) المصدر السابق، لوحة ٨٤ شمال.

(٤) المصدر السابق لوحة ٩٧ شمال.

ولوازمها وهى الصفة الأخص عند المعتزلة ويسمولها صفة المخالفة. وألها المؤثـــرة فى سائر صفات الكمال الأربع وهى كونه حياً قادراً عالماً قديماً وبها تخالف ذات الله سائر الذوات[١].

٢- إن القول بهذه الصفة لا يعرف لعموم المعتزلة [٢] وإنما هو لأحدهم وهو نظرية الأحوال لأبى هاشم الجبائي[٣]. وذلك لأن المعتزلة قبله كانوا متهمين بألهم عطلوا صفـــات الله وأن مفهوم العلم غير القدرة غير مفهوم الحياة بناء على قول المعتزلة عالم بذاته قـــادر بذاته، فأراد أبو هاشم حل الإشكال مع الإبقاء على المفهوم المعتزلي من حيث صلـــة الصفات بالذات، فالصفات الإلهية غير معلومة على حيالها وإنما تعلم مع الذات، وأن قولنا عالم لذاته يقتضي كونه عالماً، وان هذه الأحوال لا موجودة ولا معدومة[٤].هـذا وقد تابع معظم متكلمي الزيدية - المتأخرين - أبا هاشم فى نظريته، مما دفع الإمـــام حميدان إلى مهاجمة هذه النظرية ليعيد الأمر الى رأى الأئمة الأوائل الذين لم يخوضوا فى هذه التفصيلات الدقيقة في علاقة الصفات بالذات مادامت ذات الله غـــير معلومـــة للبشر[٥].

ثالثاً : إثبات صحة مذهب الأئمة وبيان بطلان مذهب المعتزلة :

والذي يدل على صحة مذهب العترة وبطلان مذهب المعتزلة أمور منها :

---

(١) ابن الوزير : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق في أصول التوحيد، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٨هـ ص١٠٥

(٢) د أحمد محمود صبحي : الزيدية، (هامش ص ٤٤٧)

(٣) هو أبو هاشم عبد السلام بن أبي على محمد الجبائي بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بـــن أبان مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه. كانت ولادته سنة سبع وأربعين ومائتين، وتوفى يوم الأربعاء لاثنتي ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد [ابن خلكـــان:وفيـــات الأعيـــان، مجلد٣، دار صادر- بيروت سنة ١٩٧٠، ص٣٨٣]

(٤) انظر د. احمد محمود صبحي: في علم الكلام: مؤسسة الثقافة الجامعيـــة - الإســـكندري ١٩٦٩م جـــ١، ص ٣٥٢-٣٦٨.

(٥) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية، ص ٤١١ (هامش)

١- إنه قد ثبت بأدلة العقل والسمع أن الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء ولا كفو له ولا ند ولا شريك، وأنه لا يحاط به علما ولا يجوز توهمه ولا تصوره ولا تكييفه ولا قياسه ولا التفكر فيه ولا يصح أن يجاب من سأل عن ذاته بمثل ما يجاب من سأل عن ذات غيره.

٢- إن القول بالمشاركة فى الذاتية مبدع متكلف ليس عليه وحي ولا معقول ولا مسموع وكل قول مبدع فى الدين باطل.

٣- أن المشاركة والجنس والنوع من خصائص أوصاف المحدثات التي لا يجوز إضافتها الى الله سبحانه لما فيها من لزوم التشبيه.

٤- إن ذات البارئ فى نفسه ونفسه هي هو ولا يصح أن يوصف سبحانه بأنه مشارك فى نفسه لعدم الفرق بين المشاركة فى الذاتية والمشاركة فى النفسية.

٥- انه لا فرق فى اللغة بين المشاركة فى اللغة والمماثلة فيها[١] على نحو ما يعلم فى الشاهد من عدم الفرق بين أن يقال زيد مشارك لعمر فى الذاتية وبين أن يقال هو مماثل له فيها[٢]وقد ثبت بالدليل انه لا مثل له سبحانه وكذلك يجب ان يكون لا مشاركة له[٣]. وهذا خلط من الإمام حميدان بين المقول بالمشاركة والمقول بالمماثلة، مع أن هناك فرق بين المشاركة والمماثلة، ذلك أن الاسم إذا أطلق على أفراد كثيرين فإنما يطلق على أنحاء ثلاث :

الأول : الاشتراك اللفظي مع الاختلاف فى المعنى كما يطلق لفظ عين على العين الجارية والعين الرائية.

الثاني : بالمشاركة أو بالتشكيك كإطلاق لفظ الوجود الإلهي ووجود غيره من المخلوقات المحدثات، كإطلاق الجمال على جمال الوردة وجمال لحن القيثارة وجمال القمر

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٤ شمال

(٢) المصدر السابق، لوحة ٩٦ شمال

(٣) المصدر السابق ،لوحة ٨٤ شمال

وجمال قوام الغزال وجمال الحسناء دون مماثلة بينهم، وهذا هو الذي يعنيه المعتزلة حين يطلقون لفظ "الذات" على الله وعلى سائر الذوات.

الثالث : مقول بالمماثلة أو بالتواطؤ ، وهو الذي يفيد التشبيه كإطلاق لفظ ولود على الإنسان والبقرة والأرنب أو كإطلاق لفظ حيوان على الإنسان وعلى سائر أنواع الحيوانات[١].

٦- أن لفظ ذات قد يعبر به عن الشيء جملة كما يقال فلان فعل كذا بذاته أي فعله هو، وقد يعبر به عن محل العرض فيقال ذات الجسم وعرضه، وكل لفظ عُبّر به عن معنيين مختلفين فليس باسم جنس يصح فيه الاشتراك.

٧- أن تحديد ذات البارئ سبحانه بالحد الذي زعموا أنه مركب من جنس وفصل ولم يتضمن إلا تفسير حكاية مذهبهم الذي ابتدعوه لفظاً ومعنى مجرد الحكاية لا يصح ان يكون دليلاً على صحة المحكى، وكذلك فانه ما من دعوى باطلة إلا يمكن أن تحد بحد مركب من جنس وفصل وذلك بيّن لمن تأمله.

٨- مخالفتهم بذلك للموحدين فى معنى التوحيد، ولأهل علم المنطق في شروط التحديد .
أما مخالفتهم فى معنى التوحيد فلا جل وصفهم لله سبحانه بالمشاركة والجنس والفصل الذي يدل على النوع، وأما مخالفتهم فى شروط التحديد فلان من شرط الحد المركب من جنس وفصل عند الفلاسفة أن يكون المحدود له جنساً يتنوع وذات البارئ سبحانه هي هو ، وهو سبحانه واحد ليس بجنس ولا نوع.

٩- أنه لا بد لكل ذات عندهم من صفة ذاتية أو صفات يستحيل خلوها عنها، وذلك ناقض لقولهم فى حد الذات: أنه يصح العلم بها على انفرادها لأن من أبين المناقضة أن توصف الذات بأنه يصح العلم بانفراد دها عما يستحيل خلوها منه[٢]

---

(١) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية (هامش ص ٤١٢).

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٤-٨٥

١٠- إن لفظ ذات لو كانت جنس لما جاز أن يقال أن الله سبحانه ذات لا كـــالذوات ، والله سبحانه شيء لا كالأشياء كما لم يجزان يقال كذلك في شـــيء مـــن أسمـــاء الأجناس، مثاله تناقض قول من يقول محدث لا كالمحدثات وجسم لا كالأجسام[1].

١١- إن المفارقة بعد المشاركة لا يجوز إطلاقها على الحقيقة إلا على الأجنـــاس المتنوعـة المتكلفة والتي هي مقارنة لصفاتها والله سبحانه ليس بجنس ولا نوع.

١٢- أن المفارقة بعد المشاركة طريق لإثبات التعليل، والتعليل طريق لإثبـــات القيـــاس، والقياس لا يكون إلا لما شارك في علة القياس، والعلة هي صفة مقارنة لـــذات لا يجوز وصف ذات البارئ سبحانه بأنها مقارنة للعلل والمعلولات.

١٣- إن الله سبحانه لو كان مشاركاً في أمر ومخالفاً بأمر لم يخل كل واحد من الأمرين مـن أن يكون شيئاً معقولاً أو غير شيء معقول ولا واسطة، والخصم إذا كان من العدليـة يجمع على أنه ليس شيء معقول وإذا لم يكن شيئاً معقولاً فالسؤال عنـــه اســـتغلاط والمتكلم فيه خارج عن حد العقل وقاف لما ليس له به علم ومجادل في الله سبحانه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

١٤- أنه قد ثبت بأدلة العقل والسمع انه سبحانه ليس كمثله شيء ، وانه لا كيفية لـــه، وإذا لم يكن له مثل ولا كيفيه فهو مفارق للذوات لا بعد المشاركة ولا بأمر لأجـــل كونه سبحانه مفارقاً لها لأنه لا مثل له ولا كيفية وكونه لا مثل له راجع الى النفـــي وكل صفة راجعة الى النفي فليست تسمى أمر ولا مزية بإجماع الخصم[2].

وأما سؤالهم عن السواد والبياض الذي أرادوا ان يثبتوا به أمرا في الشاهد لا يعقـل كونه شيئاً ولا لاشيء فباطل من عدة وجوه :

١- سبق العلم الضروري بأنه لا يجوز إثبات أمر متوسط بين النفي والإثبات، وانه لا يجوز أن يؤدى النظر والاستدلال الى إثبات ما يعلم انتفاؤه ضرورة.

---

(١) المصدر السابق ، لوحة٨٥.

(٢)الإمام حميدان: تذكرة تشتمل على أربع مسائل في الصفات، لوحة ١٢٢ يمين.

٢- أن الفرق بين السواد والبياض لا يخلو: إما أن يكون معلوماً أو غير معلوم، ان كان معلوماً فكل معلوم شيء بإجماعهم ، وان كان غير معلوم فتكلف العلم به محظور وضرب المثال له تلبيس، والخوض في الكلام فيه عنت، والإيهام بكونه علماً مغلطة، وتسميته توحيداً غرور.

٣- إن الفرق بين السواد والبياض لا يخلو: إما أن يكون أمر واحد مشترك بينهما فذلك محال لكونهما متضادين، وإما أن يكون أمرين زائدين فيكون الكلام فيهما كالكلام فيما قبلهما الى مالا نهاية له وهو محال.

٤- كون البياض والسواد صفتين لمحليهما والصفات لا توصف ولا يعلم الفرق بينهما إلا باختلاف محلها.

٥- عدم الفرق بين أمر وشيء عقلاً وعرفاً ، وإذا لم يكن بينهما فرق معلوم فالاصطلاح على الفرق بينهما يكون بدعة، وكل بدعة ضلالة.

٦- أن الفرق بين البياض والسواد غير معقول لا يوجب إثبات أمر متوسط بين النفي والإثبات إذ ليس من شرط كلما يعقله المكلفون أن يكون كذلك.

٧- إن من الصفات التي يعلم بها الفرق بين الموصوفين ما ليس بأمر وهي كل صفة راجعة الى النفي وذلك مثل وصف البارئ سبحانه بأنه ليس كمثله شيء فان هذه الصفة هي التي ذكر القسم بن إبراهيم عليه السلام أنه لا يشارك الله سبحانه فيها مشارك وهي بإجماع المعتزلة لا تسمى أمراً ولا مزية لكونها راجعة الى النفي[١]

والحق أن أوجه النقد هذه إنما تعبر عن واقعية المفكر المسلم التي امتاز بها الإمام حميدان وفقدها بعض المعتزلة في بعض الأحيان عندما غضوا الطرف عن الواقع وتوغلوا في دقائق النظر العقلي. من أجل ذلك فان الباحث يوافق الإمام حميدان على أفكاره لهذه الصفة لأنها افتراء على الله وتعدى لحد العقل والحس والسمع معاً بينما المفروض أن نقف في مثل هذه الغيبيات عند حد السمع، ولم يخبرنا السمع (قرآن وسنه) بذلك فلم يبق إلا أنها افتراء على الله.

---

(١) المصدر السابق لوحة ١٠١-١٠٢

ولكن الباحث أيضاً ورغم أنه لا يعيب الإمام حميدان نقده للمعتزل من خلال بعض الآراء الفردية، إلا أنه يأخذ على الإمام حميدان إهماله للاتجاه العام للمعتزلة فالقول بهذه الصفة ليست كما قلنا قول كل المعتزلة، وكان ينبغي على الإمام حميدان أن يشير الى هذا الاتجاه العام ولكنها الخصومة التي تعمى أعين المتخاصمين عما فى الخصم من مميزات وهذه آفة المتكلمين جميعاً إلا من رحم الله ثم أن أبا هاشم رغم إقرارنا بخطئه إلا أن نيته على ما نعتقد كانت خير، فهو لم يقصد -كما يرى الإمام حميدان- تشبيه الله سبحانه بخلقه، وإنما كان هدفه تنزيه الله سبحانه عن كل ما يلحق الحوادث راغباً فى التوحيد المطلق الذي هو غاية كل المعتزلة ومحط إجماعهم.

(ب) الصفات الإلهية :

يدور كلام الإمام حميدان وعرضه لموضوع الصفات الإلهية حول نقاط أربعة رئيسية هي كالآتي : عرض مذهب أئمة العترة ، ثم عرض مذهب المعتزلة، ثم إثبات صحة مذهب الأئمة وفساد مذهب المعتزلة، ثم بيان أنواع الصفات وترتيبها.

أولاً : مذهب الأئمة في الصفات :

مذهب العترة أن وصف البارئ سبحانه بأنه قادر وعالم وحي وموجود ونحو ذلك مما يستحق الوصف به ازلاً، وانه لا يدل على إثبات صفه لذاته زائدة عليها، وأن معنى إضافتها إليه كمعنى إضافة وجهه ونفسه له وذلك لأنه عندهم يستحيل إثبات واسطة بين وصفه وذاته، كما يستحيل إثبات وجه ونفس له، سبحانه وتعالى ويجب عندهم أن نفرق فى ذلك بينه سبحانه وبين المخلوق الذي يجب أن يدل وصفه بالقدرة والعلم على وجود قدرة مخلوقة وعلم إما مكتسب وإما ضروري[١].

ثانياً: مذهب المعتزلة في الصفات :

أما مذهب المعتزلة فهو أن وصف البارئ سبحانه بكونه قادراً وعالماً وحياً وموجوداً يدل على صفات زائدة على ذاته سبحانه وثابتة له فيما لم يزل ومنهم من يقول أنه يستحقها كلها لذاته، ومنهم من يقول انه يستحقها لأمر زائد على ذاته أخص منها لا

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٥-٨٦.

يستحق لذاته سوى ذلك الأمر ، واصطلحوا على تسمية الصفات على الجملة أمـــوراً لا أشياء وثابتة لا موجودة وأزلية لا قديمة وزائدة، على الذات لا اعتبار لها، وعلى وصفـــها بأنها لا شيء ولا لاشيء ولا قديمة ولا محدثة ولا موجودة ولا معدومة، وأنها لا تعلم مـــع الذات ولا منفردة[١].

والحق أن الاتجاه الأصيل فى المعتزلة هو ذلك الاتجاه الذي يقوم على رد الصفات الى ذات واحدة[٢] ذلك الاتجاه الذي دخلت من أجله المعتزلة فى جدل عنيف ضد الأشـــاعرة الذين يميزون بين الذات والصفات[٣]. ثم تحدثوا عن ترتيب الصفات وفوائدها. فمن حيـث الترتيب زعموا أن الناظر فى إثبات الصانع تعالى يحصل له العلم أولاً بذاته ثم بأمر زائد على ذاته وهو كونه قادراً، ومنهم من قال كونه حياً وما بعده على الترتيب. ومن حيث الفائدة زعموا ان كل صفه تفيد غير ما أفاد الوصف الذي قبله أو بعده[٤]

ثالثاً : بيان صحة مذهب العترة وبطلان مذهب المعتزلة :

ومما يدل على صحة مذهب العترة عليهم السلام فى ذلك وبطلان مذهب المعتزلة هو :

١- كون مذهبهم – أي المعتزلة – متضمناً لضروب من المحالات التى تثبت كونه مذهبـاً حادثاً متكلفاً بغير دليل معقول ولا مسموع يدل على وجوبه أو على صحته، وكـــل مذهب حادث كذلك فهو باطل القول ... وقد قال تعالى فى مثل ذلــك "إن هـــي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان" [النجم/من الآية ٢٣] وقولـه "إن تتبعون إلا الظن وان انتم إلا تخرصون" [الأنعام / من الآية ١٤٨]. وورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم انه قال :"يوشك أن ينتقل الشرك من ربع الى ربع ومن

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٨٦.

(٢) د. البير نصر نادر: فلسفة المعتزلة ،ط الإسكندرية سنة ١٩٥٠ ،ص٣٧ ،وانظر أيضاً : الغرابي : أبـو الهزيل العلاف ط مصر الثانية ١٩٥٤ ص٤١.

(٣) د. عاطف العراقي : المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد ،طبعة دار المعارف القـــاهرة ســنة ١٩٨٤ ،ص١١١.

(٤) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ١٠٠ شمال

قبيلة الى قبيلة ، قيل يا رسول الله وما ذلك الشرك قال : قوم يأتون بعدكم يحدون الله حداً بالصفة"[١].

٢- إن علمهم بذلك لا يخلو: إما أن يكون عن التفكير في الله أو عن التفكر فى غيره أو عن التفكر لا فى ذاته ولا فى غيره ، فان كان عن التفكر لا فى الله ولا فى غيره فهو تفكر لا فى شيء ، وان كان عن التفكر فى غير الله سبحانه فالتفكر فى غير الله سبحانه لا يؤدى الى العلم بكيفية استحقاق ذاته لصفات ذاته، وان كان عن التفكر فيه سبحانه فذلك باطل لتحريمه سبحانه ان يقولوا عليه مالا يعلمون وقد اخبر سبحانه الهم لا يحيطون به علماً، ولقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم :"تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله"[٢] وقوله :"تفكروا فى المخلوق ولا تفكروا فى الخالق" ولقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه من تفكر فى الصنع وحد ومن تفكر فى الصانع الحد.

٣- تناقض أقوالهم فى كثير من ذلك وكل مناقض فهو باطل، مثال ذلك قولهم، إن الصفات لا توصف ونقضهم لذلك بوصفهم لبعضها بالأزل ولبعضها بالحدث . وكذلك قولهم ألها لا تغاير بعضها البعض لجعلهم لبعضها مقتض وبعضها مقتضى وكل مذكورين على هذا الوجه فانه يجب أن يكون أحدهما غير الآخر ومن جملة المناقضة وصفهم لها بألها لاشيء ولا لاشيء وألها زائدة على الذات وليست غيرها.

٤- تحريفهم لمعاني كثير من الألفاظ التي لا فرق بين معانيها لا لغة ولا عرفاً نحو الأمر والشيء، والذات والغير ، والقدم والأزل، والحدث والتجدد، وأشباه ذلك مما توصلوا بتحريفهم لمعانيه المعقولة الى أن يغيرونه الى مالا يعقل مع كولهم غير مفوضين وحكماء ولا معصومين عن الدخول فى من ذمهم الله سبحانه على تحريفهم الكلم عن مواضعه.

---

(١) قال صاحب موسوعة أطراف الحديث في المجلد ١١ص٤٣٩حديث يوشك الشرك ورد فى مسند الربيع بن حبيب، غير إنني لم أتمكن من الحصول على هذا المسند.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر مرفوعاً [العجلوني: كشف الخفاء، جـ١، ص٣٧١.

٥- إثباقم لأمور متوسطة بين النفي والإثبات نحو قولهم لاشيء ولا لاشيء وكون ذلـــك محالاً مما يعلم ضرورة كما يعلم ضرورة ان قول من يقول زيد لا فى الـــــدار ولا فى غيرها محال.

٦- موافقتهم بقولهم إن صفاقم الله وأشباه ذلك مما لا فرق بينه إلا ما اخـــــترصوه مـــن الاصطلاح الذي لا يجوز قبوله فضلاً عن ان يجب.

٧- لو كان لله سبحانه صفات زائدة على ذاته كسائر ذو ت العالم لما كان لوصفه سبحانه بالوحدانية معنى معقول لان وصف الذات بالأمور الزائدة يدل على التغاير والتغـــاير يدل على العدد وكل معدود فليس بواحد.

٨- إن صفات البارئ سبحانه التي زعموا أنها زائدة إذ لا شيء ولا لاشيء كما زعموا ولا هي الذات ولا غيرها فهي على الجملة غير معقولة، وكل ما ليس بمعقول على الجملة فإثباته تكلف والعلم به وأعمال الفكر فيه والاسغلاط بالسؤال عنه يكون عبثـــاً ... وغلوا فى الدين بغير الحق.

٩- ومما يؤكد بطلان هذه المغالط أيضاً كونها محالاً ذلك أن المسئول عنها إن أجاب بأنهـــا شيء فهو محال أو لاشيء فهو محال أو لا شيء ولا لاشيء فهو محـــال ، أولا تزايـــد العلم بالصانع وأوصافه لا يدل على تزايده[١]

والحقيقة إن إثبات صفة لا معدومة ولا موجودة خرافة وخيال. وان العقل الصحيح لا يجعل بين الشيء ونقيضه واسطة البتة، فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعاً، وكل مـــا ليس بمعدوم فهو موجود قطعاً ولا واسطة البتة كما هو معروف عند العقـــلاء[٢]. ولهـــذا جاءت أقوال الأئمة عليهم السلام على نفى الصفات.

قال أمير المؤمنين عليه السلام "باينهم بصفته رباً كما باينوه بصفتـــهم (بحدوثـــهم) خلقاً، فمن وصفه فقد شبهه ومن لم يصفه فقد نفاه، وصفته انه سميع ولا صفة لســـــمعة" .

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ١٠١ يمين

(٢) محمد الأمين الشنيطى : منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، من مطبوعات الجامعة الإســلامية بالمدينة المنورة، دار الاعتصام القاهرة د.ت، ص١٠

وقال القاسم الرسي فى جواب مسألة الطبريين : " فهذه صفته تبارك وتعالى فى الآنية والذات ليست فيه جل جلاله بمختلفة ... ولو كانت فيه مختلفة لكان اثنين أو أكثر فى الذكر والعدد وإنما صفته سبحانه هو"وقال الهادي الى الحق يحيى بن الحسين فى كتاب المسترشد، "وليس قولنا صفتان قديمتين ان مع الله سبحانه صفة يوصف بها، ولا نقول ان صفة وموصوفاً، ولا ان ثم شيئاً سوى الله عند ذوى العقول مجهولاً ولا معروفاً"(١).

ولكن مذهب الأئمة مطعون فيه من جانب بعض الصفاتية بعدة أسئلة هي :

السؤال الأول: هو سؤالهم عن النظر فى إثبات الصانع هل يحصل به العلم انه تعالى قادر وقادر؟ فما الفائدة فى تكرار النظر ثانياً وثالثاً؟ ونحو ذلك مما يوهمون به انه لابد لله سبحانه من صفات زائدة على ذاته مختلفة بحسب اختلاف الأدلة المنظور فيها.

ويرد الإمام حميدان على هذا السؤال بقوله : إن النظر فى الأدلة الدالة على كون البارئ سبحانه صانعاً وقادراً وعالماً لا يدل على ان الصانع غير القادر ولا على أن القادر غير العالم ولا على أن لله سبحانه قدرة غير ذاته ولا علماً غير قدرته لما فى ذلك من لزوم التشبيه وإبطال التوحيد، ولان تزايد الأنظار وتفاضل علوم النظار لا يدل على تزايد المنظور فى إثباته ولا على وجوب إثبات صفة زائدة على ذاته لان الموجب لتزايد الأنظار هو عجز كل ناظر عن الجمع بين كل نظرين فى دليلين مختلفين فى حالة واحدة، ولذلك فان الناظر فى الدليل على كون البارئ سبحانه قادراً لا يحصل به العلم بذلك النظر انه سبحانه قادراً فيما لم يزل ولا انه قادر لا بقدرة، ولم يدل نظره فى ذلك على إثبات أمور زائدة على ذات البارئ سبحانه ، وإذا ثبت بالدليل ان الله سبحانه قادراً لا بقدرة وعالم لا بعلم فالسؤال عما يوهم إثبات القدرة والعلم او ما يجرى مجراهما مغلطة تحير المسؤول عنه في جوابه لأجل انه لا يجد جواباً معقولاً سالماً من الشُبه.

السؤال الثاني : وهو قولهم هل أفاد قولنا قادر نفس ما أفاد قولنا عالم؟. أم أفاد كل واحد من الوصفين نفس ما أفاده الثاني ؟ فما تلك الفائدة؟ وسؤال من يسأل : لم سمى القادر قادراً؟

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٧.

والإجابة عن ذلك وما أشبهه هو ان يقال لو كان لوصف البارئ سبحانه بأنه قـادر ووصفه بأنه عالم معنى وفائدة وموجباً أو مزية زائدة على ذاته سبحانه لكان ذلك لمعـنى أو لفائدة أو لموجب أو لمزية لا يخلو من ان يكون شيئاً معقولاً أو غير معقول ولا واسـطة. فان كان شيئاً معقولاً فإثباته يكون إثباتا لأشياء مفارقة لذات البارئ وذلك تشبيه مخـالف لمعنى توحيده سبحانه إذ لا معنى له إلا نفى المقارنة والمشاركة والعلل الموجبـة والأحكـام الموجبة لكون طل ذلك موجباً للتحديد ودلاً على الحدث. وان كان غير شيء معقـول فالسؤال عنه مغلطة، والتفكير فيه محظور والخوض فيه غلو وتعمق والخائض فيه خارج عن حد العقل وغير خارج عن حد التشبيه ... وكل سؤال لا يتضمن ما يجاب عنه إلا بمـا يؤدى الى الخروج عن حد العقل وحد التوحيد فهو من جملة مسائل المحال التي لا يصـح الجواب عنها ولا يجوز الخوض فيها ... وكذلك لا يجوز أن يجاب من سأل عن الفرق بـين صفات البارئ سبحانه وذاته لأنه لا فرق إلا بين شيئين أو أشياء والله سبحانه شيء واحد.

السؤال الثالث : وهو سؤالهم عن الفرق بين الوصف والصفة وهل يصح الوصـف بغير صفة ؟ والإجابة على ذلك ان الوصف على الجملة هو قول الواصف، وكل قول شيء والبارئ سبحانه مستحق للوصف فى حال عدم الوصف والواصف، ولا يجوز أن يكـون موصوفاً فيما لم يزل لما فى ذلك من إيهامهم قدم الواصف[١]. والحق أن أجوبة الإمام حميدان هذه مجرد أجوبة جدلية حيث يمكن معارضتها بأدلة أخرى تبطلها وكل ما كان شأنه كذلك فهو مجرد جدل لا علاقة له باليقين البتة وذلك كأن نقول : لو لم تفد كل صفة من الصفات فائدة غير ما تفيده الأخرى لكانت لها كلها فائدة واحدة بمعنى ان ما يفيده العلم هو نفس ما تفيده القدرة والإرادة ، والإرادة فى الله سبحانه : إما إرادة إيجاد أو إرادة إعدام فلو أراد الله العالم مثلاً لعلمه وقدر عليه وأراده إرادة إيجاد وإعدام فى وقت واحد وهذا باطل بدلائل الواقع المشاهد ، ثم إنا نجد الإمام حميدان فى فصل الفعل الإنساني يفرق بين العلـم والإرادة عندما يذهب ان علم الله بعصيان العبد لا يستلزم ان الله سبحانه أراد ذلك .

ثم إن الإمام حميدان فى نقضه للمعتزلة إنما وجه النقض الى آراء هي فى الحقيقة شاذة إذا قيست بالاتجاه الأعم فى المعتزلة والذي كان يوحد -كما قلنا من قبل- بين الـذات

---

(١) الإمام حميدان: تذكرة تشتمل على أربع مسائل ، لوحة ١٢٠-١٢١.

والصفات ذلك الاتجاه الذي اتبعه معظم أئمة الزيدية بما فيهم الإمام الهادي الى الحق يحي بن الحسين مؤسس المذهب الزيدي فى اليمن(١).

رابعاً : أنواع الصفات :

يرى الإمام حميدان أن الصفات تنقسم الى أربعة اضرب : ضرب منها يجب نفيه عن البارئ لفظاً ومعنى وثلاثة يجوز إضافتها إليه سبحانه مجازاً لا بمعنى الإضافة الموهمة للتشبيه . أما الضرب الأول : الذي يجب نفيه عن البارئ سبحانه لفظاً ومعنى فهو كل صفة معلومة مقارنة لذات الموصوف بها نحو قدرة المخلوق وعلمه وحياته التي لأجلها وصف بأنه قادر وعالم وحي ، وصح الوصف ، والصفة بخلاف البارئ سبحانه لأنه موصوف لا بصفة . ولذلك قال أمير المؤمنين : "فمن وصفه فقد شبهه ومن لم يصفه فقد نفاه وصفته انه سميع ولا صفة لسمعه".

وأما الصفات التي يجوز إضافتها الى البارئ سبحانه لا بمعنى الإضافة الموهمة للتشبيه. فهي ثلاثة إضراب : الضرب الأول : هو كل صفه أريد بها الوصف وسميت صفة مجازاً وذلك نحو تسمية الموحدين كون البارئ سبحانه قادراً وعالماً وحياً وموجوداً وواحداً وقديماً صفات ذاتية, ولذلك قال أمير المؤمنين "باينهم بصفته ربا كما باينوه بحدوثهم خلقاً". والضرب الثاني : هو كل صفة أريد بها النفي ، وذلك مثل وصفه بأنه لا مثل له من خلقه . والضرب الثالث : هو كل صفة تذكر والمراد بها الذات لا الصفة مثاله قسم من يقسم بقدرة الله سبحانه أو بعلمه وغرضه القسم بالقادر سبحانه لا بقدرة له غير ذاته وذلك لأنه من المعلوم سمعاً أن القسم الذي يتعلق به البر والحنث لا يصح إلا بشيء معلوم وأنه لا يصح القسم بغير الله سبحانه ، وقد ثبت بالأدلة العقلية انه لا يجوز إثبات قدرة وعلم لله سبحانه يصح القسم بهما دونه ولذلك قال الأئمة عليهم السلام صفات الله الذاتية هي هو لا بمعنى أن له صفات ذاتية هي هو(٢).

---

(١) الإمام الهادي الى الحق : كتاب الديانة مخطوط مصور.بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم (٢٢١٨)، لوحة ١٣٦

(٢) الإمام حميدان: تذكرة تشتمل على أربع مسائل ، لوحة ١٢١.

وهذه الاضرب الأربعة لا تخرج عن كونها نوعين : الأول : ما يجب لله سبحانه من صفات هي عين الذات . الثاني : ما ينفى عن الله سبحانه من صفات. وسنقف الآن مع هذين النوعين لنوضحهما بالتفصيل.

النوع الأول : ما ينبغي أن يضاف الى الله من صفات:

يشتمل هذا النوع على ثلاثة عشر صفة، ذكر منها اثني عشر في موضع وهي : شيء، وموجود، وواحد، وقديم ، وحي، وقادر، وعالم، وسميع، وبصير، وعدل، ومتكلم، ومريد[١]. ثم ذكر صفة الإدراك فى موضع آخر[٢] سنتحدث عن هذه الصفات جميعاً هنا باستثناء صفة الإرادة التي سنرجئ الحديث عنها إلى فصل الفعل الإنساني.

١ - في كونه شيء[٣] :

زعمت المعتزلة أن معبودهم لاشيء ولا لاشيء[٤]، وزعمت المشبهة أن البارئ مماثل للأشياء المحدثة لأجل كونه شيئاً، والمعتزلة - أيضا - تزعم انه سبحانه مشارك لها فى التشبيه ومخالف لها بصفات زائدة خاصة . وأما مذهب أئمة العترة فانهم يقولون : إن الله سبحانه شيء لا كالأشياء وما كان بخلاق الأشياء كلها لم يجز وصفه بأنه مماثل لها ولا مشارك ولا يجوز أن تكون المشاركة فى لفظ الاسم موجبة للماثلة إلا إذا كان كلا المشتركين فيه متماثلين فى ضرب من ضروب والكيفيات ، والكيفية لا تكون إلا للمحدث ، ومن هاهنا نعلم أن كل اسم يشترك فيه الخالق والمخلوق عام وليس باسم جنس لاستحالة وصف البارئ سبحانه بالجنس والنوع.

ومما استدلوا به على أن البارئ سبحانه شيء : من العقل: هو انه قد ثبت انه سبحانه محدث للعالم وانه لا واسطة بين شيء ولاشيء ، وإذا لم يكن محدث العالم وجب أن

---

(١) الإمام حميدان بن حميدان: تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين ، لوحة ٢٩ يمين.

(٢) الإمام حميدان بن حميدان: التصريح بالمنصب الصحيح، لوحة ٨٨ يمين

(٣) الشيء عند الإمام حميدان وأسلافه من أئمة الزيدية وأهل السنة هو الموجود،وعند المعتزلة هو المعلوم، ولذلك كان المعدوم شيئاً عندهم وسيأتي بيان ذلك عند عرض مذهب الإمام حميدان فى الوجود.

(٤) كيف هذا والاتجاه العام عند المعتزلة يكاد يقترب من القول بأن الله شيء لا كالأشياء [القاضي عبد الجبار : المنية والأمل ، ص١٤-١٥.

يكون شيئاً. ومن السمع : قوله سبحانه : "قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم" [الأنعام/١١] وقوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" [القصص/ من الآية ٨٨] فدل باستثناه لنفسه من جملة الأشياء على انه سبحانه شيء ، وكذلك قوله "ام خلقوا من غير شيء" [الطور/ من الآية٣٥] واستدلوا على انه لا كالأشياء بقول "ليس كمثله شيء" [الشورى /من ١١] [١]. فليس شيء سوى الله سبحانه يجوز وصفه بأنه لا كالأشياء [٢] ولذلك وجب على كل مكلف وصف الله سبحانه بأنه شيء لا كالأشياء وانه ليس كمثله شيء[٣] فهذا عندنا من أصول التوحيد[٤] وفي هذا يقول القاسم الرسي في كتاب المسترشد : "فإن سأل من الجهمية سائل فقال: هل الله شيء قيل له: نعم الله شيء لا يشبه الأشياء ، الأشياء مشيأة وهو سبحانه شيء لا مشيأ بل هو مشيء الأشياء لا يشبه ما شاء". وقال الهادي الى الحق في كتاب المسترشد "ان ربنا جل وتقدس ألهنا شيء لا كالأشياء سبحانه وتعالى وتبارك لا شبيه له ولا يدانيه شيء ، ولم يزل سبحانه قبل كل شيء وهو المشيء لكل الأشياء"[٥]

ولم يكن أئمة الزيدية هم أول من أطلق صفة الشيئية على الله سبحانه بل لقد سبقهم الى ذلك الإمام أبو حنيفة النعمان (ت:١٥٠هـ) معتمداً فى ذلك على ما سيعتمد عليه أئمة العترة فيما بعد وهو قول الله سبحانه "قل أي شيء اكبر شهادة قل الله" [الأنعام /من الآية١٩]، ولكن يعود فيتزهه بقوله وهو لا كالأشياء مستنداً على الآية "ليس كمثله شيء" [الشورى/من الآية ١١] بمعنى انه لاشيء تدركه الأفهام أو العقول[٦] . لكن الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني يرى -ومن منطلق هذه الآية أيضا- إن الله سبحانه وتعالى لم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسماً من أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وانه

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٩
(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٧ شمال.
(٣) المصدر السابق، لوحة ٥٢ شمال.
(٤) المصدر السابق، لوحة ٩٨ يمين.
(٥) المصدر السابق، لوحة ٨٥.
(٦) د. على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، جـ١، ص ٢٦٠

اكبر الأشياء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم[١]. لكن أبو المعالي الجويـــني إمــام الحرمـــين (ت ٤٧٨هــ) يرفض وصف الله سبحانه بأنه شيء ، لأن الله سبحانه وتعالى هو موجد كـــل شيء ، والشيء يكون بعد أن كان عدماً، فالله إذن ليـــس بشـــيء[٢]. والحـــق أن هـــذا الاختلاف هو مجرد خلاف شكلي أو لفظي وليس خلافاً حقيقيـــاً لان كـــلا الاتجاهين متفقان على وجود الله سبحانه.

٢- صفة الوجود :

زعم بعض المعتزلة أن وجود البارئ سبحانه وتعالى أمر زائد على ذاته ليس لا شيء ولا لاشيء، قالو : وكذلك وجود المحدث، ولم يفرقوا بينه سبحانه وبين المحـــدث إلا بـــان لوجود المحدث أولا فأما كونه بزعمهم ذاتا ثابتة أو ذواتاً فيما يزل فلا فرق . وأما مذهـــب العترة هو انه سبحانه موجود لا فى مكان ولا بعد عدم ولا بمشاهدة وانه لا يجوز إثبـــات وجود للموجود غير ذاته، ولا يجوز على الجملة إثبات أمر ليس بشيء ولا لاشـــيء لا في الشاهد ولا في الغائب لكون ذلك مستحيلاً وغـــير مفـــروض ولا معقـــول[٣]. ويمكـــن الاستدلال على وجود الله سبحانه بالأدلة الآتية :

١- **الدليل الكوني** : وفحوى هذا الدليل – كما يرى الإمام حميدان – انه إنما يســـتدل على وجود الله بخلقه وهذا الدليل رباني لان الله سبحانه قد دل على وجوده بخلقـــه[٤] فأنواع المتولدات من الحيوان والنبات وما فيه من حسن التدبير والتركيب العجيـــب ليدل دلالة بينه على صانع مختار[٥]. ولهذا كان هذا الدليل هو طريق كـــل الرســـل والأنبياء نحو قول نوح عليه السلام: "مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطوارا"

---

(١) الإمام عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكنانى: كتاب الحيدة في الرد على بشر بن غياث المريسي ببغداد ، الطبعة الأولى [دار المطبعة السلفية] القاهرة ١٣٩٩هــ ، ص١٦.

(٢) د. محمد جلال شرف:الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي،دار النهضة العربية بـــيروت١٩٨٠، ص١٨

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٩.

(٤) الإمام حميدان :المسائل الباحثة ، لوحة ١٤٧ شمال

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ١٧ شمال.

[نوح/١٣-١٤] أي مره بعد مره وخلق بعد خلق، وقول نوح عليه السلام: "واتقوا الذي أمركم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيـــون" [الشـــعراء/ ١٣٢-١٣٤] أي خافوا الله. وقول صالح عليه السلام : "واذكروا إذ جعلكم خلفاء مـــن بعد عاد وبوَّأكم فى الأرض" [الأعراف/ من الآية ٧٤] أي تذكروا ان الله ســبحانه خلقكم وجعلكم خلفاء لعاد فأسكنكم مساكنهم فلا تعصوْه فيفعل بكم مثل ما فعــل بهم ، وقول شعيب عليه السلام: "واتقوا الله الذي خلقكـــم والجبلـــة الأولـــين" [الشعراء/ ١٨٤] وقول: إبراهيم عليه السلام:"أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم ومـــا تعملون" [الصافات/ ٩٥-٩٦] ... فهذا وما أشبهه هو الذي إذا تفكر فيه الموحـــد ازداد يقيناً[١].

ويرى ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) أن هذا الدليل الذي أطلق عليه دليل "الاخـــتراع" الى جانب دليل "العناية" هما أصدق الأدلة على وجود الله لأنهما وحدهما الطرق التي جاءت بها الشريعة[٢]

٢- **دليل احتياج الحادث الى محدث** : كل محدث محتاج الى محـــدث لاســـتحالة ان يكون احدث نفسه او حدث لا عن محدث[٣]. ومثال ذلك ما يعلم ضرورة من كون كل صناعة فى الشاهد كالبناء والكتابة محتاجة الى صانع لأجل كونها محدثة ، ولهـــذا وجب بطريقة القياس العقلي ان يكون العالم محتاجاً الى صانع لكونه محدثاً[٤]. ولهـــذا فقد ثبت عند جميع المسلمين ان جميع فروع العالم أجسام متضخمة لأعراض ضروريـــة وان جميعها محدث ، وان كل محدث لابد له من محـــدث ، وان محـــدث الأجســـام والأعراض الضرورية هو الله سبحانه[٥].

---

(١) المرجع السابق، لوحة ٣٥ شمال.

(٢) فلسفة ابن رشد: كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، المكتبة المحمودية التجارية القـــاهرة د.ت،ص٤٥.

(٣) الإمام حميدان : تعريف التطريف ، لوحة ١٤٩ شمال

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٣يمين.

(٥) الإمام حميدان: تعريف التطريف ، لوحة ١٤٩شمال

٣- **دليل المعجزات** :فالله سبحانه وتعالى قد جعل المعجزات دالة على معرفته وحجة لإثباته نحو قوله سبحانه للنار"كوني بردا وسلاماً على إبراهيم" [الأنبياء/ ٦٩] ونحو ما جعل الله فى عصى موسى صلى الله عليه من الآيات ونحو خلقه عيسى صلى الله عليه من غير أب ، وإنطاقه له فى المهد، وما جعل على يديه من إحياء الموتى وإبراء ، الأكمه والأبرص ، وما أشبه ذلك مما عجز عنه كل متزندق[١]

لكن نأخذ على هذا الدليل انه ليس دليلا عاماً مثل الدليلين السابقين اذ لا يلزم الإيمان بهذا الدليل إلا أتباع النبي والمصدقين برسالتهن بمعنى انه ليس بحجة إلا على أولئك الذين رأوا النبي أما الذين لم يعاصروه فالمؤمنون به يؤمنون بصدق هذه المعجزات ضمن إيمانهم به ، وأما غيرهم فلا طريق الى إلزامهم بهذه المعجزات ولذلك كان القرآن الكريم بصدق هو أعظم المعجزات لأنه المعجزة الدائمة الخالدة والدليل القائم الى يوم الدين . والحق أن كثيراً من المفكرين القدماء استطاعوا إدراك وجود الله غير انهم أدركوا على نحو مشوش ومنقوص ، فإله انكساجوراس(العقل Nous) -كما يرى أرسطو - لا يعدوا أكثر من كونه نظاماً ميكانيكيا يحكم كل شيء"[٢]. وتصوره طاليس على أنه قوة تحل فى الكون كله ، بل وفى كل جزء منه[٣].

٣- صفة الوحدة :

يقول الرازي : "الوحدة الانفراد تقول : رأيته وحده[٤] ويقول القاضي عبد الجبار:"التوحيد في اصل اللغة عبارة عما يصير به الشيء واحد[٥] ويقول الجويني: "التوحيد لفظه مشتركة فقد يراد بها فصل شيء من شيء وأفراده عنه بعد انضمامه إليه ... وقد يراد

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٥-٣٦.

(2) Aristotle: Metaphysics, translated by Ross, vol VII, the charemdon press Oxford. 1960, 983a30-989a5.

(3) K Freeman, Companion to the pre Socratic philosophers Oxford 1966.p.5

(٤) الرازي: مختار الصحاح ، ص ٧١١.

(٥) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، طبعة مصر الاولى، تحقيق د.عبد الكريم عثمان، القاهرة ١٩٦٥ ص١٢٨.

بالتوحيد الإتيان بالفعل الواحد على التفريد، وقد يريدون بهذا الإخبار عن التوحيد قولاً مع عدم الاطلاع على اعتقاد القائل"[١] ويقول السهرستانى : "الواحد هو الشـيء الـذي لا يصح انقسامه إذ لا يقبل الشركة بوجه فالبارئ تعالى واحد فى ذاته لا قسم له، وواحـد فى صفاته لا شبيه له وواحد فى أفعاله لا شريك له"[٢]

أما مفهوم التوحيد عند مفكرنا فيعنى ان الله سبحانه شيء واحد[٣] وليس شـيء – كما يرى الأئمة – يقال أنه واحد فى الحقيقة غير الله تعالى[٤] ووحدانيتـه سـبحانه هـي وحدانية ملك[٥] لا وحدانية بمعنى العدد[٦] لأن كل معدود فليس بواحد[٧]. ولذلك يرفض علة الفلاسفة –كما عبر عنها أفلوطين فى نظريته فى الفيض – حيث يزعم أصحاب هـذه النظرية ان العلة الأولى التي يصدر عنها العقل الأول من العقول العشرة هي العلة الأزليـة التي وصفوها بأنها علة العلل وأنها واحدة لا كثرة فيها، وانه لا يصدر عنـها إلا معلـول واحد، وان صور جميع الأشياء كامنة فيها بالقوة قبل وجودها بالانفعال[٨] قالوا: ومثل هذه العلة فى واحدا نيتها كمثل واحد العدد الذي يضاف الى ما بعده ولا يضـاف الى شـيء قبله[٩].

وهذه نظرية باطلة واهية لان اكثر عباراتها مناقصة في اللفظ والمعنى ، ومن أمثلـة هذا التناقض وصف أصحاب هذه النظرية لعلتهم هذه بأنها واحدة لا كثرة فيها ونقضـهم لذلك بقولهم إن صور جميع الأشياء كامنة فيها وكل مكمون فيه فالكامن بعضه أو في بعضه

---

(١) الجوينى: "الشامل فى أصول الدين" تحقيق د. على سامي النشار، د. فيصل بدر عون، د. سهير مختار، منشأة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٦٩م ، ص ٣٥٦.

(٢) الشهرستانى: نهاية الإقدام فى علم الكلام، نشر الفرد جيوم د.ت ، ص٩٠.

(٣) الإمام حميدان: تذكرة تشمل على أربع مسائل فى الصفات ، لوحة ١٢٠ شمال.

(٤) الإمام حميدان: المنتزع الثاني ، لوحة ١٢٧ شمال.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٩شمال

(٦) المصدر السابق لوحة ٢٢ شمال.

(٧) الإمام حميدان: التصريح الصحيح لوحة ١٠١ يمين.

(٨)الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ١٧-١٨.

(٩) المصدر السابق ، لوحة ٢٩ شمال

وكل ماله بعض فليس بواحد على الحقيقة ولا بأزلي[١]. ثم أن واحد العدد يشبه سائر الآحاد ويتجزأ فى نفسه وكل متجزئ أو مشابه لغيره فليس بواحد على الحقيقة لأنه يكثر بإضافة غيره إليه ويقل في جنب ما هو اكثر منه[٢]. لهذا يرفض الإمام حميدان هذا المفهوم السيئ للتوحيد ويرى أن المفهوم الحقيقي للتوحيد هو المفهوم الإسلامي كما بينه أئمة الزيدية الذين يرون أن وحدانية الله سبحانه وحدانية ملك لا بمعنى العدد[٣].

وقد استدل الأئمة – كما يرى الإمام حميدان – على وحدانية الله سبحانه بعدة أمور هي :

١– إن الذي دلهم على إثباته ما شاهدوا من اثر صنعه ، وكذلك ما وصف نفسه به فى كتابه ، ولم يجدوا في شيء من ذلك ألا ما يدلهم على صانع واحد فعلموا انه لو كان له ثان لدل على نفسه فلما لم يوجد ذلك كانت الدعوى له بغير مدع ولا موكل وكل دعوى كذلك فهي باطلة .

٢– انه لو كان له ثان لم يخل : إما أن يكونا مجتمعين أو مفترقين والاجتماع والافتراق مما يدل على الحدث .

٣– انه لو كان له ثاني لم يخل : إما أن يتفقا ويصطلحا وإما أن يختلفا ويتعارضا والاتفاق يدل على العجز والحاجة وكل عاجز محتاج فليس بإله، وان تعارضا لم يمتنع من طريق التقدير أن يريد أحدهما فعل شيء ويريد الآخر منعه فان تكافأت قدرتهما دل على عجزهما وان نفذ مراد أحدهما دل على عجز الثاني ، ولا يصح أن يقال بنفاذ مراد كليهما لما فى ذلك من تجويز كون المراد موجوداً معدوماً في حالة واحدة ، وقد أيد الله سبحانه هذا التقدير بقوله "لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا" [الأنبياء/ من الأية٢٢][٤].

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ١٧–١٨.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٢٩ شمال.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق لوحة ٣٠.

وبهذا يقدم الإمام حميدان مفهوماً للتوحيد مستنبط من فهمه للإسلام (قرآن وسنه) ومخالف في الوقت نفسه للتصور اليوناني – المشوش – ذلك التصور الذي كان أساسه الإنسان الفرد ومن ثم فقد تصور كل منهم ألهه على هواه.فتصور الشعراء وعلى رأسهم هيروس وهزيود آلهة كثيرة ووصفوها بالنقائص[١] وقال أفلاطون باله واحد ولكنه أشرك معه المثل في الأزلية والخلود[٢] وكذلك اضطراب أرسطو في نظرته للإله فبعد أن قال بمحرك أول لا يتحرك[٣] عاد ونظر الى الآلهة على ألها هي نفسها العالم والكون[٤].

٤- صفة القدم :

القدم ثلاثة أقسام : ذاتي وزماني وإضافي . والقدم الواجب لله هو القدم الذاتي وهو عدم افتتاح الوجود وان شئت قلت هو عدم الأولية للوجود. وإما القدم في حقنا فالمراد به الزماني وهو طول المدة وضُبط بسنة حتى إذا قال : كل من كان من عبيدي قديماً فهو حر عتق من له عنده سنه وهنا مستحيل في حقه تعالى وكذلك القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للابن[٥] وللفرق بين القديم والأزلي ثلاثة أقوال : الأول أن القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده، والأزلي مالا أول له عدمياً او وجوديا فكل قديم أزلي ولا عكس ،الثاني : أن القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده ، والأزلي مالا أول له عدمياً أو وجودياً قائماً بنفسه أو بغيره ... الثالث أن كلا منهما مالا أول له عدمياً أو وجودياً قائماً بنفسه أولا ، وعلى هذا فهما مترادفان[٦]

---

(1) W Jaeger, the theology of Early Greek philosophers Oxford 1968, P.4.

(٢) انظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٧٢-٧٦، ٨١.

(٣) انظر : المرجع السابق ص ١٧٩. وأيضاً

Collingwood (R.G): the idea of Notuare, New-York, university press; Oxford 1960,P.87.

(4) Anton - Hermon chroust: Aristotle New light on his life and on some of his lobs works vol.- II, observation on some of Aristotles lost works. University of Notre Dome press, library of congress cotlolging in pub location 10.175.

(٥) الشيخ إبراهيم البيجوري : شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد، طبعة الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية القاهرة، سنة ١٩٩٢، ص٦٧.

(٦) المرجع السابق ص٦٨.

وقد التزم المعتزلة القول الأول ففرقوا بين القديم والأزلي فشاركوا بذلك بين الله سبحانه وبين ذوات العالم في الأزلية دون القدم وفى الثبوت في الأزل دون الوجود.

أما مذهب العترة عليهم السلام فهو انه قد يجوز وصف المخلوق بالقدم لأجل تقادم وقت وجوده على وقت وجود غيره قال الله سبحانه : "كالعرجون القديم" [يس/ من الآية ٣٩] قالوا: ولا يجوز أن يوصف بأنه أزلي إلا الله سبحانه ، إذ لو جاز أن يوصف به اكثر من واحد للزم بالاضطرار تقدير الاجتماع أو الافتراق أو التماثل أو التضاد والاختلاف وكل ذلك من صفات الحدث الذي هو نقيض الأزل ، قالوا: وإذا كان الوصف بالأزل خاصاً لله سبحانه بطل قول المعتزلة بالمشاركة فيه ، ومما يدل على ذلك دليل العكس الذي يحصل به العلم اليقين لكل عاقل غير مكابر وهو كون كل شيء لا يخلو من أن يكون قديماً أو محدثاً ، قالوا: ومن المعلوم ضرورة أنه لا يجوز أن يتوسط بين هذين الوصفين النقيضين إلا أحد محالين : إما أن يجتمعا معا وإما نقيضهما معا ، قالوا: وقد ثبت بالدليل أن محدث العالم لا يجوز أن يكون محدثا لما في ذلك من تجويز حاجة كل محدث إلى محدث إلى مالا نهاية له وهو محال بيّن ، وإذا بطل أن يكون محدثاً وجب باضطرار أن يكون قديماً لعدم الواسطة.

قالوا : وهذا الدليل هو الذي يستدلون به على ما أشبه هذه المسألة من جميع مسائل التوحيد قالوا: ولا سبيل لأحد تجويز التفكر فى كيفية قدم البارئ سبحانه لأنه قدم لا بوقت فلذلك لم يجز التفكر فيما قبل القبل لأنه لا قبل لأول وقت خلقه الله سبحانه وكذلك لا يجوز التفكر فيما بعد البعد وما فوق الفوق الذي لا فوق له وما تحت التحت وما أشبه ذلك مما لا سبيل إليه إلا التخرص والتوهم والتجويز لبعد حد العقل واثبات مالا يعقل[١].

والحق -كما يرى الباحث – في جانب الإمام حميدان، وذلك أن التفريق بين القديم والأزلي هو مجرد سفسطة وتلاعب بالألفاظ ، وذلك لأن أي موجود لا يسبقه زمن فليس لوجوده أول سواء أطلقنا عليه لفظ الأزل أو القدم.

وبهذا يفارق الإمام حميدان – أيضاً – أفلاطون[٢] وأرسطو اللذان قالا بقدم مادة العالم (الهيولى)[١].

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٠.

(٢) د. فيصل بدير عون: فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ، ص٧٨.

٥،٦،٧- صفات الحياة والقدرة والعلم:

للمعتزلة فى هذه الصفات أقوال منها ما وافقوا فيه أقوال المشبهة وهـــو إجماعـــهم معهم على الجملة على أنه لابد من موجب أوجب كون البارئ سبحانه حياً وقادراً وعالمـاً ومنها ما وافقوا فيه قول أئمة العترة وهو إجماعهم معهم على الجملة على أن البارئ سبحانه حي لا بحياة وقادر لا بقدرة وعالم لا بعلم، ومنها ما اختصوا بإبداعه نحـــو قولهـــم: إن الله سبحانه صفة زائدة على ذاته وإن تلك الصفة موجبة ومقتضية لكونه حياً وقادراً وعالمـــاً وقولهم إن تلك الأخص ومقتضياها أمور ثابتة فيما لم يزل.

وأما مذهب أئمة العترة فهو أنه سبحانه مستحق للوصف بكونه حياً قادرً عالمـــاً لا لأمر، وأنه لا يجوز أن يكون لله صفات متوسطة بين ذاته ووصفه ، وأنه كما لا يجـــوز أن يوصف سبحانه بان ذاته وصفاها أشياء قديمة فكذلك لا يجوز أن توصف بأها أمور ثابتـــة فيما لم يزل لعدم الفرق بين الأشياء والأمور وبين القدم والأزل وكما لا يجوز أن يكـــون قادراً لأجل قدره أوجبت كونه قادراً فكذلك لا يجوز أن يكون قادراً لأجل أمر اقتضـــى كونه قادراً لعدم الفرق بين موجب اسمه علة وموجب اسمه مقتضى[٢]. مما سبق يتضح :

١- أن المذهب الحق عند الإمام حميدان هو مذهب أئمة العترة في أن الله عالم بذاته قـــادراً بذاته حي بذاته .

٢- أن مذهب المعتزلة مذهب فاسد لأهم بعد أن وافقوا أئمة العترة في كون الله عالم بذاته قادراً بذاته حي بذاته أفسدوا مذهبهم بقولهم : إن الله سبحانه لا يجوز أن يكون حيـــاً أو عالماً أو قادراً إلا لأجل أمر زائد على الذات اقتضى كونه حي أو عـــالم أو قـــادر فأوجبوا بذلك التعليل الذي من صفات المخلوقين على الله سبحانه لعدم الفرق بـــين المقتضى والعلة .

---

(١) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٤٥.

وانظر أيضاً Freemen, Companion to the pre. Socratic philosophers, oxford. 1959. p.181

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٠-٣١.

ولقد سلكت المعتزلة طريقة القياس فى إثباتها لصفة القدرة والعلم فقالوا في مسألة قادر: أنهم وجدوا فى الشاهد ذاتين أحدهما يصح منه الفعل دون الثاني فعلموا أن ما صح منه الفعل مفارق لمن لم يصح منه الفعل بأمر زائد على الذاتية التي اشتركا فيها وذلك الأمر هو كون ما صح منه الفعل قادراً وقد قدموا القول بأن لله سبحانه مشارك لذوات فى الذاتية وبينوا ن الفعل قد صح منه فوجب بزعمهم أن يكون كونه قادراً أمراً زائداً على ذاته كما ثبت مثله فى الشاهد.

وموضع الغلط فى هذا القياس فى تقديمهم المشاركة التي قد تبين بطلانها وفى تسميتهم لقولهم فى حقيقة الذات انه ما يصح العلم بها على انفرادها ، فان أرادوا بتسميتهم للإنسان ذات أن ذلك مجازا فمشاركتهم بين الحقيقة و مجاز مغالطة، وإذا كان فى مقدمة القياس غلط فهي مقدمة كاذبة. وكل مقدمة كاذبة فانه يجب أن تكون نتجيتها كاذبة ثم انهم وجدوا فى الشاهد قادرين أحدهما يصح منه إيجاد الفعل محكما دون الثاني فعلموا انه مفارق له بأمر زائد على انه كونهما قادرين وذلك لأمر هو كونه عالما وقد مر القول بأن البارئ سبحانه مشارك للقادرين فى مطلق الوصف بينهما فى كونه قادراً وبينوا أن أفعاله سبحانه محكمة فوجب بزعمهم أن يكون كونه عالماً أمرا زائد على كونه قادراً كما ثبت مثله فى الشاهد . وموضع الغلط هنا يكمن فى مشاركتهم بين القادر لا بقدرة والقادر بقدرة ، وبين الحقيقة والمجاز، وبين من له كيفية ومن لا كيفية له وكل مشارك فيما هذا حاله فهذا مشاركة فى اللفظ لا فى المعنى وكل مشاركة فى اللفظ دون المعنى فإنها لا تكون إلا فيما ليس باسم جنس وما لم يكن من أسماء الأجناس فإلحاقه بأسماء الأجناس من مقدمات القياس مغلطة بينة البطلان[١].

والحق أن نقد الإمام حميدان هنا ليعبر عن فهم عميق وموقف أصيل حقيقي لا جدلي فالمعتزلة أساءت عندما استخدمت القياس المنطقي في عالم الغيب فخلطت بذلك بين عالم الشهادة وعالم الغيب اللذين يتطلبان منهجين مختلفين -كما سبق ووضحنا- وإنما يصح القياس لو طبق على مثلين مخلوقين فلو أنا شاهدنا اثنين من البشر أحدهما أقوى من الآخر أو أعلم منه لعلمنا انه أقوى من الآخر وأعلم منه بأمر زائد على كونهما مخلوقين ولو كان

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٧

هناك إلهان قديمان كما زعم البعض وعلا أحدهما على الآخر بعد صراع بينـــهما طويـــل لعلمنا أن هذا الذي علا على الآخر إنما علا عليه بأمر زائد على كونه آلهاً. ثم إن اختصاص هذا الإله بهذا الأمر الزائد دون الآخر يقتضي وجود علة أعلى وأقوى منهما خصت هـــذا دون الآخر بهذا الأمر الزائد ، ومن ثم يبطل كونهما الهين، بينما انطبـــاق هـــذا الأمـــر في الشاهد لا يبطل كون المخلوقين مخلوقين ومن هنا يتضح انه وان صح استخدام القيـــاس فى عالم الشهادة فانه لا يصح فى عالم الغيب فضلا عن استخدامه والخلط به بين عالمين مختلفـــين كل الاختلاف من حيث الموضوع والمنهج وهما عالم الغيب وعالم الشهادة.

وإذا قد ثبت بطلان طريقة المعتزلة فى إثبات صفتي العلم والقدرة فما هي الطريقـــة الصواب ؟ والجواب كما يرى الإمام حميدان : أن الذي يدل على كون البارئ عالما هـــو وجود فعله محكماً، والعلم بالأحكام فرع على العلم بالإيجاد ، فلو لم يكن سبحانه عالماً فيما لم يزل بالإيجاد والإحكام لبطل كون الإحكام دليلاً على كونه سبحانه عالماً وللزم مع ذلـك أن يقف صحة كونه عالماً على وجود الإحكام، ويقف وجود الإحكام على كونه عالماً بـــه وذلك باطل[١]. وأما الذي يدل على كونه قادراً فهو كما قال ألائمه "دل على كونه بعظيم ما خلق وأبان قدرته بعجائب ما صنع"[٢]

ومن مساوئ المعتزلة أيضا انهم استدلوا – خطاء – بكون البارئ سبحانه عالماً فيمـا لم يزل على ثبوت ذوات العالم فيما لم يزل مع اتفاق الموحدين على القول بان ذوات العـــالم هي العالم المحدث الذي يشتمل وصفه القدم، واتفاق أكثرهم على انه لا يجوز أن يوصـــف بالثبوت فيما لم يزل إلا الله سبحانه وحده[٣]. ومن جهة أخرى يرفض الإمام حميدان توقف العلم على القدرة لان توقف العلم على القدرة يعنى عدم علم الله سبحانه للشـــيء قبـــل

---

(١) الإمام حميدان: – التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٢.
– المسائل الباحثة، لوحة ١٤٨يمين.
(٢) الإمام حميدان : المنتزع الثاني ، لوحة ١٢٥ شمال.
(٣) المصدر السابق ، لوحة ١٣١.

كينونته، وقد ثبت بالدليل انه سبحانه عالم بما كان وبما سيكون [١] ويعلم كما قال الهادي الى الحق ما يكون قبل كينونته كما يعلمه بعد بينونته[٢].

أما عن مشكلة علم الله سبحانه بالجزئيات فالإمام حميدان يقرر أن الله سبحانه عالم بكل شيء يصح العلم به من صفة وموصوف[٣] وهو بهذا ينحاز الى أهل السنة الذين اجمعوا على أن علم الله تعالى واحد يعلم به جميع المعلومات على تفصيلها من غير حسن ولا بديهة ولا استدلال عليه[٤]. وذلك عندما ربطوا العلم بالإرادة التي ترتبط بطبيعة الحال بالجزئيات[٥]. ويفارق الفلاسفة كأرسطو الذي تصور الله منعزلا في ذاته لم يخلق العالم ولا يعلمه ولا يعنى به. وكابن سينا الذي لا ينسب إليه العلم بالجزئيات إلا في كونها جزئية[٦].

٨،٩،١٠- السمع والبصر والإدراك[٧]

للمشبهة المجسمة في السمع والبصر مذهب منسوب الى التفريط في النظر بالعقل الصحيح، وهو وصفهم البارئ سبحانه بصفة المخلوق في الإدراك وغيره . وللمعتزلة فيه مذهب منسوب الى الإفراط والتعدي لحد العقل وهو وصفهم له سبحانه بأنه مدرك

---

(١) الإمام حميدان: التصريح الصحيح، لوحة ٦٠ شمال

(٢) الإمام حميدان : المنتزع الثاني ، لوحه ١٢٨ يمين . وانظر أيضا : الإمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين المسترشد (مخطوط) مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم ٣١٣، لوحة ١٠شمال.

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٠ يمين.

(٤)البغدادي: الفرق بين الفرق، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت سنة ١٩٧٣ ص٣٢٣.

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٥ ، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبدالفتاح محمد الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة د.ت ، ص ١٩٣.

(٦) د. عاطف العراقي : مذاهب فلاسفة المشرق، ط ٨، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨٤ ص٢٥٩.

(٧) اختلفت الأقوال حول صفة الإدراك فقيل بثبوتها وقيل بانتفائها وقيل بالوقف: واستدل القائلون بإثباتها ومنهم القاضي الباقلاني وأما الحرمين بأنها كمال وكل كمال واجب لله، لأنه لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو نقص والنقص عليه تعالى محال وافسد ذلك الشيخ إبراهيم البيجوري (ت ١٢٥٨هـ) لمنافاة العلم الواجب له تعالى لذلك الضد لان علمه تعالى محيط بمتعلقاتها فهو كاف عنها حيث لم يرد سمع، ولا دل عليها فعله تعالى كخلق العالم لأنه لا يتوقف عليها [البيجوري : شرح البيجوري على الجوهرة ص٨٩-٩١].

للمسموع والمبصر بدرك محدد زائد على كونه عالما قالوا: وهو أمر لاشيء ولا لاشيء[١].
وقد استدلوا على كونه سميعا بصيرا بقولهم : "إن كون البارئ سبحانه سميعا بصيرا لا يخلوا : إما أن يكون سامعا ومبصرا لذاته أو لغيره ، وباطل أن يكون لذاته لما فى ذلك من إيجاب قدم المسموع والمبصر فلم يبقى إلا أن يكون لغيره ، ثم يُجعل ذلك الغير – الذي أدى إليه الدليل بزعم المعتزلة– إما عرضاً موجوداً لا في محل وإما أمرا زائد على الذات لا شيء ولا لاشيء"[٢].

وأما مذهب العترة فقد سلكوا فيه مذهبا متوسطا وهو قولهم انه سبحانه مدرِك لكل مدرَك درك علم لا يعزب عنه منه شيء فيما لم يزل وفيما لا يزال ولا يجوز توهمه ولا قياسه ولا التفكر فيه ولا فرق عندهم بين المُحدد والمحدث فى كون كل واحد منهما كائن بعد العدم وفى الحاجة الى تكون كونهما ولا فرق بين التكوين والإيجاد والأحداث والتجدد فى المعنى[٣].

ويدلل الإمام حميدان على صحة مذهب العترة وفساد مذهب المعتزلة بالآتى :

١– من الأدلة على كون تحديد المعتزلة محالا : وصفهم له بأنه لاشيء ولا لاشيء مع انه لو جاز لهم تجويز ذلك في المسموع والُمبصر لجاز تجويز تجدد سائر الإدراكات التي لا يجوز إضافتها الى الله سبحانه نحو إدراك لذة المشتهيات[٤] والمعلومات لعدم المخصص لإدراك دون إدراك ومدرَك دون مدرَك[٥].

٢– إن قول المعتزلة لذاته أو لغيره فى جميع القِسم مغلطة لأنه لا أمر زائد على ذات البارئ سبحانه فيحتاج الى تعليله بذاته أو غيرها[٦].

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣١ يمن.
(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ١٠٠ يمن.
(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٣١ يمن.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٩ يمن.
(٦) المصدر السابق ، لوحة ١٠٠ يمن

٣- إن قول المعتزلة بالإدراك المحدِد لا يخلو : إما أن يكون معقولا أو غير معقول فان كان غير معقول لم يجز إثباته لتحريم الله سبحانه على المكلفين أن يقولوا عليه مالا يعلمون، وان كان معقولا فلا يخلو : إما أن يكون درك العلم أو درك الحواس ولا واسطة ممـا يعقل ، فإن كان درك العلم لم يجز وصفه بالتحديد وان كان درك الحواس لم يجز نسبته الى الله سبحانه.

٤- إن الإدراك المُحدَد لا يعقل إلا إذا كان بعد أن لم يكن فانه يجب أن يحتاج الى مُحـددِ حدده لاستحالة أن يكون حدّد نفسه أو أن يكون مُحدّد لا مُحدِد له كما يسـتحيل فى كل محدث بإجماعهم أن يحدث نفسه أو أن يحدث عن محدث، ولا فرق بين التحديد والحدوث فى المعنى إلا باصطلاحهم الخارج عن حد العقل.

٥- إن الله سبحانه لو كان مُدركا به - أي بالإدراك المحدد - درك محدد لم يخلو : إمـا أن يدرك به الذوات دون الصفات أو الصفات دون الذوات أو الذوات والصفات معا، فان زعموا انه يدرك الذوات فالذوات عندهم ثابتة فيما لم يزل ، وان زعمـوا انـه يدرك الصفات التي هي الوجود وتوابعه فالوجود عندهم لا يعلم بانفراده فضلا عـن ان يدرك ، وان زعموا انه يدرك الذوات والصفات معا فالصفات عندهـم ليسـت شيء ولا لاشيء فكيف يصح لهم وصفها بأنها مدركة مع الذوات .

٦- انه لو جاز أن يؤدى النظر الى إثبات إدراك له سبحانه محدد يدرك بـه المسـموعات والمُبصرَات لم يمتنع أن يؤدى ذلك النظر الى إثبات إدراك له سـبحانه يـدرك بـه المشتهيات والملموسات لعدم المُخصِص لإدراك دون إدراك ومدرك دون مدرك وكـل ذلك مستحيل لا يجوز إضافته الى الله سبحانه[1].

بهذا يتضح فساد مذهب المعتزلة ومحالاته التي لا ينجى من التحير فيها إلا التمسـك بمحكم الكتاب والسنة وأئمة الهدى عليهم السلام والاقتداء بقولهم فى ذلك وهـو أن الله سبحانه سامع لا بسمع ومبصر لا ببصر، ويتضح فى الوقت نفسه ان القِسـم الصحيحـة ليست هي قسم المعتزلة وإنما القِسم الصحيحة كما يرى الإمام حميدان أن يقال : "لا يخلو:

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٨-٨٩.

إما أن يكون سامع بسمع او لا يسمع كما انه سبحانه عالم لا يعلم وإنما التبس المحال بالصحيح على علماء العامة لأجل قطعهم على صحة أقوال شيوخهم فى القِسم والقياسات والحدود فلذلك قاسوا ما لم يعقلوه منها فى الصحة على ما عقلوه إيهاما بعقولهم وتحسباً للظن بأنظار شيوخهم من الفلاسفة المتعمقين[١].

وهكذا يتضح ان قياس الغائب على الشاهد هو القشة التي قسمت ظهر البعير ،حيث استغله الإمام حميدان احسن استغلال فراح يهدم به كل ما بناه المعتزلة عليه من أفكار وكل ما توصلوا به إليه من آراء.

١١- صفة العدل :

قال ابن منظور: "العدل ما قام فى النفوس انه مستقيم وهو ضد الجور، عدل الحاكم يعدل عدلا، وفى أسماء الله سبحانه العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم، وهو فى الأصل مصدر سمي به فوضع موضع ابلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلا"[٢]. وقال القاضي عبد الجبار: "أعلم أن العدل مصدر يعدل عدلا ... وقد يذكر ويراد به الفعل ويذكر ويراد به الفاعل فذلك على طريق المبالغة لأنه معدول به عما يجرى على الفاعلين ... أما حقيقته إذا استعمل في الفعل على ما قيل توفير حق الغير واستيفاء الحق منه[٣].

والعدل عند مفكرنا الإمام حميدان: مأخوذ من اعتدال الشىء، واعتدال الشيء هو استواؤه واستقامته، وهو من الأسماء الأضداد ، يقال عدل عن الحق إذا مال عنه ، ويقال عدل فى حكمه إذا حكم بالحق"[٤] وهو منزلة محمودة متوسطة بين طرفين مذمومين هما الإهمال والجور[٥].

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ١٠٠.

(٢) ابن منظور: "لسان العرب" طبعة مصورة عن طبعة بولاق. الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة د.ت جـ١٣ ص٤٦.

(٣) القاضي عبد الجبار "شرح الأصول الخمسة" ص١٣١-١٣٢

(٤)الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣١

(٥) المصدر السابق ، لوحة ٢٥ يمين.

والله سبحانه عدل لا يجور ولا يهمل ودليلنا على ذلك العقل والسمع ، أما العقـل فـلان الله سبحانه جبل العقول على معرفة الفرق بين الظلم والعدل في الشاهد، وأما السمع فلان الله سبحانه نفى الظلم عن نفسه وأضافه الى الظالمين من عباده، ومن المعلـوم ضرورة انه لا يعقل كون الظالم من المخلوقين ظالماً إلا إذا فعل الظلم ، وانه لا يعقل كـون العادل عادلا إلا إذا أنصف المظلوم من الظلم، ومن المعلوم عقلا وسمعاً أنـه لا يجـوز أن يضاف الى الله سبحانه فعل ما جبل القلوب على معرفة قبحه ونهى المكلفين عن فعله فلذلك تمدح سبحانه بنفيه عن نفسه[1].

والحق أن جميع فرق الإسلام تصف الله سبحانه بأنه عدل حكيم، لكن منهم مـن زعم انه سبحانه خالق لظلم الظالمين وجور الجائرين وهم المجبرة والقدرية فخرجوا بذلك من جملة القائلين بالعدل، ومنهم من سمى بعض أفعال الله جورا وظلما نحو ما يصيب النـاس في أموالهم وثمراتهم وهم الطبعية المطرفية ، وأما مذهب أئمة العترة ومن قال مثل قولهم فـهو القول بان الله سبحانه قد مكن المكلف بما جعل له وفيه من القدرة والعقل من فعل ما يختاره لنفسه من فعل بر أو فجور ابتلاء منه سبحانه له بذلك ولذلك سمى مكلفـاً أو متعبـدا ، والقول بان جميع ما يبتلى الله به عباده من النقائص والآفات والأمراض حكمة ومصلحـة وذلك ظاهر لا ينكره إلا من أنكر محكم الكتاب والمجمع عليه من سنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2].

ومن لوازم العدل صدق الله سبحانه في وعده ووعيده[3] وقد زعمت المرجئة أن الله سبحانه قد يخلف وعيده لأهل النار واحتجوا على ذلك من المتشابه بما لا حجة لهم فيه مثل قول الله سبحانه: "لابثين فيها أحقابا" [النبأ/٢٣] وقوله :" خالدين فيها" ثم استثنى بقولـه:

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٣٩ يمين.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٣٩ شمال.

(٣) الوعد هو كل خبر يتضمن إيصال نفع الى الغير، ودفع ضرر عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكـون حسناً مستحقا وبين أن يكون كذلك. والوعيد هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر الى الغير أو تفويـت نفع عنه في المستقبل ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحقا، وبين أن لا يكون كذلك. [القاضي عبـد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٤].

"إلا ما شاء الله" [الأنعام/ من الآية ١٢٨] وقوله: "جزاء سيئة بمثلها" [يونس/ من الآية ٢٧] والرد عليهم أن هذه الآيات وما أشبهها من جملة المتشابه والمجمل الذي نبه عليها الله سبحانه بالآيات التي أكدها بالتأكيد الذي لا انقطاع له، وتحكيم المحكم المبيَن على المتشابه المجمل واجب لا يجوز خلافه، مع انه لم يرد فى ذلك إلا ما حكاه الله سبحانه من قول الكفار "لن تمسنا النار إلا أياما معدودة" وتكذيبه سبحانه لهم بقوله: "قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاط به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" [البقرة/ ٨٠-٨١] ونحو قوله تعالى: "وقلوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون" [آل عمران/٢٤][1].

واحتجوا أيضا بقولهم ان العقلاء في الشاهد يستحسنون إخلاف الوعيد ويمدحون عليه. والرد عليهم ان ذلك لا يحسن إلا لأجل قرئن لا يجوز إضافتها الى الله سبحانه نحو العذر والندم من الظلم ... بدليل ان المتوعد لو كان أمام حق لما جاز له فى الشرع ولا حسن فى العقل ان يخلف وعده للظالم وان يترك إنصاف المظلوم منه مع القدرة عليه[2].

وكذلك يندرج تحت أصل العدل حكم مرتكب الكبيرة أو أصل المنزلة بين المنزلتين ، والمنزلة بين المنزلتين عبارة تستعمل فى شيء بين شيئين ينجذب الى كل واحد منهما ، وأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بان لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين ... وهذه المسألة تلقب بمسألة الأسماء والأحكام وقد أختلف الناس فيها فذهب الخوارج الى ان صاحب الكبيرة كافر وإنما يكون منافقا والى هذا ذهب عمرو بن عبيد[3]. وذهب واصل الى ان صاحب الكبيرة لا يكون مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً بل يكون فاسقا[4]. وتبعه فى ذلك – الى جانب اتباعه من المعتزلة – أئمة الزيدية كالإمام زيد[1]. والقاسم

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٩ شمال.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القاضي عبدا لجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٣٩ وانظر أيضا اللمع للأشعري ، تحقيق الأب يوسف مكارثي، ط الكاثوليكية بيروت ١٩٥٢، ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٣٨.

فى ذلك – الى جانب اتباعه من المعتزلة – أئمة الزيدية كالإمام زيد[١]. والقاسم الرسـي[٢] والإمام الهادي الى الحق يحي بن الحسين[٣]

ويسير الإمام حميدان فى نفس الطريق فيرى ان مرتكب الكبيرة ليـس بكـافر ولا منافق ولا مرتد وإنما فاسق وكافر كفر نعمه وفى ذلك يقول – فى معـرض حديثـه عـن الإسلام – : "وهو الذي كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو إليه كافة الثقلـين فمن أجابه الى الدخول فيه قولا وعملا واعتقاداً فهو المسلم على الحقيقة ، ومن لم يجبه اليه من البشر فهو الكافر المباح للمسلمين دمه وولده وماله، ومن أجابه إليه ظاهرا وهو مبطـن للكفر فهو المنافق وحكمه حكم المسلمين حتى ينكشف ستره، ومن رجع عن الإسلام بعـد الدخول فيه فهو مرتد وله أحكام تخصه ... ومن فعل شيئاً من كبائر المعاصي مع اعترافـه بصحة الإسلام وبكونه مخطئا فهو فاسق وعاص وكافر كفر نعمة[٤]. والإمام حميدان بهـذا يجمع بين رأى كل من الإمام زيد والقاسم الرسي والإمام الهادي الى الحق الذين يرون انـه فاسق وبين رأى الناصر للحق (الحسن الأطروش) الذي يرى أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمه[٥].

هذا من حيث الاسم ، أما من حيث الحكم فان مرتكب الكبيرة له في الدنيا أحكام مختلفة بحسب اختلاف معاصيه[٦]. وأما في الآخرة فحكمه أنه مخلد في النار[٧]. وقد أُلـزم أصحاب هذا المذهب بسؤال عمن مات عقيب بلوغه وقد عصى معصية واحدة هل يخلـد؟

---

(١) د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص٧٥

(٢) القاسم الرسي: كتاب العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد الحميد، رسائل العدل والتوحيـد جـ١ الطبعة الثانية تحقيق د. محمد عمارة دار الشروق، القاهرة ١٩٨٨ ص١٥٠،١٥١ وانظـر أيضا:د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص١٣٢.

(٣) الإمام يحيى بن الحسين: "المنزلة بين المنزلتين" مخطوط مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقـم ٣٢٧، لوحة٨٦ شمال.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧–٢٨.

(٥) د. أحمد محمود صبحي: الزيدية ص ١٩٤

(٦) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٨ يمين.

(٧) المصدر السابق، لوحة ٣٩ يمين.

أم لا ؟ فإن قالوا : يخلد ألزموا أن ذلك ظلم ... وان قالوا : لا يخلد ألزموا الخروج من المذهب.

ويجيب الإمام حميدان على هذا السؤال بعدة أمور : منها: أنا لم نتعبد بعلم الغيب وإنما تعبدنا بإجراء أحكام الشريعة فى الظاهر وترك الخوض بالأوهام فيما لا علم لنا به. ومنها: أنه لا يعتبر فى استحقاق الخلود فى النار بالمعصية إلا الإصرار عليها بحيث انه لو اخرج من النار لعاد لما نهى عنه. ومنها أن لله ألطافا خفيه ورحمة واسعة ومن الممكن أن يكون الله سبحانه الهم ذلك العاصي التوبة والندم قبل موته وعلمها من ضميره وختم بها له فيكون حكمه عند الله فى الباطن بخلاف حكمه عندنا فى الظاهر، ومنها: أنه يمكن أن يكون ممن يقبل الله سبحانه فيه الشفاعة وأشباه ذلك مما يدل على أنه سبحانه لا يدخل أحدا النار ويخلده فيها إلا بذنب فعله فى الدنيا ومات مصرا عليه بعد الأعذار والإنذار والتمكن من فعل الطاعة وترك المعصية[١].

والحق ان الإمام حميدان بإدخاله الشفاعة كعنصر من العناصر التي يمكن أن تُخرج العاصي من الخلود فى النار ليعد مفارقة واضحة منه لأسلافه من أئمة الزيدية كالإمام زيد[٢] والقاسم الرسي[٣] والهادي الى الحق[٤] الذين أنكروا الشفاعة وأصروا على خلود مرتكب الكبيرة فى النار[٥].

ولا ريب أن مذهب القائلين بخلود مرتكب الكبيرة فى النار من المعتزلة والزيدية فيه خلط واضح بين حكمين، وهما حكم الكافر وحكم مرتكب الكبيرة مع أن الله سبحانه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د.أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص٧٤

(٣) القاسم الرسى: العدل والتوحيد ونفى التشبيه عن الواحد الحميد، رسائل العدل والتوحيد، جـ ١ تحقيق د.محمد عمارة ، ص١٥٠،١٥١، وانظر أيضاً: د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص ١٣٢.

(٤) الإمام الهادي الى الحق يحي بن الحسين: المنزلة بين المنزلتين، لوحة ٨٦ شمال.

(٥) كان بشر بن المعتمر قد قال يمثل هذا الرأي فتعرض لنقض خصومه لأنه ساوى بين الكافر والمسلم فى عقاب واحد [الرسعنى (عاش فى القرن السابع الهجري) : مختصر الفرق بين الفرق، تحقيق فيليب حتى، ط مصر ١٩٢٤، ص١١١]

وتعالى قد ميز بينهما فقال: "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمـــن يشـــاء" [النساء/من الآية ٤٨].

١٢- صفة الكلام :

أ- حد الكلام :

الكلام عند المعتزلة ما حصل فيه نظام مخصوص من هذه الحروف المعقولة، حصل فى حرفين او حروف ، فما اختص بذلك وجب كونه كلاما وما فارقه لم يجب كونه كلاماً وان كان من جهة التعارف لا يوصف بذلك إلا إذا وقع ممن يفيد أو يصح أن يفيد، فلذلـــك لا يوصف منطق الطير كلاما، وان كان قد يكون حرفين أو حروفا منظومة[١]. ولكن ســـلف الأمة لا يشترطون في الكلام أن يقع كالمعتزلة إذا انهم يقرون بالكلام النفسي وفى ذلـــك يقول ابن قائد النجدي (ت ١٠٩٧ هـ): والكلام حقيقة الأصوات والحروف، وان سمـي به "المعنى النفسي" وهو نسبة بين مفردين قائمة بالمتكلم فمجاز"[٢]. وأما حد الكلام عنـد الأشاعرة فهو - كما يقول الجويني - القول القائم بالنفس، الذي تدل عليه العبارات، وما يصلح عليه من الإشارات[٣].

ويوافق الإمام حميدان المعتزلة على ذلك فيقول : "المعلوم الذي لا اختلاف فيه أنه لا يعقل كون الكلام كلاماً إلا إذا كان منتظماً من حرفين فصاعداً يصح النطق به وسماعـــه وكتابته"[٤].

ب- الكلام الإلهي :

يرى الإمام حميدان أن الله سبحانه متكلم بذاته كما انه عالم بذاته، ولم يختلف بأنـــه سبحانه متكلم لأجل قوله : "وكلم الله موسى تكليما" [النساء/مـــن الآيـــة ١٦٤] ولا

---

(١) القاضي عبد الجبار: "المغنى" جـ٧، تحقيق إبراهيم الابيارى ، ص٦.

(٢) ابن قائد النجدي: نجاة الخلف فى اعتقاد السلف: تحقيق أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة ، القـاهرة ١٩٨٥م، ص٩٥.

(٣) الجوينى: الإرشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد: تحقيق د. محمد يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد. مكتبة الخانجى، القاهرة سنة ١٩٥٠ ص١٠٤.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٢ يمين.

اختلف – ما عدا المشبهة الذين لا يعتد بخلافهم – فى أن الله سبحانه لا يجوز أن يتكلم بآلة كآلة المخلوق، ولا فى انه سبحانه لا يجوز عليه الكون فى الشجرة ولا في أن الشجرة تكلمت . وإنما وقع الاختلاف فى هذا القرآن المكتوب فى الصحف المتلو بالألسن المحفوظ فى القلوب هل هو كلام الله سبحانه أم غيره ؟

فذهب أئمة العترة ومن قال قولهم الى : إنه كلام الله سبحانه وانه أوجده كما أوجد غيره من مخلوقاته ، وانه لا فرق بينه وبين كلام المخلوقين إلا بكونه افصح وكونه معجزا، ومما يدل على ذلك قوله سبحانه: "وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله" [التوبة/من الاية٦] والكلام الذي يسمعه هو ما يتلى من هذا القرآن الحكيم[١].

والحق ان هذا ليس مذهب الأئمة جميعا نعم قد يكون هناك اتفاق فى كون القرآن من حيث هو ألفاظ وحروف وأصوات مخلوق ، لكن من حيث هو معنى قديم فهناك اختلاف فيه . فالقاسم الرسى يقرر ان القرآن كله مخلوق[٢]. متابعاً بذلك ان الهزيل العلاف الذي كان ينكر كلام الله[٣] والإمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين يرى ان معاني القرآن قديمة فيقول : "ومن الحجة فى ذلك ان يقال لمن قال أو ظن هذا القبيح من الظن اخبرنا عن الإسلام وأحكامه وما جعل الله تبارك وتعالى فيه من نوره وبرهانه وما اختاره فيه سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هل كان عند الله معلوما ومن قبل خلق الدنيا فى علمه مفهوما تبارك وتعالى لا يزل عنه منه صغير ولا يغيب عنه طول الدهر منه كبير؟ فلا يجد بد من ان يقول نعم قد كان دين الإسلام وما علمه الله من فرائض دين محمد عليه السلام شيئا[٤]. والإمام الهادي بذلك جعل معاني القرآن قديمة من حيث تعلقها بعلم الله ولو قال الإمام حميدان بخلق القرآن كله أو بخلق أصواته وحروفه دون معانيه لربما انسجم مذهبه فى الكلام الإلهي . ولكنه زعم أن الله متكلم لا بكلام.

---

(١) الإمام حميدان تنبيه الغافلين، لوحة ٣١.

(٢) القاسم الرسي: أصول العدل والتوحيد، رسائل العدل والتوحيد جـ١، ص ١٣٧.

(4) M. Strnan R. Walser, Oriental studies vol. 1. Richard Walser Greek into Arabic. Essay on Islamic philosophy. p. 83

(٤) الهادي الى الحق : تفسير معاني السنة، مخطوط مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم ٣٢٩عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء/ ٣٩علم كلام، لوحة ١٠٣-١٠٤.

وكان ينبغي بناء على مذهبه هذا ان يقر بالكلام النفسي الذي أقرت به الأشعرية من ناحية، وان يذهب من ناحية أخرى الى ان معاني القرآن قديمة وان الألفاظ والحروف ما هي إلا دلالة على هذه المعاني . ولكن كيف يعترف بهذا ويتبع فيه مذهباً أراد أن يهدمه ؟ ان هدم مذهباً من مذاهب الفرق المخالفة مع عدم انسجام مذهبه افضل ألف مرة من انسجام المذهب مع اتباع رأى واحد من آراء الفرق المخالفة، وهذه آفة معظم الفرق الإسلامية فى الكثير من آرائها أنها تعارض المذاهب الأخرى من اجل معارضتها فقط ولذلك جاءت الكثير من هذه المعارضات جدلية لا حقيقية.

أما مذهب الأشعرية فهو أن القرآن قديم وان الله سبحانه متكلم فيما لم يزل، واحتجوا على ذلك بأنه لو لم يكن متكلما لكان ساكناً او اخرس قالوا : وأما ما يسمعه الناس ويكتبونه فهو دليل عليه وليس هو هو واحتج بعضهم على ذلك بقول الشاعر:

إن الكلام في الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا[1]

وهذا الكلام يقرب الأشعرية من المعتزلة والزيدية من حيث الاتفاق على خلق الأصوات والحروف ولكن يبقى محل النزاع وهو نفى المعنى وإثباته فالأشعرية تقول بقدم

---

(١) إن القول بالكلام النفسي مذهب متأخري الأشعرية ولم يقل به الأشعري وإنما قال به المتأخرون كالشهرستانى الذي يرى مجتهداً أن الكلام فى رأى الأشعري إنما يطلق على المعنى القائم بالنفس الإنسانية وبذات المتكلم وهذا المعنى ليس بحروف ولا أصوات وإنما هو القول الذي يجده العاقل فى نفسه ويجيله فى خلده عن أمور رآها أو سمعها وربما يكون حديثا نفسيا بأمر أو نهى الى غير ذلك ، وليس من الضروري أن يتحول هذا الكلام النفسي الى كلام لفظي، وإطلاق اسم الكلام على هذا النوع الأخير أما بالمجاز وإما باشتراك اللفظ عنده. وعلى هذا القياس يكون لله تعالى كلام نفسي ليس بحرف ولا صوت وهو واحد لا يتغير بتغير الاعتبارات ولا يختلف باختلاف الألفاظ وهذا الكلام النفسي هو القديم الأزلي القائم بذات الله تعالى وهو الذي يطلق عليه اسم القرآن بطريق المجاز او الحقيقة المشتركة فهو حادث ومع ذلك فهو معجز لفصاحته وبلاغته ونظمه. فهذا كما قلنا هو اجتهاد الشهرستانى ولم يقل به أبو الحسن الأشعري لان أبا الحسن الأشعري يقرر ان القرآن كله غير مخلوق حيث يقول: "لا يجوز أن يقال أن شيئاً من القرآن مخلوق لان القرآن بكامله غير مخلوق"
[الشهرستانى: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص٣٢٠ وأيضاً الأشعري : الإبانة عن أصول الديانة ، الطبعة الثانية تحقيق د. فوقيه حسين محمود، دار الكتاب، القاهرة سنه ١٩٨٧ ص١٠١]

المعنى والمعتزلة ترفض ذلك(١) والإمام حميدان يتبع المعتزلة ويبطل مذهب الأشعرية فى قـدم القرآن بالآتي:

١- وصفهم له بأنه كلام ، وإذا كان كلاما فهو محدث لأنه لا يعقل كون الكلام كلاماً إلا إذا كان الكلام فعلا للمتكلم يتصرف تصرف الأفعال ولذلك قـال الله سـبحانه: "وكلم الله موسى تكليماً" [النساء/من الآية ١٦٤].

٢- قولهم انه سبحانه إذا لم يكن متكلماً فيما لم يزل لكان ساكتا أو اخرس إذ السـكوت والخرس من صفات آله الكلام وهم لا يقولون بأنه سبحانه متكلم بآلة فبطل إلزامهم.

٣- قولهم إن ما يسمع ويكتب دليل على القرآن وليس هو هو تكذيب لله سبحانه لذلـك بما حكى من سماع موسى لكلامه وكذلك قوله فى المشرك حتى يسـمع كـلام الله، وكذلك قوله: "إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى" [الأعلى/١٨-١٩] ونحو ذلك مما يدل على أن كلامه يسمع ويكتب(٢).

وبهذا يخالف الإمام حميدان ليس فقط الأشعرية وغيرهم عن أهل السنة ولكن أيضـا بعض أئمة الزيدية كالإمام الهادي الى الحق يحي بن الحسين الذي -كما سبق وبينا- يقـول بقدم المعنى وخلق الحروف والأصوات ، وينحاز الى المعتزلة التي تقول بخلق القرآن معـنى ولفظاً مع أن فى ذلك تناقض فى مذهبه لأنه زعم أن الله متكلم وأنكر الكلام.

وأما المطرفية فزعموا أن القرآن حكاية عن القرآن الذي زعموا انه صفة القلـب للملك الأعلى ، وقد علم أن هذا تكلف منهم لتفسير القرآن بما تقدم ذكره من حكايـة أقوال الفلاسفة بالعقل الأول ، وذلك العقل عند بعضهم هو الملك الأعلى وهو إسـرافيل ، ودنّسو نفوسهم ومذهبهم بادعائهم انهم زيدية ومسلمون ليستحوذوا بذلك على عقل مـن أضلوه من أغمار المقلدين وقولهم هذا وما أشبهه من تدليساتهم اختراص وتوهم ودعاوى لا دليل لهم على صحتها من عقل ولا سمع فيشكل على عاقل أو يحتاج الى جواب وذلك لأنهم

---

(١) يقول لقاضى عبد الجبار فى ذلك انه تعالى خلق القرآن بعد ان لم يكن [القاضي عبد الجبار : المغنى – خلق القرآن – جـ٧، ط مصر الأولى ص٨١].

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٣١ شمال

يعجزون عن صفة الملك الأعلى فضلا عن صفة قلبه، ومما يوضح ذلك الهم لا يتكلمون بـه ولا يعلّمونه إلا من قبله منهم، فأما من طلب منهم عليه الحجة او عرفوا انه قد عرف مـن أين أخذوه فألهم لا يسعون الكلام فيه معه ويوهمون اتباعهم أن مشايخهم أوصوهم بـان لا يتكلمون فى ذلك مع الجهال وكذلك جميع غلاة الباطنية والصوفية[١].

ونحن وان كنا نقرر مع الإمام حميدان فساد هذا المذهـب انطلاقـاً مـن أمانتـه وموضوعيته فى عرض أراء الخصوم كالمعتزلة والأشاعرة إلا أننا نقرر فى الوقت نفسـه أن مذهب المطرفية يكتنفه الغموض لأنه لم يعرض ما عرض منه إلا من خلال أقوال الخصـوم . والباحث إزاء هذه المشكلة – مشكلة كلام الله – التى احتارت فيها العقـول وتمزقـت بسببها الأمة[٢] يؤمن بان القرآن الكريم كلام الله المنزل ويترك أمر قدمه وحدوثـه لله رب العالمين لأنه تعبدنا باقامة وتطبيق أوامره وتجنب نواهيه ولم يتعبدنا ويختبر إيماننـا بكـون القرآن قديم أو محدث، ولذلك أقول مع الإمام احمد ابن حنبل: :أنه كـلام الله لا أزيـد عليها"[٣].

النوع الثاني : "ما ينبغي أن ينفى عن الله من صفات" :

١- نفى الجسمية:

كل ما سوى الله ليس إلا جسم أو صفة جسم[٤] ولـو كـان جسـم لا شـبه الأجسام[١]ولجـاز أن يقال جسم لا كالاجسام، ولو قيل لا شبه المخلوقات وفى ذلـك

---

(١) المصدر السابق لوحة ٣٢ يمين

(٢) كان من مظاهر هذا التمزق أن معتزلة بغداد كفروا كل من امتنع عن القول بخلق القرآن [القـاضي عبد الجبار: المحيط بالتكليف ط مصر ١٩٦٥ ص٣٣١] وفى مقابل ذلك وجد فريق يكفر كل مـن قال بخلق القرآن] [النسفى: كشف الأسرار مخطوط، دار الكتب المصرية رقم ٧٩٩/ أصـول فقـه لوحة ٦] وانظر فى ذلك أيضا ابن الأثير : الكامل جـ٦ دار صادر ، بيروت ، لبنان صـ ٤٢٣] وأيضاً ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، تحقيق د. إبراهيم على طرحان جـ٢، المؤسسـة المصريـة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لقاهرة د.ت، ص٢٠٣.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبى جـ٢ ، ط ليدن سنة ، ١٨٨٣ ص٥٧١. وأيضاً أبو الفـداء: المختصـر فى تاريخ البشر ط مصر ١٣٢٥هـ ، ص٣٠-٣١.

(٤) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٩ شمال

يقول الهادي الى الحق فى كتاب التوحيد "إن قال قائل إذا زعمتم انه شيء لا كالأشـــياء فلما أنكرتم ان يكون جسما لا كالأجسام وإذا قلتم انه شيء لا يشبهه شيء موجـــود ولا موهوم قلنا: الفرق بينهما أن قول القائل شيء إثبات وليس يذهب الذاهب فيه الى جســـم دون عرض ولا الى عرض دون جسم ولا إنسان دون ملك ولا الى ملك دون انسان، فلما أن كان ذلك كذلك لم يجب له تشبيه ، وقولنا جسم وصف خاص جنس دون جنـــس لا يجوز أن يشترك فيه غيره من الأشياء[٢]. ومن ثم فانه لا يجوز ان يقال ان الله سبحانه جسم لا كالأجسام ولو قيل لجاز ان يقال محدث لا كالمحدثات[٣] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ومن لوازم نفى الجسم نفى الصورة لان الصورة لا يعقل كونها صورة إلا إذا كانت لمصور صورها[٤]. لذلك فان الله سبحانه لا صورة له[٥] وكذلك من لوزم نفى الجســم – أيضاً– نفى الوجه والنفس فلا يقول أحد يعقل بان له وجها كوجـه الإنســان او نفســا كأنفس ذوى الأبدان هذا مالا يقوله أحد من ذوى الألباب[٦].

٢– نفى الجهة والمكان :

إن نفى الجهة والمكان مترتب على نفى الجسمية فالله سبحانه لا يشغل الجهـــة لان شغل الجهة لا يعقل إلا إذا كانت الجهة محيطة بجوانب ما شغلها وكل ما أحـــاطت الجهـــة بجوانبه وجب أن يكون له ستة حدود وهى الإمام والخلف واليمين والشـــمال والفـــوق التحت[٧]. ولذلك كانت معرفة الله انه لا إحاطة به[٨] ولكن الله سبحانه اثبـــت لنفســـه كرسيا وعرشا مما يشير الى الجهة والمكان ، فى ذلك يرى الإمام حميدان أن ذلك مختلف فيـه

---

(١) الإمام حميدان: المنتزع الثاني ، لوحة ١٣١ يمين.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٠ شمال– المنتزع الثاني، لوحة ١٢٩ شمال.

(٣) الإمام حميدان: المسائل الباحثة، لوحة ١٤٧ شمال.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٢٢ يمين.

(٥) المصدر السابق ، لوحة ٢٠ شمال.

(٦) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٧ شمال.

(٧) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٤ شمال.

(٨) الإمام حميدان: المسائل الباحثة ، لوحة ١٤٧ شمال.

بين رواة الأخبار، فمن رواة الأخبار من قال العرش والكرسي غير السموات والأرض ، موضعا من اشرف العالم وأعلاه عظّم الله أمره وسماه عرشا له كما عظم أمر مواضع فى الأرض وسماها بيوتا له، ومنهم من قال ويمكن ان يكون الكرسي ضرب مثلا لإحاطة علم الله سبحانه بكل شيء ولا فرق بين قوله انه "استوى على العرش"[١] وقوله انه: "فى السماء اله وفى الأرض اله" [الزخرف/ من الآية٨٤] وقوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" [المجادلة/ من الآية٧] فى أن ذلك وما أشبهه مُتَاول على غير ما يفيده ظاهره لأنه سبحانه لا يجوز أن يوصف بالحاجة الى المكان[٢]

وهذا صحيح فى جانب الله سبحانه وان اختلف فى جانب الإنسان ، ولذلك عبر أهل السنة عن هذه المسألة خير تعبير وقدموا لها افضل الحلول عندما بينوا –فى معرض حديثهم عن إثبات الرؤيا– إن ذلك لا يعنى إثبات المكان لله تعالى وإنما يعنى "إنكم ترونه فى جهاتكم كلها وهو يتعالى عن جهة"[٣] فنفوا بذلك المكان والجهة عن الله سبحانه وتعالى، وعجز عن إثبات ذلك المعتزلة وبعض أئمة الزيدية –بما فيهم الإمام حميدان – فزعموا أن الله فى كل مكان[٤]. فلزمهم انه فى بطن مريم وفى الحشوش[٥] والأخلية[٦] وهذا خلاف الدين[٧]. ولقد قادهم الى ذلك وجرّهم عليه توحيدهم بين الذات والصفات الذي أسقطهم فى مزلقين خطيرين كلاهما مرفوض.

أما المزلق الأول : فهو القول بالحلول وذلك قولهم انه فى كل مكان، فاثبتوا بذلك احتواء المخلوق (المكان) للخالق (الله) وهذا يشبه كثيرا مذهب النصارى فى عيسى عليه

---

(١) قال تعالى في معنى هذا "الرحمن على العرش استوى" [طه/٥]

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٦ شمال.

(٣) البيهقى: الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، السلام العالمية للطبع والنشر ، د.ت ، ص ٦١.

(٤) ابن تيميه: "الإيمان" دار عمر بن الخطاب الإسكندرية ، د.ت، ص٢٩٣.

(٥) الحُشوش: مفردها "الحُش" بضم الحاء وفتحها البُستان وهو أيضا المَخرج لأنهم كانوا يقضون حوائجهم فى البساتين. [الرازي: مختار الصحاح ، ص ١٣٧].

(٦) الأخلية: مفردها خلاء والخلاء المكان الذي لاشيء به [المرجع السابق ، ص١٨٨].

(٧) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ، ص١٠٩.

السلام. ومع ذلك لم يتحقق لهم ما أرادوا من نفى الجهة والمكان ، بل أثبتوا الجهة وأثبتوا المكان عندما زعموا أن الله فى كل جهة وفى كل مكان . والمنزلق الثاني : هو القول بوحدة الوجود ذلك ألهم لما وحدوا بين الذات والصفات، كصفة العلم مثلا لزمهم ذلك أن إحاطة علم الله سبحانه للأشياء إحاطة ذات[١].

والحق الذي لا ريب فيه ان الإمام حميدان وأسلافه من أئمة الزيدية وشيوخ المعتزلة لم يقصدوا أبدا القول بوحدة الوجود او الحلول وإنما انقادوا إليه انقيادا وذلك عندما أرادوا ان يفرقوا بين الخالق والمخلوق فى الصفات فذهبوا الى ان صفات الله هى عين الذات على خلاف المخلوق الذي صفاته غير ذاته فكان لا بد لهم لكي يثبتوا إحاطة علم الله بشيء أن يؤكدوا فى الوقت ذاته ان هذه الإحاطة إنما هي إحاطة ذات، فوقعوا بذلك فى وحدة الوجود.

والله سبحانه وتعالى قد نفي عن نفسه بالمكان ولكن ليس بطريقة الإمام حميدان والمعتزلة، وإنما بطريقة ربانية اثبت بها لنفسه العلو عن المكان فقال سبحانه : "اامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض" [الملك/من الآية١٦]، وثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للجارية: أين الله ؟ قالت فى السماء. قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله. قال اعتقها فإلها مؤمنة[٢]. والـ "فى" المذكورة فى الآية والحديث وكل ما شاباههما ليست بمعنى "ظرف المكان" وإنما بمعنى "الاستعلاء"[٣].

٣- نفى الرؤية :

والجسم والصورة والنفس والوجه والمكان والجهة من شروط رؤية الشيء ، أما وقد انتفت هذه الصفات عن الله فيلزم عن نفيها حتماً عدم رؤية الله سبحانه في الدنيا والآخرة ، والدليل على ذلك من المحكم قول الله سبحانه: "لا تدركه الأبصار" [الأنعام/

---

(١) انظر للباحث: "الإمام يحي بن الحسين وآراؤه الكلامية والفلسفية" رسالة ماجستير كلية آداب الزقازيق ص٧١.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم: مساجد ٣٣، وأبو داود صلاه: ١٦٧، إيمان:١٦.

(٣) انظر في معاني "فى" : السيوطى: الإتقان في علوم القرآن ، جـ٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الثالثة، دار التراث، القاهرة سنة ١٩٨٥، ص٢١١.

من الآية ١٠٣] وذلك لأنه لا خلاف في أن درك الأبصار هو رؤية العيون وانه لا يعقـــل جملة على غير ذلك.

وإما قول الله سبحانه: "وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة" [القيامـــة/٢٢-٢٣] فذلك من المتشابه وذلك لان لفظ النظر مشترك بين النظر الذي هو بمعنى "النظر" والنظـــر الذي هو بمعنى "الانتظار" فلذلك لم يفهم معناه إلا بعد تأويله(١). ولا شك ان الإمام حميدان هنا إنما يتبع منهج المعتزلة(٢) الذين تصدوا للأشعرية التي جوزت رؤية الله فى الآخـــرة(٣). وقد دل الدليل على أن الله سبحانه لم يرى لأن الله سبحانه قد نفاه فى جوابه لموسى عليـــه السلام حين قال "ربي أرني انظر إليك قال لن تراني" [الأعراف/ من الآية ١٤٣] فدل بنفيه للرؤية على أن النظر الذي أراد موسى عليه السلام هو نظر الرؤية، وعلى انه ســـبحانه لا يُرى ، وعلى أن المحكم هو قول الله سبحانه: "لا تدركه الأبصار"(٤).

ولكن المثبتين للرؤية من أهل السنة والجماعة لهم فى ذلك أدلة قوية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

الأول : قال الله عز وجل: "وجوه يومئذ ناضرة" يعنى مشرقة "الى ربها ناظرة" يعـنى رائية، وليس يخلو النظر من وجوه، أما ان يكون الله عز وجل عنى به نظر الاعتبار كقولـه: "أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت" [الغاشية/١٧] أو يكون عنى به نظر الانتظار كقوله:

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٥ شمال.

(٢) تأويل المعتزلة البغداديون الآية التي خاطب موسى ربه فيها "رب أرني انظر إليك" بمعنى أن موسى كان يريد القول: "أعلمني ذاتك مع بقاء التكليف" [النيسابورى المعتزلي: ديوان الأصول، ط مصـــر الأولى سنة١٩٦٩، ص ٦١٠] وقد عارض البصريون التأويل البغدادي لهذه الآية ورفضوه باعتباره يتـــيح للمخالفين ثغرة ينفذون منها الى مهاجمة الفكر المعتزلي القائم على نفى الرؤية تماماً حتى ولو على سبيل العلم كما يرى البغداديون [د.عبد الستار عز الدين الراوي:ثورة العقل ، ص٢٥٦] وفى ذلك يقـول القاضي عبد الجبار قالوا: "فإننا لا نراه الآن ولو افترضنا رؤيته لوجب أن نعلمه لان من حق ما نـــراه أن نعلمه على ما هو به ، ولما كنا نفتقد العلم الضروري به تعين انه ليس بمرئي لنا الآن" [القاضي عبد الجبار: المغنى- الرؤية جـ٤، ط مصر الأولى سنة ١٩٦٥، ص ٩٩]

(٣) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد، ط حجازي مصر د - ث ، ص٣٠.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٢٥ شمال.

"ما ينظرون إلا صيحة واحدة" [يس/ من الآية ٤٩] أو يكون عى نظر التعطف والرحمـــة كقوله "ولا ينظر إليهم" [آل عمران/من الآية٧٧] أو يكون عى الرؤية كقوله "ينظـــرون إليك نظر المغشى عليه من الموت" [محمد/ من الآية ٢٠] ولا يجوز أن يكون الله ســـبحانه عنى بقوله "الى ربها ناظرة" نظر التفكر والاعتبار لان الآخرة ليست بدار استدلال واعتبـــار وإنما هي دار اضطرار، ولا يجوز أن يكون نظر الانتظار، لأنه ليس في شيء من أمر الجنـــة انتظار لان الانتظار معه تنغيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ... ولان النظر إذا ذكر مع الوجوه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه ... ولا يجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التعطف والرحمة، لان الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، فـــإذا فســـدت هـــذه الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله : "الى ربها ناظرة" أنها رائية ترى الله عز وجل، ولا يجوز أن يكون معناه : الى ثواب ربها ناظره لان ثواب الله غير الله[١].

الثاني : رواية الجماعات المختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انـــه قـــال: "ترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته"[٢] والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلـــث برؤية العيان ، لن يكن معناها إلا رؤية العيان[٣]. ومعنى لا تضامون أي لا تظلمـــون فيـــه برؤية بعضكم دون بعض ، وإنكم ترونه في جهاتك كلها وهو يتعالى عن جهة ... والتشبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشبيه المرئي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[٤].

تعقيـــــــب :

لقد وقع الإمام حميدان فيما يتعلق بالصفات فى عدة أخطاء – شانه في ذلك شـــأن الكثير من الفرق الإسلامية الأخرى – فعلى الرغم من انه قد حـــدد منهجـــه في تنـــاول

---

(١) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص٣٥-٣٧. وأيضاً : البيهقى: الاعتقاد على مذهب الســـلف، ص٥٥ -٥٦.

(٢) أخرجه البخاري : لفظ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر" مواقيت١٦، آذان ١٣٩، أبـــو داود سنة ٧٤١٩، الترمذى جنة ١٦، ابن حنبل٣،١٦،١٧،٢٦،٢٧.

(٣) الأشعري : "الإبانة عن أصول الديانة"، ص٤٩.

(٤) البهيقى : "الاعتقاد"، ص٦١.

الصفات فقال نثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه من صفات. ولكن هنا المنهج لا يستقيم الا بعد الإجابة على سؤالين :

الأول : ما الذي نثبته لله سبحانه من صفات ؟ الثاني : ما علاقة هذه الصفات بذات البارئ ؟

والسؤال الأول أجاب عنه القرآن الكريم والتزمت به معظم الفرق الإسلامية وخاصة الأشعرية والزيدية والمعتزلة ، فاثبتوا لله ما أثبته لنفسه من علم وقدرة وسمع وبصر وحياه .. الخ . ولكن اختلاف الفرق وانحرافها عن جادة الطريق إنما جاء عند الإجابة على السؤال الثاني وهو علاقة الذات بالصفات. فنفت المعتزلة – وتابعهم في ذلك متكلمي الزيدية – الصفات أو وحدت بينها وبين الذات، ثم قال المتأخرون بصفات زائدة على الذات.وذهب ابن كُلاب[١] –وتابعه الأشعرية[٢]– إن الصفات ليست هي الذات ولا غيرها[٣]. وكل منهم في ذلك إنما يظن خطأ – صوابه وخطأ الآخرين .

بينما الجميع عندنا مخطئون ذلك لانا نعتقد أن خير إجابة على العلاقة بين الذات والصفات هي أن نقول: **إن لله سبحانه صفات لا نعلم أهي الذات أم غيرها، ولا نقول كما قالت المعتزلة والزيدية أن الصفات هي الذات لان هذا خوض فيما لا علم لهم به، ولا نقول –أيضا – كما قالت الكُلابية والأشعرية أن الصفات ليست هي الذات ولا غيرها، لأن هذا أيضاً خوض وتقرير لا تفويض ، من اجل هذا نكرر قولنا: "إن لله صفات لا نعلم أهي الذات أم غيرها"، ونعول فى ذلك على ما قاله الله – الذي هو اعلم بنفسه – وقاله رسوله الذي هو أعلم خلقه به[٤]– فنثبت لله ما أثبته لنفسه[١] من صفات دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ... ولا تشبيه ولا تعطيل[٢]**.

---

(١) هو عبد الله بن سعيد بن كلاب (المتوفى بعد عام ٢٤٠هـ) كان إمام هل السنة فى عصره واليه مرجعها [د.على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ١، ص ٢٦٥]

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٢.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية ، جـ٢ ، ص ٣٠٠.

(٤) د. محمود خليل هجرس: العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام بن تيميه : ط رابعه، من مطبوعات الجامعة الإسلامية دار الاعتصام بالمدينة المنورة عام

هذا الى جانب :

إن مفهوم الإمام حميدان لأصلي العدل والتوحيد كما هو الحال عند أئمة ومفكري الزيدية وشيوخ المعتزلة – مفهوماً خاطئ لأنه قائم على تصورات ذهنية وتأويلات عقلية وكان الأولى للإمام حميدان وهو يتحدث عن صفتين من صفات الله أن يقيم تصوره على النص المنزل لا على التصورات البشرية العقلية لان الله سبحانه اعلم بذاته منا[٣] ولهذا وجدنا الإمام حميدان يقع فى الكثير من الأخطاء وسوء الفهم للكثير من القضايا المختلفة بذات الله وصفاته وأفعاله. فيرى أن من لوازم التوحيد نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة ونفى الصفات التي أثبتها الله لنفسه وكذلك القول بخلق القرآن .. الخ .

كما أن مفهوم العدل عنده أيضا مفهوم خاطئ لأنه مادي بالدرجة الأولى بمعنى أن العدل عنده يشبه كفتى الميزان المتوازنات، وهذا النوع من العدل لا يتضمن به الله سبحانه بل لا يصدق إلا على بائع الطماطم فقط لان بائع الطماطم يزن مادة عادة لان ذلك يحقق له المكسب المادي أما الله سبحانه فمنزه عن ذلك إذ لا فائدة ولا شيء ولا مكسب ولا ربح ولا حاجة له مت وراء ذلك ثم أن في هنا المفهوم من العدل تعطيل الصفات الأخرى كالرحمة والمغفرة والحب والمودة الى جانب إنكار ألطاف[٤] الله وشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم . إن مفهوم العدل كما بينه الكتاب والسنة لا يوجد مستقل عن الصفات الأخرى

---

(١) د. عبد الله عزام العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ، مكتبة الأقصى ط ثالثة ١٩٨٠م.

*- التحريف: تحريف الكلام عن مواضعه تغييره[الرازي: مختصر الصحاح، ص١٣١].

- التشبيه: أي تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق كتشبيه النصارى المسيح بن مريم بالله [د. محمد نعيم يس: الإيمان – أركانه – حقيقته – نواقضه ، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة، د.ت، ص١٨ .

- التعطيل: مأخوذ من العطل وهو الخلو والفراغ والترك [د. محمد خليل هراس: شرح العقيدة، ص١٦]

(٢) محمد بن على الشوكاني : التحف في مذاهب السلف ، دار الهجرة بيروت ١٩٨٨م، ص١٦.

(٣) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٩٦ شمال.

(٤) اللطف. عون إلهي بانيه اله للإنسان على سبيل المنحة [يوسف كرم: المعجم الفلسفي، ط مصر الاولى ١٩٦٦ ص١٤٣]

بل مصاحباً لها ، ولقد برز هذا المفهوم في قول الله سبحانه : "إن الله لا يغفر أن يشرك بـــه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" [النساء/ من الآية٤٨ ١] ومرتكب الكبيرة ليس بمشرك وله في ظل هذه الآية مدخل للمغفرة ، ولكن التزام الإمام حميدان – شأن أسلافه من الزيديـــة والمعتزلة – بنسق ذهني معين وإهماله للنص المنزل أراد أن يغلق ما فتحه الله سبحانه مـــــن أبواب مغفرته ورحمته لعباده.



الفصل السادس
[العــالــم]

تمهيــــــــــد.

أولاً : العالم.

ثانياً : مفهوم الشيء .

ثالثاً : مفهوم الجسم .

رابعاً : مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ .

خامساً : مفهوم العرض .

سادساً : حدوث العالم .

أ- إثبات حدوث العالم على مذهب أئمة العترة .

ب- نقض مذاهب القائلين بالقِدم .

سابعاً : كيفية فناء ذوات العالم .



تمهيـــــــــد :

لم تأت البحوث الطبيعية لدى الإمام حميدان متميزة عن أبحاثه في مجال الإلهيات بـل إنها جاءت لتأكيد نظريته حول المشكلات الإلهية التي بحثها ، كمشكلة الصفات ، ومشكلة الرؤية ، ومشكلة الكلام ، وإثبات أولية الله سبحانه أو قدمه بإثبات حدوث العالم . وهـذا ما أكده الإمام حميدان حين حدد الغرض من أبحاثه الطبيعية وهو الاستدلال على الصانع بما يشاهد من اثر صنعه[1] فالبحث في العالم يدل حتما على أن له صانعا حيا قادرا عالما مريـداً مختاراً لا مثل له ولا شريك في خلق جميع أصول العالم وفروعه وأجسامه وأعراضه[2]. مـن أجل هذا خاض الإمام حميدان في الأبحاث الطبيعية ، وناقش المشاكل المتعلقـة بالعـالم في عصره ، كمشكلة صلة الله بالعالم ، وهل يعلم الله جزئيات العالم في حال تبدلها وتغيرهـا ؟ وانتهى من ذلك إلى أن علم الله ليس له نهاية ولا يعزب عنه سبحانه مثقال ذرة. كما ناقش مشكلة القدرة وهل لها حدود ؟ وانتهى إلى أن قدرة الله سبحانه مطلقة ليس لها حدود .

ويواصل الإمام حميدان في بحوثه الطبيعية مفارقاته للمعتزلة حيث يرفـض نظريـة الجوهر الفرد مبينا بطلان هذه النظرية ومؤكداً أن العالم ما هو إلا أجسام أو أعراضا حالـة في تلك الأجسام. كما يواصل الإمام حميدان في هذه الأبحاث هجومه على الفكر الـوارد الدخيل المتمثل في الفكر الفلسفي وخاصة نظرية الهيولى والصورة مؤكدا أصالته الإسـلامية تلك الأصالة التي تتأكد وتتضح أكثر في استخدامه للمصطلحات الإسلامية حيث لم نجـد لديه من هذه المصطلحات الدخيلة سوى لفظ "العرض" بينما يرفـض لفـظ "الجوهـر" ويستخدم بدلا منه لفظ "الجسم" وهو مصطلح إسلامي أصيل. أضف إلى هذه المصطلحات الإسلامية الأصيلة التي استخدمها الإمام حميدان مصطلح :"الشيء".ثم تصل هذه الأصالـة إلى قمتها عندما تناول مشكلة خلق العالم، وقد دفع الإمام حميدان إلى تناول هذه المشـكلة عاملان رئيسيان هما :

---

(١)الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٠ يمين.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٣٣ شمال.

١-الثقافة الوافدة على العالم الإسلامي والتي كانت تمثلها وبقوة الفلسفة اليونانية التي قدم أصحابها نسقاً فلسفياً خاصاً في تفسير الوجود يقوم على القول بقدم العالم.

٢- الانحرافات الفكرية التي أصابت بعض الفرق الإسلامية وخاصة المعتزلة التي انزلقت إلى القول بقدم العالم حين زعمت ثبوت ذوات العالم فيما لم يزل، وأيضاً عندما قالت بضرورة تعلق القدرة بالمقدور حتى يمكن إيجاده أو إحداثه، فأثبتت بذلك قدم المقدور لقدم القدرة .

من أجل هذا اندفع الإمام حميدان -كمفكر مسلم ينطلق من عقيدة راسخة هي أن الله خلق العالم من العدم المحض- لكي يواجه هذا الفكر الدخيل والمنحرف والذي يتناقض مع أصول العقيدة الصحيحة فهاجم الفلاسفة وخاصة نظرية الفيض كما هاجم المعتزلة مؤكداً بالأدلة العقلية والسمعية حدوث العالم من العدم، ومؤكدا بطلان القول بقدم العالم .

وسوف نعرض لأهم هذه الآراء من خلال عرض الإمام للموضوعات الآتية :

أولا : العالم .　　　ثانياً : مفهوم الشيء.

ثالثاً : مفهوم الجسم.　　　رابعاً : مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ.

خامساً : مفهوم العرض.　　　سادساً: حدوث العالم.

سابعاً : فناء ذوات العالم.

أولاً : العالم :

ينقسم الكلام في العالم إلى ذكر الخلاف في ماهيته ، وفى أصله وفى أنواعه وفى حدوثه ، وفى المؤثر فيه[1]. أما الكلام في حدوثه فسيأتي عند الكلام عن حدوث العالم ، وأما الكلام في المؤثر فيه فسيأتي بيانه في فصل الفعل الإنساني ، ومن ثم يبقى لنا هنا أن نتحدث في ماهية العالم وفى أصله وفى أنواعه.

١- ماهية العالم :

اختلف الموحدون والملحدون في ماهية العالم ، فقال الموحدون : إذا أريد بالعالم جملة ما يعقل ومالا يعقل فهو السماوات والأرض وما بينهما وإن أريد به ما يعقل فالعالمون هم

(١) المصدر السابق ، لوحة ٢٦ يمين.

الملائكة والجن والإنس وأحدهم عالم ويقال لأهل كل عصر عالم ، ومنهم من قال يمكن أن يكون العرش هو جملة العالم ، ويمكن أن يكون موضعا من أشرف العالم وأعلاه عظم الله أمره وسماه عرشاً له كما عظم أمر مواضع في الأرض وسماها بيوتا له ، ومنهم من قال ويمكن أن يكون الكرسي ضرب مثلا لإحاطة علم الله سبحانه بكل شيء ولا فرق بين قوله سبحانه أنه استوى على العرش[1] وقوله أنه: "في السماء آله وفى الأرض إله" [الزخرف/ من الآية ٨٤] وقوله: "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم" [المجادلة/٧] . وما أشبهه متأول على غير ما يفيد ظاهره لأنه سبحانه لا يجوز أن يوصف بالحاجة إلى المكان[2].

والإمام حميدان بإدراجه العرش والكرسي ضمن جملة العالم يكون قد عالج الاضطراب الذي أحدثه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨ هـ) في الفكر الزيدي في اليمن ، عندما نظر إلى العرش والكرسي على أنهما الله مما أغرق مذهبه في "وحدة الوجود" تلك التي تبرز بوضوح في أغلب سطور كتابية" العرش والكرسي" و "تفسير الكرسي"[3]. من ذلك قوله :"وكرسي الله عز وجل وسع السماوات والأرض محيطا بهما كإحاطة الأرض بتلك الخلقة. فكانت السماوات والأرض بصغرهما وضيقهما في سعة الكرسي عليها كضيق الخلقة وصغرها في سعة الأرض عليها وكان الكرسي مشتملا على السماوات والأرض كما اشتملت هذه الأرض على هذه الخلقة"[4]. "فكان هذا الكرسي ظاهرا عليها وباطنا فيها ، ظاهرا عليها لإحاطته بها وباطنا فيها لدخولها فيه[5] والواسع لهما بعظمهما كما وسعت الأرض هذه الخلقة ، الله الذي لا اله إلا هو وسع الأشياء كلها حق

---

(١) قال تعالى: "الرحمن على العرش استوى" [طه/٥]

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٦.

(٣) انظر للباحث : الإمام يحيى بن الحسين الرسى وآراؤه الكلامية والفلسفية ، ص ٨٢-٨٣.

(٤) الإمام الهادي : العرش والكرسي (مخطوط) مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم ٣٢٢، عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ٣٩/ علم كلام، لوحة ٥٢.

(٥) الإمام الهادي : تفسير الكرسي (مخطوط) مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم ٣٢١، عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ٣٩/علم كلام، لوحة ٤٧ شمال.

أحاط بها وملأها وغمرها وليس ثم كرسي غير الله"[١]. "وتفسير العرش أيضـــا كتفســير الكرسي سواء بسواء فهذا معنى قولنا إن العرش هو الله"[٢].

ويتضح مما سبق أيضا : أن الإمام حميدان يدن من سلف الأمة الذين يرون أن العـالم هو كل موجود سوى الله ، ويفارق خلف الأمة الذين يرون أن العالم عبارة عن الجواهـــر والأعراض[٣]. وبهذا يتضح أيضا أن المفهوم الإسلامي للعالم قائم على التمييز بين عالم الغيب وعالم الشهادة مما يجعله مخالفا للمفهوم اليوناني القديم[٤] ذلك أن أرسطو مثلا كان ينظر إلى الآلهة على أنها هي نفسها العالم والكون[٥]، ولعل هذا المفهوم هو أيضا الذي عبر عنه د.يحيى هويدي عندما قال: "إن الميتافيزيقا عند أرسطو لم تكن إلا فيزيقا"[٦]، هذا وقــد حــرص علماء الكلام منذ البداية على إبراز حقيقة موقفهم من العالم الخارجي كعالم لــه وجــوده المستقل عن الذات العارفة[٧].

وأما قول الملحدين فالفلاسفة ومن قال بقولهم من الباطنية وأشباههم يزعمــون أن العوالم كثيرة منها عالم العقول التي زعموا أنها قبل الزمان والمكان ومنهم من يعبّر عن تلـك العقول بأنهم الملائكة الروحانيون المقربون ، ومنها عالم الأفلاك والأملاك ... ومنها عـــالم

---

(١) الإمام الهادي : الكرسي والعرش ، لوحة ٥٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الجويني :"لمع الأدلة" تقديم وتحقيق د. فوقية حسين محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥، ص ٨٢-٨٣.

(٤) د.فوقية حسين محمود :"مقالات في أصالة المفكر المسلم" ، دار الفكر العربي، القاهرة ، سنة ١٩٧٦، ص٢٣

(5) Anton Herman Chroust : Aristotle New light on his life and on some of his lobs works vol. II. observation on some of Aristotles lost works. University of Notre Dame press. Library of congress cataloging in publication p.175.

(٦) د.يحيى هويدي : دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة طبعة سنة ١٩٨١م ، ص ٣٨٨.

(٧) د. فوقية حسين محمود: مقالات في أصالة المفكر المسلم ، ص٢٣.

الطبائع الأربع التي يسمونها العناصر والأمهات والاستقصات والإرادات والأركان ، ومنها عالم الكون والفساد وما فيها مما يحدث ويفنى ويزيد وينقص ويحي ويموت[١].

٢- أصل العالم :

ذهب أئمة العترة إلى أن معرفة أول مخلوق وكيفية خلقه من الغيوب التي لا طريق إليها إلا الخبر الذي يروونه عن النبي صلى الله عليه وعلى آل وسلم وهو أن أول ما خلق الله سبحانه الهوى الذي هو مكان لا في مكان وهو جسم لطيف يتحرك ويسكن ، واستدلوا بذلك على أن خلق الله سبحانه يجب أن يكون وجوده مقارنا لوجود ، ثم خلق الله بعد الهواء الماء ثم خلق الريح حركت ذلك الماء حتى أزبد ثم خلق النار[٢] فأحرقت ذلك الزبد ثم خلق الأرض من الحراقة والسماء من الدخان ونحو ذلك مما قصه الله سبحانه في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم* [٣].

وأما الفلاسفة فمنهم من زعم أن أصل العالم هو الهيولى التي يكمن بداخلها صور جميع الأشياء الحادثة[٤] وان هذه الهيولى قديمة ، فيترتب على قولهم هذا أن أعيان العالم قديمة وموجودة بالقوة[٥]، ومنهم من قال : بنظرية الفيض[٦] ، وسيأتي بيان فساد هذه الأقوال في فصل حدوث العالم.

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٦ شمال.

(٢) اهتدى الطبيعيون الأوائل (طاليس-انكسيمانس- هرقليطس) وكذلك ابنادوقليس إلى القول بهذه العناصر كأصل للأشياء جميعاً. غير أن ما يميز فكر مفكرنا عن هؤلاء اليونانيين -كما هو واضح- أنه يقول بخلق هذه العناصر من العدم المحض، بينما يقولون بقدم هذه العناصر، مما جعلهم يضفون صفات الإلوهية على هذه العناصر

(Guthrie (W. K.C): the Greek philosophers- Form the oles to Aristotle 1972. pp. 23.31

وانظر أيضاً Freeman : Companion to the pre. socratic philosophers. p. 181

* لم أعثر على هذا الحديث لا في كتب الصحاح ولا في كتب الموضوعات.

(٣) الإمام حميدان :"تنبيه الغافلين" ، لوحة ٢٦ شمال.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ١٧ يمين.

(٥) المصدر السابق ، لوحة ٢١ شمال.

(٦) انظر المصدر السابق ، لوحة ١٧ شمال.

٣- الخلاف في أنواع العوالم :

إن أئمة العترة يدهبون في هدا الموضع بخلاف ما ذهب إليه الفلاسفة وهو ما تقدم ، وبخلاف ما ذهبا إليه الهنود والمعتزلة من القول بالجوهر والخط والسطح ، وبخلاف ما ذهب إليه نفات الأعراض[١] ، ومن جوز وجود عرض لا في محل[٢] ، وذلك لأنهم عليهم السلام لم يتعدوا عقولهم ولا تكلفوا علم مالا طريق لهم الى العلم به ، ولا ما قد علموا بالمشـــاهدة ضرورة أو بطريقة القياس العقلي لما لم يشاهدوا على ما شاهدوا ، وذلك لأن جميـــع مـــا يشاهد من العالم لا يخلو إما أن يكون محلا لغيره أو حالا في غيره ، فالمحل هو الجسم والحال هو العرض ، والعرض صفة والجسم موصوف . ومن المعلوم بالمشاهدة اســـتحالة وجـــود جسم خال من عرض ، ووجود عرض لا في محل[٣].

ثانيا : مفهوم الشيء :

اختلف المتكلمون في حقيقة الشيء : فزعمت المعتزلة أن المعدومات الممكنة قبـــل وجودها ذوات واعيان وحقائق[٤]. وزعم الجاحظ والبصرية انه المعلوم[٥]. ورفض الأشعرية مزاعم المعتزلة هذه ، وقالوا : إن الشيء عندنا الموجود[٦]. أي الذي له تحقق والمعدوم ليس كذلك[٧].

وهنا يفارق الإمام حميدان المعتزلة وينحاز إلى الأشعرية فيذهـــب مذهبـــهم في أن الشيء هو الموجود ، والمعدوم ليس شيئا[٨] يؤكد ذلك القرآن والسنة وأقوال الأئمة. أمـــا الكتاب فنحو قوله سبحانه :"وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" [مريم/٩] وقوله سبحانه : "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا" [الإنسان/١] وقوله ســـبحانه

---

(١) لم ينكر وجود العرض إلا ابن كيسان [الإيجي المواقف . ص ٩٩].

(٢) منهم أبو الهزيل : [المرجع السابق . ص ٩٩،٩٧].

(٣) الإمام حميدان تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ يمين

(٤) يجي المواقف . ص ٥٦

(٥) مرجع السابق

(٦) المرجع السابق

(٧) المرجع السابق . ص ٥٧

(٨) الإمام حميدان التصريح بالمذهب نصحيح وحه ٩١ يمين

مذكورا من التأكيد لنفى كون العدم المعدوم شيئا مالا يجوز لمسلم إنكاره. وأما السنة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: "كان الله ولاشيء"[١]. وأنه ذكر في بعض خطبه أن الله سبحانه مشيئ الأشياء. وأما قول الأئمة: فمثل قول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه " كذب لعادلون ، وجار المفترون وخسر الواصفون ، بل هو الواصف لنفسه ، والملهم لربوبيته والمظهر لآياته ، إذ كان ولاشيء كائن".وقال القاسم الرسى في كتاب الرد على ابن المقفع :"الأشياء ليست إلا قديما أو حادثا لا يتوهم متوهم فيها وجها بائناً". وقال الهادي إلى الحق في كتاب المسترشد :"نريد بقولنا شـــيء إثبات الموجود ونفى العدم المفقود ، لأن الإثبات أن نقول شيئاً والعدم إلا نثبت شيئاً"[٢].

وهذا الموقف من قبل الإمام حميدان – ومن قبلة الأشعرية – يكشف عن حرصه على تفادى أن يكون الشيء هو "المعدوم" وذلك لأن المعدوم يمكـــن أن يكـــون معلومـــا وبتعريف الشيء بأنه المعلوم يصير من الممكن أن يصبح المعدوم شيئا. فأكد أن الشيء هـــو الموجود وليس المعلوم ، وهدفه من هذا إبراز أن العدم محض وليس "شيئا" لأنه لو كان شيئا لكان له وجود، ولصار أثر القدرة الإلهية هو الحدوث وليس خلق الشيء ، ولانتفت بدلك صفة قدرة الله تعالى على إيجاد الموجودات لأن قدرته سبحانه تكون في أن يوجد الأشياء من العدم المحض وليس من وجود سابق مثل الهيولى الأرسطية . لأن قدرة الله في هذه الحالـــة تكون مكونة للذوات فقط[٣].

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبه عن بريدة ، وفى رواية ولاشيء غيره ، وفى رواية ولم يكن شيء قبله، قال القاري ثابت ، ولكن الزيادة وهي قوله وهو الآن على ما كان عليه من كلام الصوفية. قال ويشبه أن يكون من مفتريات الوجودية القائلين بالعينية. قال وقد نص ابن تيميه كالحافظ العســـقلانى على وضعها . وان صحت فتأويلها انه تعالى ما تغير بحسب ذات الكمال وصفات الجلال عما كـــان عليه بعد خلق الموجودات. ورواه احمد والبخاري والترمذى وغيرهم عن عمران بن حصين قـــال قال: "يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان. قال كان الله قبل كل شيء ، وكان عرشـــه على الماء ، وكتب فى اللوح المحفوظ ذكر كل شيء وخلق السموات والأرض" [العجلونى . كشـــف الخفاء . حـــ٢ . ص ١٨٩].

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح . لوحة ٨٥ شمال

(٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير . المجلد الرابع . دار الفكر . بيروت . سنة ١٩٨١ . ص ٣٥

ولهذا فقد أخطأت المعتزلة في استدلالهم على أن ذوات العالم قبل وجودها أشياء ثابتة فيما لم يزل بقول العرب أن الشيء لا يخلو إما أن يكون موجودا أو معدوما ، وذلك غلط بين لأن العرب تستعمل المجاز في تسميتهم للشيء معدوما إذ كان لا يوجد في أكثر المواضع وإن كان موجودا في بعضها ، وكذلك في تسميتهم للمعدوم شيئا بمعنى أنه سيكون شيئا ، وعلى ذلك حمل الأئمة عليهم السلام قول الله سبحانه :"إن زلزلة الساعة شيء عظيم" [الحج/١] وإلحاق المجاز في القسم الحاصرة بالحقيقة مغلطة لأنها موضوعة للحقيقة دون المجاز بإجماع كل عاقل عالم[1]. وبهذا يتضح أنه لاشيء فيما لم يزل إلا الله وحده لا شريك له وفي ذلك دليل على أن العالم قبل وجوده لم يكن شيئا فهو لاشيء لعدم الواسطة بين النفي والإثبات ، وإذا كان لاشيء فإدخاله في قسمة الشيء تدليس ظاهر ، مع ما يلزم في ذلك من التناقض لأنه إذا كان لاشيء لم يكن بين قول من يقول الشيء لا يخلو من أن يكون موجودا أو معدوما فرق وبين قول من يقول الشيء لا يخلو من أن يكون شيئا أو لاشيء وذلك باطل وفي بطلانه دليل على صحة قسمة أئمة العترة عليهم السلام في ذلك فيما تقدم ذكره مثل قول القاسم الرسي :"الأشياء ليست إلا قديما أو حادثا لا يتوهم متوهم منها وجها ثالثا"[2]. مما سبق يتضح الأتي :

١- أن الإمام حميدان ينحاز إلى الأشعرية في تعريفهم للشيء بأنه الموجود ويفارق في الوقت نفسه المعتزلة في تعريفهم للشيء بأنه المعلوم.

٢- انه يجعل – شأنه في ذلك شأن الأشعرية – من القول بأن الشيء هو الموجود مدخلا أو مقدمة لإثبات حدوث العالم.

٣- إن الشيء عنده عام يشمل الأجسام والأعراض ، منكرا ما يسمى بالجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ.

ثالثا : مفهوم الجسم :

اختلف المتكلمون في الجسم ما هو ؟ على مقالات كثيرة نذكر منها الأتي :

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٩

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٩٩ شمال.

١- قال قائلون : الجسم هو ما احتمل الأعراض(١).

٢- وقال أبو الهزيل العلاف :"الجسم هو ماله يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء"(٢).

٣- وقال معمر(٣):" الجسم هو الطويل العريض العميق ، وأقل الأجسام ثمانية أجزاء"(٤).

٤- وقال هشام بن الحكم(٥):"معنى الجسم أنه موجود"(٦).

٥- وقال النظام [ت ٢٣١هـ-٨٤٥هـ] :"الجسم هو العريض العميق وليس لأجزائه عدد يوقف عليه"(٧).

أما الإمام حميدان فيقدم تعريفا للجسم يجمع - تقريبا - بين كل هذه الأقوال فيرى أن الجسم هو "ما صح أن يرى ، أو ما يشغل الجهة عن غيره ، أو ما تحويه الجهات الست ، أو ما يحله العرض ، أو ماله طول وعرض وعمق"(٨) . وبهذا يرى الإمام حميدان أن للجسم أربع صفات هي :

١- أن يكون موجودا.

٢- أن يشغل الجهة ولا ينفك عنه ، وهو بذلك يخالف المعتزلة التي ترى أن الجسم لا يحتاج إلى مكان إلا عند حالتين :"أحدهما أن يكون الجسم حيا متصرفا ، فلابد من مكـــان

---

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص ٤.

(٢) المرجع السابق ، ص ٥.

(٣) هو أبو عمر معمر بن عباد السلمي من اكبر فلاسفة المعتزلة وأكثرهم صلة بالفلسفة ... وقد عاصر معمر أبا الهزيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام ... واخذ الاعتزال عن عثمان الطويل تلميذ واصل [د.على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١، ص ٥٠٤].

(٤) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص٦.

(٥) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء الكوفي أبو محمد (... نحو ١٩٠هـ= .../نحو ٦٨هـ) متكلم مناظر : كان شيخ الإمامية في وقته، ولد بالكوفة ونشأ بواسط ، وسكن بغداد [الزركلي :"الأعلام" ، مجلد ٨ ، ص ٨٥].

(٦) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص ٦.

(٧) المرجع السابق.

(٨) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٤ يمين.

يقله ويثبت عليه ، والأخرى أن يختص الجسم بالثقل فلا بد له مما يمنع ثقله من النزول فيه ، فإذا خرج عن هذين الوصفين فهو مستغن عن مكان"(١).

٣- أن يحله العرض ، حيث يستحيل وجود جسم خاليا عن جميع الأعراض(٢).

٤- أن يكون له طول وعرض وعمق.

هذا هو المفهوم السليم للجسم -كما يرى الإمام حميدان - أما مذهب المعتزلة فلهم تعريف للجسم صحيح في المعنى دون اللفظ ذلك بأنهم عرفوا الجسم بأنه الجواهر المؤتلفة طولا وعرضا وعمقا ، أما صحة المعنى فلان الجسم هو كل ماله طول وعرض وعمق ، وأما كون اللفظ غير صحيح فلان ذكرهم للجواهر التي يزعمون أنها ثابتة فيما لم يزل وان الجسم إذا فني عاد جوهرا ، وأن الجوهر جزء لا يتجزأ ، وانه ليس له إلا حد واحد يلاقي به ما جاوره ، وان الجواهر إذا ائتلفت طولا فهي خط وإذا ائتلفت طولا وعرضا فهي سطح وكل هذه الأقوال باطلة وأسماء معترضة لغير مسمى(٣). وسيتضح بطلان فساد هذه الأقوال عند عرض رأيه في الجزء الذي لا يتجزأ.

وللمطرفية أيضا مذهب فاسد في الجسم وهو قولهم أن صفة الجسم هو الجسم ولو صح قولهم هذا للزم أن يكون الجسم الواحد موجودا معدوما في حالة واحدة لأجل جواز وجود بعض صفاته وعدم بعضها في حالة واحدة وذلك محال وكل قول يؤدى إلى المحال فهو محال ، فإن جوزوا أن يكون ما عدم لزمهم أعظم من ذلك وهو تجويز أن يكون الموصوف بوصفين اثنين أحدهما كامن في الثاني (٤) والقول بالكمون من المحالات الخارجة عن حد العقل*(٥).

---

(١) ابن متويه :"التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض" ، جـ١،تحقيق د. سامي لطف نصر، د. فيصل بدير عون، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص ٥٢.

(٢) الإمام حميدان : المسائل الباحثة ، لوحة ١٤٩ يمين.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٤ شمال.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ١٩ يمين.

* سيأتي بيان فساد نظرية الكمون في فصل حدوث العالم.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ١٧.

والإمام حميدان ينطلق في رفضه لمذهب المطرفية من نظريته في الصفات الإلهية ، ذلك أن جوهر المفارقة عنده بين الذات الإلهية وذوات المخلوقين يكمن في أن الصفات في البارئ سبحانه وتعالى هي عين الذات ، بمعنى أن صفة الله هي الله ، بينما الصفة غير الموصوف في المخلوق بحيث لا يصح أن يقال أن صفة الجسم هي الجسم لأن في ذلك تشبيه للخالق بالمخلوق ولجاز أن يقال أن الله سبحانه جسم لا كالأجسام كما فعل الغلاة من أمثال هشام بن الحكم(١).

وبصرف النظر عن صحة أو عدم صحة مذهب الإمام حميدان في الصفات فنحن نوافقه على أن صفة الجسم ليست هي الجسم لأنا نرى البشر فيما بينهم يتمايزون بالصفات كالطول واللون والقوة والضعف ، بل إن الإنسان الواحد قد يكون قويا في حين وضعيفا في حين آخر فعلمنا أن هذه كلها أعراض تحل في الجسم بينما الجسم ثابت ، ولو كانت صفة الجسم هي الجسم لكان علمنا لذوات العالم وفروعه هو علم بالمتناقضات ولاستحال قيام معرفة حقيقية.

رابعا : مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ :

إن مذهب الذرة ، أو الجزء الذي لا يتجزأ ، مذهب قديم قدم التفكير الفلسفي سواء عند اليونان أو الهنود(٢) اللذين استخدماه ليؤكدا به أن العالم لم يزل ماديا بطبيعته**(١). غير أن متكلمي الإسلام استطاعوا استغلال هذا المذهب في البرهنة على كثير

---

(١) الحق أن هشام بن الحكم لا ينطلق في إثباته للجسم لله تعالى من نفس المنطلق الذي يلزم به الإمام حميدان خصومه القول بالجسمية لأن الإمام حميدان ينطلق من القول أن الصفات هي عين الذات في الخالق بينما الصفة غير الموصوف في غير الله تعالى ولذلك فإنه الزم المطرفية بتشبيه الله بالجسم لأنهم أشبهوا الله بالمخلوق حين زعموا أن صفة الجسم هي الجسم أما هشام بن الحكم فينطلق من قاعدة يطبقها على الخالق والمخلوق معا وهي أن الصفات ليست هي الموصوف ولا غيره".

(٢) انظر في تفاصيل ذلك :"جاكوبي : نظرية الجزء عند الهنود ، حـ٢ ، دائرة معارف الدين والأخلاق ، د.ت ، ص ١٩٩-٢٠٠. وأيضا د. أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي ، حـ١، ص ٩٠-٩١.

** كان ديمقريطس يرى أن الذرات في حركة مستمرة وهذه الحركة موزعة على كل الاتجاهات بلا انتظام أو نظام في خلاء لا محدود ... وهي متطايرة في هذا الخلاء اللامحدود، وحينما اصدمت تكونت عنها حركة ثابتة على شكل دوامة، وتلك حركة دائرية وعنها نشأ العالم وتكونت الموجودات.

من المشكلات الكلامية ، كالبرهنة على حدوث العالم الذي يؤكد وجود خالق وصانع له ، وكذلك علم الله وقدرته الشاملة لكل شيء وكذلك مسألة حشر الأجساد وإعادة الجسم الإنساني يوم البعث ، ويكفى هذا فارقا أساسيا بين فلاسفة اليونان الدهريين الجاحدين للصانع ، المنكرين لخلق العالم ، القائلين بأبديته وعدم وجود ثواب وعقاب ، وبين متكلمي الإسلام الذين برعوا في استخدام هذا المذهب الذرى بما يتماشى مع العقيدة الإسلامية(٢). وهذا يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن متكلمي الإسلام لم يفصلوا بين المشكلة الطبيعية ومشكلة الألوهية. كما هو الحال عند أبي الهزيل العلاف الذي جوز أن يفرق الله الجسم ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءا لا يتجزأ(٣).

* وقد استعمل المتكلمون في تعبيرهم عن مفهوم الجوهر الفرد عدة عبارات منها : الجزء الذي لا يتجزأ ، الجزء الواحد ، الجوهر الواحد ، الجوهر الواحد الذي لا ينقسم ، كما استعملوا لفظي : الجزء ، والجوهر باختصار(٤)، ويستخدم مفكرنا الإمام حميدان لفظي الجوهر والجزء الذي لا يتجزأ بمعنى واحد(٥).

والإمام حميدان لم يستخدم مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ ليثبت وجوده ولكن ليبطل وجوده ليواصل هدمه لمذهب المعتزلة(٦) ذلك أن المعتزلة تزعم أن أقل ما يمكن أن ينقسم

C. Bailey, the Greek Atomistsa Epicures Oxford 1926. P.83

وانظر أيضا د. عبد الحليم محمود: قضية التصوف من المنقذ من الضلال، دار المعارف ، القاهرة، د.ت، هامش ص ٣٤٤.

(١) بيوتر فيدوسييف : الفلسفة والمعرفة العلمية ، ترجمة حمدي عبد الجواد ، جـ١، ط أولى ، دار العالم الجديد ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ٢١.

(٢) انظر : د.محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ، ص ١٧٧.

(٣) أوتوبر يتزل : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام، ضمن مذهب الذرة لبينيس ، ترجمة د.أبور يده ، ط القاهرة ، سنة ١٩٦١، ص ١٣٩.

(٤) بينيس : مذهب الذرة عند المسلمين ، ص ٤.

(٥) الإمام حميدان : - تنبيه الغافلين، لوحة ٢٤ شمال - التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٣.

(٦) قال عموم المعتزلة بالجزء الذي لا يتجزأ ولم يخالفهم فيه إلا النظام [انظر : الخوارزمي : مفاتيح العلوم،تقديم وتحقيق د. محمد عبد اللطيف العبد، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ١٧ - د. عبد

إليه الجسم جوهر وليس بجسم ، وانه جزء لا يتجزأ ، وانه يشغل الحيز ، ويحله العـــرض ، وانه ليس له إلا جهة واحدة يحاذ بها ما لقاه ، وان الجواهر إذا ائتلفت طولا وعرضا وعمقا فهو الجسم[١].

وأما مذهب العترة فهو أن كل ما يشغل الجهة ويحله العرض فهو جسم سواء كــان مما يدرك لكثافته أو لا يدرك لقلته أو لطافته[٢]. ومما يؤكد صحة مذهب العترة وبطـــلان مذهب المعتزلة :

١- إن أقوال المعتزلة مبدعة في الدين لأنه لم يرد بها تعبد ولا دل على صحتها من الســمع دليل ، وكل مبدع في الدين ليس له أصل في الكتاب والسنة فهو من جملة ما حكــاه الله سبحانه بقوله:"إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من ســلطان إن يتبعون إلا الظن" [النجم / من الآية٢٣][٣].

ولذلك قال الحسين بن القاسم في كتابه مهج الحكمة :"وقد أنزل الله تبارك اسمـــه كتابا وأرسل رسولا وركب عقولا ولم يعلم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحدا من أمته جسما ولا عرضا ولا جوهرا ، ولا جزءا لا يتجزأ ... ألا ترى أن الجزء الذي هــو عندهم واحد لا يخلو من أن يكون إما لابثا ساكنا أو متحركا سائرا ، فإن كان لابثا فـــهو شيئان ولبثه متعلق به وهو ثانيه ، وإن كان متحركا فحركته متعلقة به وفيه ، وإن كــان لا يوجد إلا على أحد الحالين الحركة أو السكون فله فوق وتحت ، وتحت الشيء أبدا غـــير فوقه ، وفوقه غير تحته فهذان جسمان ، وأيضا له يمين وشمال فقد صار له أربعة أجـــزاء ، وإذا كان له يمين وشمال فله خلف وأمام فقد صار ستة أجزاء لاشك في ذلك ... فكيــف يكون الستة جزءا واحدا ... ولم يأت محمد صلى الله عليه وعلى آله بشـــيء مـــن هـــذه

الستار الراوي : ثورة العقل ، دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد، دار الرشيد ، بغــــداد، دار المعرفــة الجامعة ، الكويت، ١٩٨٢ ، ص ٧٧].

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٣ يمين.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٩٣.

الترهات(١). والحق أن الكلام في الجوهر والعرض والجسم من المسائل التي لا تتنافى مع الدين ، ومن ثم لا يعد الكلام فيها بدعة ، على العكس لقد أراد المعتزلة بهذه الطريقة إثبات حدوث العالم ثم رتبوا على الحدوث وجود الله سبحانه(٢)، ثم إن الحركة والسكون بالنسبة للجزء لا تجعل منه جزأين أو أثنين وكذلك الجهة(٣). إذ لو صح ذلك لكنت أنا في حال سكوني غيري في حال حركتي وهذا باطل.

٢- إن أقوالهم في الجزء الذي لا يتجزأ خارجه عن حد العقل ، وذلك لأنه لا طريق لهم إلى معرفة الجوهر إلا التوهم(٤) لأقل ما يمكن أن ينقسم إليه الجسم ، والتوهم خارج عن حد العقل لأن عقول الملكفين من البشر تقصر عن معرفة أجسام الملائكة عليهم السلام ، وكثير مما خلق الله سبحانه فضلا عن معرفة أصغر جسم أو أكبره(٥).

والحقيقة أن الإمام حميدان لم يكن أول من وجه النقض إلى نظرية الجزء الذي لا يتجزأ على أساس أن الوهم يلعب دوره الكبير فيها بل قد سبقه إلى ذلك النظام الذي ذهب إلى أن الوهم يقودنا إلى أن أجزاء الجسم لا تتناهى من حيث التجزؤ(٦)، ونحن لا نوافق الإمام حميدان على أن التوهم بصفة عامة يكون خارجا عن حد العقل ، نعم إن التوهم يكون خارجا عن حد العقل وحد السمع إذا كان في الأمور الغيبية التي سكت عنها الدين مثل قدر الجنة وهيئتها من التدوير والتربيع ، أما في الأمور المتعلقة بالطبيعة فإن التوهم لا يعد خارجا عن حد العقل إذ يستعين العقل لفهم كثير من الأمور أو تجريدها بالمخيلة(٧). بل إن معظم القوانين العلمية المعروفة الآن إنما هي وليدة فروض وهمية أو خيالية.

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٤ يمين.

(٢) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية ، ص ٤٢٠.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢١.

(٤) التوهم : إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس كشجاعة زيد وسخاوته [الجرجاني ، التعريفات ، ط تونس ، سنة ١٩٧١ ، ص ١٣٣]

(٥) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٣ شمال.

(٦) الخياط : الانتصار تحقيق نيبرج ، ط مصر سنة ١٩٢٥، ص ٣٣.

(٧) د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص٤٢١.

٣- إن أقوالهم في الجزء الذي لا يتجزأ متناقضة . وذلك ظاهر في قولهم إن الجوهر أقل الجسم وليس بجسم ، وكذلك قولهم العرض يحل الجوهر وليس بجسم لأن حد ما يعلم كون الجسم جسم جواز حلول العرض فيه ولذلك يجوزان يقال كل شيء حله العرض فهو جسم ، ولأنه يستحيل في العقل أن يكون الجسم طويل لا عرض له ولا عمق وإن قل. كذلك قولهم الجوهر يشغل حيزا وليس بجسم لأن كل شيء يشغل الجهة فقد أحاطت الجهة بجوانبه ، وما كان له جوانب فهو جسم. كذلك قولهم ليس للجوهر إلا حد واحد وهو يشغل الحيز لأن ما يشغل الحيز فله جوانب وإلا لم يعقل كونه شاغلا ، والذي ليس له إلا جانب واحد يكون مجاورا ولا يصح كونه شاغلا. كذلك قولهم الجواهر تأتلف طولا ينقض قولهم ليس للجوهر إلا حد واحد لان ائتلاف الجواهر طولا لا يعقل إلا إذا كان بعضها متوسطا وتوسط الجوهر لا يعقل إلا إذا كان بين جوهرين ، وكونه بينهما لا يعقل إلا إذا كان محادا لهما بحدين لأنه إذا لم يكن للجوهر إلا حد واحد فإنه لا يصح أن يأتلف اكثر من جوهرين إذ لا سبيل لجوهر ثالث إلا مشاركتهما في حدهما ولا أن يحادهما بغير ما قد يحادا به[1]. بهذا يعيد الإمام حميدان إلى أذهاننا موقف النظام العدو اللدود لنظرية الجزء الذي لا يتجزأ[*][1].

---

(١) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٣ شمال.

(*) كما لم يكن الإمام حميدان أول من وجه نقدا لنظرية الجزء الذي لا يتجزأ فلن يكون آخر من يقوم بذلك ، فلقد سبقه أيضا في رفض هذه النظرية ابن رشد الذي رفض طريقة الأشاعرة في إثبات حدوث العالم على أساس أنها بنيت على القول بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ ، وأن الجزء الذي لا يتجزأ محدث ، والأجسام محدثة بحدوثه. وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا يتجزأ ... طريقة معتاصة تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل فضلا على الجمهور ، ومع ذلك فهي طريقة غير برهانية ، ولا مفضية بيقين إلى وجود البارئ سبحان [فلسفة بن رشد ، كتاب الكشف عن مناهج الأدلة المكتبة المحمودية التجارية بمصر] ، كما سيرفض ابن تيميه - فيما بعد - هذه النظرية أيضا لأنه لا دليل عليها من الكتاب والسنة [ابن تيميه : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، تعليق محمد محي الدين عبدا لحميد ، ص ١٤٩] ، وكذلك خواجه زاده الذي يسلم أيضا ببطلان الجزء الذي لا يتجزأ [تهافت الفلاسفة ، ط القاهرة ، سنة ١٣٠٣هـ ، ص ٢٥] ، ويشايع هذا الرأي في وقتنا الحاضر د.يحيى هويدي ، الذي يرى - أيضا من جانبه - عدم صلاحية

خامسا : مفهوم العرض(**)[٣] :**

العرض عند الإيجي "موجود قائم بمتحيز" وأما عند المعتزلة "فما لو وجد لقام بالمتحيز ، لأنه ثابت في العدم عندهم"[٣]. وعند البغدادي :"فالأعراض هي الصفات القائمة بالجواهر من الحركة والسكون والطعم والرائحة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وسائر الأعراض[٤] وعند الجويني :"فالعرض هو ما يقوم بالجوهر"[١] ، وعند الإمام الهادي إلى الحق : العرض هو "مالا قوام له إلا بغيره"[٢].

الجوهر الفرد لإثبات حدث العالم [محاضرات في الفلسفة الإسلامية ، ط القاهرة سنة ١٩٥٩م ، ص ١٤٠].

(١) بينيس : مذهب الذرة عند علماء المسلمين ، ص ٤ .

(**) استخدم المتكلمون عدة مصطلحات أخرى مرادفة لمصطلح العرض وهى : المعنى والصفة والشيء [انظر الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص ٥٦-٥٧، بينيس : مذهب الذرة عند علماء المسلمين ، ص ٧].

(٢) اختلف المتكلمون في الأعراض لما سميت أعراضا ؟

١- فقال قائلون : سميت بذلك لأنها تعترض في الأجسام وتقوم بها ، وأنكر هؤلاء أن يوجد عرض لا في مكان أو يحدث عرض لا في جسم. وهذا قول النظام وكثير من أهل النظر.

٢- وقال قائلون : لم تسم الأعراض أعراضا لأنها تعترض فى الأجسام ، لأنه يجوز وجود أعراض لا في جسم وحوادث لا في مكان كالوقت والإرادة من الله سبحانه والبقاء والفناء وخلق الشيء الذي هو قول وإرادة من الله تعالى ، وهذا قول أبي الهزيل.

٣- وقال قائلون : إنما سميت الأعراض أعراضا لأنه لا لبث لها ، وان هذه التسمية إنما أخذت من قول الله عز وجل:"قالوا هذا عارض ممطرنا" [الأحقاف/٦٧] فسمى المال عرضا لأنه إلى انقضاء وزوال.

٤- وقال قائلون : سمى العرض عرضا لأنه لا يقوم بنفسه ، وليس من جنس ما يقوم بنفسه.

٥- وقال قائلون : سميت المعاني القائمة بالأجسام أعراضا باصطلاح من أصطلح على ذلك من المتكلمين، فلو منع هذه التسمية مانع لن نجد عليه حجة من كتاب أو سنة أو إجماع من الأمة وأهل اللغة،وهذا قول طوائف من أهل النظر منهم "جعفر بن حرب".

٦- وكان عبد الله بن كلاب يسمى المعاني القائمة بالأجسام أعراضا ، ويسميها أشياء ، ويسميها صفات ، [الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص ٥٦-٥٧].

(٣) الإيجي : المواقف ، ص ٩٦-٩٧.

(٤) البغدادي : أصول الدين ، دار الكتب العلمية ، ط الثالثة ، بيروت ١٩٨١، ص ٣٣.

ويتابع الإمام حميدان الإمام الهادي إلى الحق وغيره من أئمة الزيدية فيرى أن العرض هو "مالا يعقل وجوده إلا في غيره"[٣]. فالعرض لا يعقل وجوده إلا إذا كان حالا في غيره لكونه عارضا حالة وجوده في غيره ولذلك سمى عرضا[٤]. وجميع ما يشاهد من العالم لا يخلو من أن يكون محلا لغيره أو حالا فى غيره فالمحل هو الجسم والحال هو العرض ، والعرض صفة والجسم موصوف ، ومن المعلوم بالمشاهدة استحالة وجود جسم خال من عرض ووجود عرض لا في محل[٥]. وبهذا يتضح تميز الأعراض عن الأجسام ، فالأعراض ليست أجساما لأنها لو كانت أجساما للزم من ذلك تجويز وزن الأعراض[٦] وكون ذلك محالا معلوم ضرورة[٧].

من أجل ذلك كله جاء مذهب أئمة العترة عليهم السلام : أن ذوات العالم هي أجسامه وصفاتها هي أعراضها ، وأنه لا يصح العلم بانفراد ذوات العالم عن الأعواض ولا العلم بانفراد الأعراض عن ذوات العالم[٨] ، وأنه لا دليل في العقل ولا في السمع يدل على أن شيئا سوى الله ليس بجسم أو صفة جسم لا توجد منفردة عن محل.

ومذهب الأئمة في ذلك يخالف مذهب المعتزلة الذاهب إلى أن ذوات العالم جواهر وأعراض يصح العلم بكل واحد منها على انفراده ، وان صفاتها أمور زائدة عليها لا توصف بأنها هي ولا غيرها ولاشيء ولا لاشيء ، ولا فرق عندهم في ذلك على الجملة بين

---

(١) الجويني : "لمع الأدلة" ، ص ٧٧.

(٢) رسائل العدل والتوحيد،جـ٢،الإمام الهادي إلى الحق ، الرد على أهل الزيغ من المشبهين،ص٢٩٩.

(٣) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٠ يمين.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٨٧ شمال.

(٥) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٧ يمين.

(٦) دلت النصوص المنزلة (قرآن وسنة) على أن أفعال العباد -وهى أعراض- توزن في الآخرة وان كنا لا ندرك كيفية وزنها لأنها من الأمور الغيبية.

(٧) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٧٦ يمين.

(٨) هذا أيضا مذهب الجويني [انظر : الاسفريني : التبصير في الدين ، ط القاهرة ، سنة ١٩٤٠ ، ص ٩١-٩٢].

الباري سبحانه وبين غيره[١] ، ولذلك حددوا الذوات كلها بحد واحد جامع وشاركوا بينها في الذاتية فكذلك الصفات[٢].

والذي يدل على صحة مذهب أئمة العترة وبطلان مذهب المعتزلـــــــــــة :

١- أن تسمية الجوهر جوهرا أو تسمية العرض عرضا فرع على معرفة الفرق بينهما لأنـــه ولو لم يكن بينهما فرق لم يكن أحدهما بأن يكون جوهرا أو عرضا أولى من الثـــاني ، ولا سبيل إلى معرفة الفرق بينهما إلا بعد وجودهما ولا فرق بينهما بعد وجودهمـــا إلا بكون الجوهر محلا والعرض حال عارضا حالة وجوده في غيره ولذلك سمى عرضـــا ، ولا يعقل وجوده إلا حالا في غيره ، ومالا يعقل وجوده إلا في غيره لم يصح دعـــوى العلم به منفردا بدليل أن أحدا لو ادعى مشاهدة ذلك لعلم أن كونـــه ضـــرورة ، وكذلك الجوهر لا يعقل وجوده إلا مجتمعا أو مفترقا أو متحركا أو ساكنا ولا يصـــح دعوى العلم به منفردا[٣].

٢- والذي يدل أيضا على بطلان عرض لا في محل إجماعهم - أي المعتزلة - مع الأئمـــة عليهم السلام على أنه يستحيل في الشاهد وجود عرض لا في محل ، ومـــن المعلـــوم بالدليل الصحيح انه لم يستحل في الشاهد إلا لأجل كونه عرضا[٤].

وهكذا تبرز هنا أيضا نزعة الإمام حميدان الواقعية تلك النزعة التي تتجلى بوضـــوح في الاعتراف بالجسم وصفاته باعتباره موجودا وجودا حقيقيا واقعيا مستقلا عن الـــذات العارفة ، ومما يؤكد ذلك من كلام الأئمة عليهم السلام قول القاسم الرســـي في كتـــاب "مسألة الملحد": "لأن الأجسام لا يجوز أن تخلوا من هذه الصفات فيتوهموا ويمثله في نفســه

---

(١) تابع المعتزلة في ذلك هشام بن الحكم الذي ذهب أن الصفات لا هي الأجسام ولا هي غيرها وطبقـوا كلامه هذا على الصفات الإلهية لكنهم تمشيا مع مذهبهم استبدلوا كلمة الجسم التي لا يجوزان فقال على الله بكلمة أخرى [انظر : بينيس : مذهب الذرة عند علماء المسلمين . ص ١٩] ولكن هنـد- كما قلنا - ليس مذهب كل المعتزلة وإنما هي مذهب أبي هاشم الجبائي].

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٩ شمال.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٩٠ يمين.

(٤) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٣٣ يمين.

خاليا منها فإذا لم يجز ذلك ثبت أن الأجسام حكم أصولها كحكم فروعها". وقال الإمـــام الهادي إلى الحق في كتاب المسترشد :"فلما أن وجدت العقول والحواس أجســـاما مثلـــها مصورات كتصويرها وأعراضا لا تقوم إلا بغيرها استدلت على الفاعل بفعلـــــه". وقـــال الحسين بن القاسم في كتاب مهج الحكمة :"وإنما الأصل في الأجسام أن كل ما قام بنفســـه وتعلقت الأحوال به فهو جسم محل للأعراض ، والعرض هو ما كان حالا في غيره وكان لا ينفرد بذاته ولا يحله سواه"[١].

والصواب هنا في جانب الإمام حميدان وأئمة العترة لأننا في العقل فضلا عن الشاهد لا يمكن أن نتخيل جسما خاليا من اللون والطعم والرائحة ، لكن الذي يجب أن نلفـــــت النظر إليه هو أن انفراد الأعراض عن الجوهر أو وجود عرض لا في محل أو وجود جوهـــر خال من الأعراض ليس مذهب كل المعتزلة بل هو مذهب مبدع النظرية أبو الهزيل[٢] وقـد خالفه في ذلك بعض المعتزلة فاثبتوا الأعراض للجواهر[٣] مستدلين بذلك علـــى حـــدوث العالم[٤].

والإمام حميدان -كما أسلفنا- يستخدم مصطلحي الجسم والعرض للاستدلال بهما على وجود الله سبحانه حيث يقول :"إن جميع الفروع - أي فروع العالم - أجسام متضمنة لأعراض ضرورية وان جميعها محدث وكل محدث لابد له محـــدث وان محـــدث الأجســـام والأعراض الضرورية هو الله سبحانه"[٥]

سادسا: حدوث العالم:

تتضح مسألة حدوث العالم عند الإمام حميدان من خلال عرض الآتي:

أولا : إثبات حدوث العالم على مذهب أئمة العترة.

ثانيا : نقض مذاهب القائلين بالقدم .

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٠ يمين.

(٢) انظر : الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص ٥٧.

(٣) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية ، ص ٤٢١.

(٤) ابن تيميه : موافقة صحيح النقول لصريح المعقول ، حـ٢ ، ص ١٠٣.

(٥) الإمام حميدان : تعريف التطريف ، لوحة ١٤٩ شمال.

١- نقض مذهب الفلاسفة ٢- نقض مذهب المعتزلة

أولا : إثبات حدوث العالم على مذهب أئمة العترة :

بينما يذهب الفلاسفة إلى القول بقدم أعيان العالم[١] وأنه موجود بالقوة فيما لم يـزل قبل وجوده بالفعل ... ويذهب المعتزلة إلى القول بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل لأجـــل تعلق علم الله بها بزعمهم فيما لم يزل وانه لا تأثير له سبحانه إلا في الصفة التي ليست شيئا ولا لاشيء ولا هي معلومة له، قالوا: فيما لم يزل وهى الوجود. نجد مذهب أئمة العـــترة عليهم السلام أن الله سبحانه يعلم انه لاشيء ثابت ولا موجود في الأزل إلا هو وحـــده ، وإن جميع ذوات العالم وصفاته أشياء ، جعلها أشياء بعد أن لم تكن وأنه لا يجـــوز وصـــف بعض العالم بالأزل وبعضه بالحدث ، ولا وصف الذات الواحدة بأنها أزلية ومحدثة أو ثابتـــة ومعدومة[٢]. فهذه من الأسماء المتضادة التي لا يجوز أن تجتمع على شيء واحد. ولا فـــرق عند الأئمة بين وجود الشيء وثبوته وكونه أو كنهه وذاته وعينه أو قدمه وأزله أو حدوثـه وتجده - إذ أريد بالتجدد كونه بعد أن لم يكن[٣] وتكوينه وإيجاده[٤] في المعنى وكذلـــك لا فرق عندهم بين الشيء والأمر[٥].

ويتأكد صحة مذهب أئمة العترة بأدلة العقل والقرآن والسنة وإجماع المسلمين.

---

(١) يجمع كل فلاسفة اليونان (متقدمون ومتأخرون) على القول بقدم العالم (د.محمد جلال شـــرف : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ص ٤) غير أن الكندي يعتقد أن أفلاطون يقول بحدوث العــــالم (دبور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة د.أبو ريدة ، طــ ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ ، ص ١٤٣) ، وهو نفس الاعتقاد الذي اعتقده من بعد خواجه زاده (تهافت الفلاسفة ، طـــــ ، القـــاهرة ، ســـنة ١٣٠٣ هــ ، ص ٤)، لكن ابن تيميه يصرح فى اكثر من موضع بان أرسطو وحده دون الفلاسفة هو الذي يقول بقدم العالم مخالفا بذلك جمهور الفلاسفة (ابن تيميه . الرد على المنطقيين ، بمباى، ١٩٤٩ ، ص ١٦٨ ، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ص ٩٠) وإن كان الفارابي يرى ان هذه فكـرة خاطئة عن أرسطو (د. على سامي النشار : الأصول الأفلاطونية ، فيدون ، ص ٢٢٩).

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٧ يمين.

(٣) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥٤ شمال.

(٤) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣١ يمين.

(٥) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٨ يمين.

(أ) أدلة العقل :

١- إن للعالم أصلا وفرعا وكلا وبعضا ، وان بعض فروعه مما لا خلاف فى حدثه ، وان حدث بعض الشيء وفرعه يدل على حدث كله وأصله لعدم المخصص. ولان ماله كل وبعض وأصل وفرع فله نهاية وكل ماله نهاية فهو محدث. ولأن جميع أصول العالم وفروعه غير خالية من الأعراض المتضادة التي يستحيل اجتماعها ، ويدل وجود كل واحد منها بعد عدمه على حدثه وكل ما لم يخل من المحدث فهو محدث مثله[١].

٢- إن سأل سائل عن الدليل على أن الأشياء خلقت لا من شيء فقال : ما الحجة فى ذلك ؟ فالقول فى ذلك أن الأشياء محدثة مجعولة مبتدعة مخلوقة لان الله كان ولاشيء[٢].

لكن فلاسفة الإسلام رفضوا من قبل اعتبار ألفاظ "الجعل" و"الأحداث" و"الابتداع" تدل على الخلق من العدم. فابن سينا (ت ٤٢٨هـ) يرفض القول بالخلق والأحداث والتكوين والصنع على هذا النحو ويلجأ إلى نظرية جديدة ليفسر بها الفعل الإلهي ألا وهى نظرية "الإبداع". ومعنى الإبداع فى نظر ابن سينا هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط. والإبداع أعلى مرتبة من التكوين والأحداث"[٣]. وتفسير هذه العبارة كما يشرحها نصير الدين الطوسى ، أن التكوين هو أن يكون من الشيء وجود مادي. والإحداث هو أن يكون من الشيء وجود زماني. وكل واحد منهما يقابل الإبداع من وجه. الإبداع اقدم منهما ، ذلك لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين ، وكذلك الزمان لا يمكن أن يحصل بالأحداث، ويرجع ذلك لامتناع كونهما مسبوقين بمادة أخرى ، وزمان آخر ، وينتج عن هذا أن يكون الإبداع أقرب منهما إلى العلة الأولى فهو أعلى مرتبة منهما"[٤].

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٧ يمين.

(٢) الإمام حميدان : المنتزع الثاني ، لوحة ١٢٩ يمين.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن سينا : الإشارات والتنبيهات ، تحقيق د. سليمان ، دنيا ، ط٣، دار المعارف، القاهرة ، د.ت.

وعلى هذا فالقول بالابداع لا ينفي القول بقدم العالم ، فيكون قديما قـــدم العلـــة الأولى اي الذات الإلهيه فالله في فلسفه ابن سينا ، يتقدم على العالم بـــالذات والشـــرف والطبع والمعلولية . لا بالزمان ، فانه لم يبدع في زمان سابق[١]. وكذلك فعل ابن رشد (ت ٥٩٥هـ) عندما فسر الحدوث بمعنى "التبدل" و "التغير" و "التحول" الذي لا يحمل معنى العدم[٢]. ومثل هذه الأقوال توجب ان مع الله شيئا فيما لم يزل ، وكل قول يزعم أن مـــع الله شيئا لم يزل فهو –كما يرى الإمام حميدان– من أقوال الجاهلين ، وفي ذلك يقول :"وأما من قال لم يزل فيما لم يزل فقد أوجب ان مع الله شيئا لم يزل وإنما هذا من لغز المتناظرين أو قول من أقوال الجاهلين"[٣]

٣– إن العالم متناه لان له بعض ، وكل ماله بعض فله نهاية ، لأن كل ماله بعض فبعضـــه لا يخلو من أن يكون مثله أو أقل أو أكثر وكل موصوف بالتساوي في القلة والكـــثرة متناه ، وكل متناه محدث ، والحدث نقيض الأزل[٤].

٤– إن كل ما شفى العالم عبارة عن صفه تختص بموصوف وكل أمرين أو شيئين اختـــص أحدهما بالثاني ولم يخل منه فقد انتظمهما معنى التجزؤ والانقسام. وكل منقسم فـــهو معدود ومحدود وكل محدود فله نهاية وكل متناه فهو محدث[٥].

ودليل التناهي هذا استخدمه الكندي (ت ٢٥٢ هـ) من قبل حينما ذهـب إلى أن الجسم والحركة والزمان كلها متناهية ولها بداية ، فهي حادثة[٦].

---

(١) د. محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ، ص ١١

(٢) د. محمد عمارة : المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، ط ثانيـــة ، دار المعـــارف ، القـــاهرة ، د.ت، ص٩٥-٩٦ .

(٣) الإمام حميدان : المنتزع الثاني ، لوحة ١٢٩ يمين.

(٤) الإمام حميدان التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩١ يمين.

(٥) المصدر السابق . لوحة ٩٨ يمين

(٦) د أبو ريدة الكندي وفلسفته . دار الفكر العربي . سنة ١٩٥٥ . ص ٦٩

وانظر أيضا د صبري عثمان محمد حسن الله والكون عند فلاسفه الاسـلام . ط أولى دار المعارف. القاهرة سنة ١٩٨٧م ص ٧٢-٧٣

٥- شهادة كل ما في العالم على انه إما صفة أو موصوف . وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران . وشهادة الاقتران بالحدث . وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل[١].

٦- إن أشياء العالم لا تخلوا من التماثل فى ضرب من ضروب الكيفيات والكيفية لا تكون إلا للمحدث[٢].

والدلالة الظاهرة لهذين الدليلين الأخيرين :"الاقتران" و"التماثل" أقرب إلى إثبات حدوث الصفات منها إلى إثبات حدوث الأجسام وذلك ان الناظر بدقة إلى "الاقتران" و"التماثل" يدرك أننا أمام صفتين من أخص الصفات النفسية للأشياء ، بمعنى ان الجسم وصفاته ان لم يكن فى طبيعة كل منهما القابلية للاقتران ما أقترنا وكذلك الأمر بالنسبة "للتماثل".

فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق للأشياء صفاتها وكيفياتها ، وخلق الصفات لا يبطل القول بمادة قديمة وان كان يبطل القول بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل ، لأن القول "بثبوت الذوات" يقتضي التمايز بينها وإلا لم تكن ذوات ، والتمايز لا يكون إلا بالصفات ، كما أن التماثل والاقتران لا يكون إلا بها أيضا. ولما كان هناك إجماع - من الفلاسفة والمتكلمين - على أن الصفات حادثة بطل القول بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل أو بقدم أعيان العالم. ولما كنا لا نعلم أو نرى في الشاهد اقتران محدث بقديم بطل -أيضا- القول بمادة قديمة .

(جـ) أدلة الكتاب : نحو قول الله سبحانه :"وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" [مريم/٩] وقوله :"هل أتى على الإنسان حين من لدهر لم يكن شيئا مذكورا" [الإنسان/١] ، وقوله سبحانه مذكورا من التأكيد لنفى كون المعدوم شيئا مالا يجوز لمسلم إنكاره .

(د) أدلة السنة : نحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال :"كان الله ولاشيء"[١] وانه ذكر فى بعض خطبه أن الله سبحانه مشيء الأشياء.

---

(١) الإمام حميدان : المنتزع الثاني . لوحه ١٢٦ شمال.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين . لوحة ٢٩ يمين.

(هـ) قول الأئمة : نحو قول أمير المؤمنين رضى الله فى بعض خطبه :"الحمد الله الـــذي دل على وجوده بخلقه ، وبحدث خلقه على أزليته" . وقوله أيضا :"كذب العادلون وجـــار المفترون وخسر الواصفون بل هو الواصف لنفسه والملهم لربوبيته والمظهر لآياته إذ كـــان ولاشيء كائن". وقول الإمام الهادي إلى الحق في كتاب المسترشد :"ولم يزل سبحانه قبـــل كل شيء وهو المشيء لكل الأشياء"[٢].

(و) إجماع المسلمين : حيث ثبت عند جميع المسلمين إن جميع فروع العـــالم أجســـام متضمنة لأعراض ضرورية وأن جميعها محدث*[٣].

ثانيا : نقض مذاهب القائلين بقدم العالم :

(١) نقض مذاهب الفلاسفة :

لقد انتقلت نظريات الفلاسفة ومذاهبهم إلى العالم الإسلامي بعد ترجمتها فى العصـــر العباسي، وكانت الأفلاطونية المحدثة أكثر المذاهب أثرا فى العالم الإسلامي[٤]. وذلك بعـــد

---

(١) رواه أحمد والبخاري والترمذى وغيرهم عن عمران بن حصين قال : قال يا رسول الله أخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ، قال كان الله قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتـــب فى اللـــوح المحفوظ ذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض ، فنادى مناد ذهبت ناقتك يا أبـــن الحصـــين فانطلقت فإذا هي تقطع دونها السراب ، فوالله لوددت أني كنت تركتها. (العجلوني : كشف الخفاء ، حـ٢ ،ص ١٨٩).

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩١.

* ينحاز الإمام حميدان فى هذه المسألة إلى أهل السنة والجماعة الذين دافعوا بكل قواهم عـــن حـــدوث العالم إلى الحد الذي ذهب فيه الغزالي إلى اعتبار حدوث العالم من الأمور المجبولة عليها فطرة الإنســـان [الغزالي : الأحياء، ط ، القاهرة سنة ١٣٢٩هـ ، ص ٧٩] ، وراح يهدم قول الفلاسفة بقدم العالم فى معظم كتبه ، حتى أنه يجعلها المسألة الأولى في كتابه التهافت [الغزالي : تهافت الفلاسفة ، تحقيـــق سليمان دينا ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨، ص ٨٦] .. ويستبعد من ذلك المعتزلة التي قـــالت بثبـــوت ذوات العالم فيما لم يزل ... والمطرفية التي زعمت ان الله لم يخلق إلا أصول العالم – كما سيأتي –

(٣) الإمام حميدان : تعريف التطريف ، لوحة ١٤٩ شمال.

(٤) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام ، حـ١ ، ص ١٧٩

ترجمتها من السريانية إلى العربية بعنوان : "أوتولوجيا أرسطوطاليس"[١] ، وفى ذلك يـــرى بول إدوارد ، ان الخصائص الأساسية للفلسفة الإسلامية قد وضعت باتحـــاد الأرســطية والأفلاطونية الجديدة[٢]. كما يرى كل من المستشرق تنمان[٣] والبارون كاردوفوا هـــذا الرأي أيضا"[**][٤].

وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن "أتولوجيا أرسطوطاليس" هذا ما هو إلا أجزاء من تاسوعات أفلوطين ... ولكنه عرف عند الإسلاميين منسوبا إلى أرسطاطاليس ... نقــل إذن الجانب الأكبر من فلسفة أفلوطين – المنسوبة إلى أرسطو – إلى العالم الإســلامي ، ولم يتنبه الإسلاميون اللهم إلا لمحات فى عقل الفارابي (ت ٣٣٩هـ) ظهرت واختفـــت – أن أثولوجيا لا يمكن أن تنسب لأرسطو ، بالرغم من انه كان واضحا للإســـلاميين أن الآراء المنبثة فى الكتاب تخالف تماما ما وصل إليهم من جوهر فلسفة أرسطو[٥]. ولكن المســـلمين عرفوا أفلوطين أيضا باسم الشيخ اليوناني ، وعرضوا – تحـــت هـــذا الاســـم – المذهـــب

(١) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٢٩٧.

(2) The Encyclopedia of Philosophy. vol. 4 The Macmillan company the free press. New York, Collier, Nac millan limited, London p.219.

(٣) مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٥.

(**) هذا تجن واضح على فلاسفة الإسلام ، فلفلاسفة الإسلام –رغم اعترافنا بالتأثـــيرات اليونانيـــة – فلسفتهم الخاصة التي يبرز فيها بوضوح أثر القرآن الكريم والسنة. وهذا ما يؤكده المفكرون الغربيـــون المعتدلون من أمثال : مونتجومرى وات الذي رد على البارون كارادوفوا الذي كان يحقر مـــن شـــأن العرب ودورهم فى الفلسفة والعلوم [انظر : مونتجومرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربيـــة ، ترجمة حسين أحمد أمين ، ط أولى ، دار الشروق ، القـــاهرة ســـنة ١٩٨٣، ص ٤٦] ، ويقـــول ف. بارتولد:" فلم يقدر السريانيون وهم أرقى شعوب النصرانية فى الشرق على أن ينجبوا عالما واحدا يصح مقارنته بالفارابي وابن سينا والبيرونى [ف. بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طـــاهر ، ط الخامسة ، دار المعارف ، د.ت ، ص ٥٦] ، ويقول روم لاند عن فلاسفة العرب أنهم علموا المفكريـــن المسيحين كيف يوفقون بين الفلسفة والدين [د.عبد الحليم سند الجندي : آفاق إسلامية ، دارســـات فى الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، العدد (٧٧) ، سنة ١٣٨٧ هـــ ، ص ٨٧].

(٤) مونتجومرى وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص ٤٦.

(٥) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام ، حـــ١ ، ص ١٨٢.

الأفلوطيني الحديث فالشهرستاني يتكلم عن هذا الشيخ اليوناني ويذكر رموزه وأمثاله وهي تتناول الهيولى والصورة والعقل الفعال[١]. غير ان المذهب الأفلاطوني الحديث ما لبث ان وجد طريقا آخر إلى تراث الإسلاميين الفلسفي على يد الفيلسوف الوثني الأفلاطوني المحدث برقلس وكان لبرقلس أو بركلس (٤١٠-٤٨٥م) من الأثر الكبير في دوائر الإسلاميين ما يضارع اثر أرسطو نفسه[٢]. مما سبق يتضح ان المذهب الأفلوطيني المحدث - كما عرفه الإسلاميون - احتوى في داخله على خليط ملفق من المذاهب الأفلاطونية والأرسططاليسية والفيثاغورية والرواقية والغنوصية الشرقية[٣]. وهذا الخلط يبدو واضحا في عرض الإمام حميدان.

ولقد أحدثت الأفلاطونية المحدثة ثورة في العالم الإسلامي حيث تأثر بها الفارابي (ت ٣٣٩هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ)[*][٤] ومحمد بن أبي زكريا الرازي (ت٣١٠ هـ)[٥] وابن طفيل (ت ٥٨١ هـ)[٦]، وحاولت أن تنفذ إلى أعماق الحياة الإسلامية فدخلت في الحديث ، وقد عدد الباحثون المحدثون أحاديث قدسية موضوعة وضعت بعد عصر النبي عليه السلام وفيها تلك الصبغة الأفلاطونية المحدثة مثل قولهم :"أول ما خلق الله العقل ، فقال له : اقبل فاقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم على منك بك أخذ وبك أعطي وبك أثيب ، وبك أعاقب"[٧] ... وقولهم :"كنت نبيا وأدم

---

(١) انظر : - الشهرستاني : الملل والنحل ، ص ٤٥٦.

- د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ١٨٠.

(٢) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ١٨٢.

(٣) المرجع السابق. وانظر أيضا : د. محمد البهي : الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، ط٦ ، مكتبة وهبه، القاهرة سنة ١٩٨٢، ص١٢٠.

(*) يتضح تأثير الأفلاطونية في الفارابي وابن سينا في قولهما بان العالم مخلوق بالفيض.

(٤) انظر - د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، حـ١ ، ص ٨٣.

- د. محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ، ص ص ٩،٧

(٥) ابن النديم:الفهرست،تحقيق د. ناهد عباس عثمان،ط١ ، دار قطري بن الفجاءة د.ت، ص ٥٩٦.

(٦) د. محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي . ص ٩٠.

(٧) المرجع السابق .

بين الطين والماء".... وقولهم :"كنت مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق فبه عرفـــوا" .... ولكن علماء الحديث قاوموا كل الافلوطينيات مقاومة عنيفة[١]. وبالإضافة إلى هـــذا فقد تأثر بالأفلاطونية المحدثة بعض الطوائف الخارجة على الإسلام كغـــلاة الشـــيعة .... والبهائية[٢] التي أخذت بكثير من قواعد الفلسفة الافلوطينية الحديثة**[٣].

لكل هذه الأسباب تعرض الإمام حميدان لهذا المذهب وتناوله بالنقض الشديد خاصة وان المذهب يعبر بوضوح عن مذاهب فلاسفة اليونان فى قدم العالم. غير أن معرفة الإمـــام حميدان لهذا المذهب إنما جاءت على النحو الذي عرف به المذهب فى العالم الإسلامي وهـــو -كما سبق- خليط من الأفلاطونية والأرسطية والرواقية والفيثاغورية . ولذلك يتناولـــه الإمام حميدان بالنقض مرة من جهة القول بالفيض ومرة من جهة القول بالهيولى والصـــورة. وسيلتزم الباحث بهذا العرض الإمام حميدان فيعرض لـــــ : أ- الفيـــض. ب- الهيـــولى والصورة .

أ- نقص نظرية الفيض :

زعم الفلاسفة أن العقل الأول من العقول العشرة[٤] التي زعموا أنها قبل الزمـــان والمكان هو أول منفعل انفعل من العلة الأزلية التي وصفوها بأنها علة العلل وأنها واحـــدة لا

---

(١) انظر نقد الإمام حميدان لهذا الحديث ، الفصل الثاني ، ص من هذا البحث.

(٢) البهائية مذهب ديني تأسس ١٨٦٣ هـ يؤمن بوحدة الأديان ، ويلون من التربية العالمية وبسياســـة السلام ، ويحبذ بساطة العيش ، انتشر المذهب فى القرن العشـــرين مؤسســـة بهـــاء الله (١٨١٧-١٨٩٢م) [الموسوعة الثقافية، حـــ١ ، إشراف محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، الطبعة الثانيـــة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٣٣٧].

** أمدت الأفلاطونية المحدثة هذه الطوائف بالكثير من الأفكار الدخيلة على الإسلام مثل وحدة الوجـود ، واتحاد العاقل والمعقول ، وفيض عالم الوجود من المبدأ الأول وسجن روح الإنسان فى البدن ...الخ.

(٣) د. على سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي فى الإسلام ، حـــ١ ، ص ١٨٠.

(٤) أزعم أن هذه فكرة خاطئة عن نظرية الفيض، ذلك أن العلة الأولى أو آله أفلوطين لم يصدر عنـــه إلا العقل الكلى وهذا العقل الكلى بدوره صدر عنه النفس الكلية ، ومن النفس الكلية صدر العـــالم المادي وما فيه من حيوانات وشمس وكواكب وسماء وما يحكمها من نظام ... الخ.

كثرة فيها وانه لا يصدر عنها إلا معلول واحد وان صور جميع الأشياء كامنة فيـــها قبـــل ظهورها وموجودة فيها بالقوة قبل وجودها بالانفعال. قالوا وذلك العقل الأول هو العقـــل الكلى وسائر العقول جزئيات له ، والنفس المنفعلة منه هي الكلية وسائر النفوس جزئيـات لها ، قالوا : وهذه النفس الكلية إذا أضيفت إلى ما بعدها من العقول فهي عقل وما أشـــبه ذلك من أقوالهم التي هي الأصل لكل غال ومنها تفرعت كل بدعة باطلة نحو قول المجـــوس أن الميت منهم إذا لقي النار صعدت به إلى النور ... وقول المعتزلة بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل[1]. والذي يدل على بطلان مذهب الفلاسفة عدة أمور منها :

١- كونها على الجملة مذهبا مخالفا لمذهب أهل ملة الإسلام فيما الحق فيه مع واحد وذلك ظاهر إذ ليس غرضهم إلا نفى الصانع المختار* وتعطيل الشرائع وإنكار القول بالبعث والحساب[2]، وقد ثبت بالأدلة الصحيحة صحة الإسلام وبطلان كل ما خالفه وذلك لأن كل مذهبين نقيضين إذا صح أحدهما فإن صحته تدل على بطلان نقيضه ، وهـذا الدليل مما يعلم ضرورة.

٢- كونها بدعا مخترصة وهم لا ينكرون ذلك لأنهم يفخرون بأن علماءهم وقدمـاءهم أول من استنبط معانيها بدقة نظر وسمى ما سمى منها ووصفها بأنها علوم إلهية فجـــرت فى ذلك مجرى ما ذمه الله سبحانه بقوله :"إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مـــا أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن" [النجم/ ٢٣].

أنظر-الشهرستانى: الملل والنحل ص ٤٥٩ - يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانيـة ، ص ٢٩١-٢٩٤. د. على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي جـ١، ص١٨١. -د. محمد البهي: الجـــانب الإلهي في التفكير الإسلامي، ص١١٧. - د. عزت قرني : الفلسفة اليونانية ابتداء من أرسطو طبعة بالآلة الكاتبة ، مكتبة سعيد رأفت ، عين شمس ، د.ت ، ص ٣٠٧-٣١٣].

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ١٧ يمين.

* ترى الأفلاطونية أن العقل الأول صدر عن الموجود الأول بالطبع لا بالإرادة لأن الإرادة توجب كـثرة فيه [د.محمد البهي : الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي ، ص ١٥١-١٦٧، و د.محمـــد يوسـف موسى : الإلهيات بين الدين والفلسفة ، ط القاهرة ، سنة ١٩٥٩، ص ٥٦-٥٧].

(٢) كان إنكار الفلاسفة لحشر الأجساد أحد ثلاث أصول كفرهم بسببها الإمام أبو حامد الغزالي [تهافت التهافت ، ص ٣٠٨، المنقذ من الضلال ، ص ١٥٧].

٣- كونها خارجة عن حد العقل لوجهين : أحدهما تفكرهما في كيفية مبدأ الخلق وما أشبه ذلك من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه ، وكذلك قال سبحانه :"ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم" [الكهف/٥١]، والثاني إنكارهم لما يعقل وإثباتهم مالا يعقل. أما إنكارهم لما يعقل فنحو كون أنواع المتولدات من الحيوان والنبات وما فيها من جنس التدبر والتسخير والتركيب العجيب ليس دالا على أن الله صانع مختار ، وأما إثباتهم لما لا يعقل فنحو إضافتهم ذلك إلى علل ... مخلوقه ، ونحو تجويزهم لكمون الضد في ضده ووجوده قبل وجوده وقدمه قبل حدثه وما أشبه ذلك من الحالات الخارجة عن حد العقل.

٤- كون أكثر عباراتهم متناقضة في اللفظ والمعنى ، نحو وصفهم للعلة الأزلية بأنها واحدة لا كثرة فيها ونقضهم لذلك بقولهم إن صور جميع الأشياء كامنة فيها ، وكل مكمون فيه فالكامن بعضه أو في بعضه[1] وكل ماله بعض فليس بواحد على الحقيقة ولا بأزلي ، ووصفهم للعقل الكلى بأنه أزلي لأجل أزلية علته وانه لا يجوز أن تتوسط المدة بين العلة ومعلولها ونقضهم لذلك بوصفهم له بالانفعال منها ، والمنفعل لا يعقل كونه منفعلا إلا إذا كان بعد إن لم يكن لعدم الفرق بين الفعل والانفعال وكون كل واحد منهما محدث، ووصفهم للعشرة عقول بالتقدم والتأخر ونقضهم لذلك بقولهم : إنها موجودة قبل الزمان والمكان إذ لا يعقل الفرق بين المتقدم والمتأخر من الأشياء المنفعلة إلا بالوقت

---

(١) تعرضت نظرية الكمون في العالم الإسلامي لعدة انتقادات هامة : (أ) امتناع وجود جرم متناه مؤلف من أجزاء بلا نهاية كانت أجراما ما أو غير أجرام ، كانت متساوية الكم ان كانت أجراما أو مختلفة. (ب) يقال للقائل بالكمون هل العناصر وقت الكمون سواسية ؟ أم لا ؟ وان كانت سواسية فلم خرج من الشيء ماء ولم يخرج نارا ؟ ولا تصح المفاضلة هنا إذا كانت سواسية وبقي الكامن كما هو. أما إذا لم تكن الأشياء الكامنة سواسية وكان أحد العناصر هو الغالب ، فكيف تخرج سائر العناصر ؟ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ما الذي يخرج هذه الأشياء الكامنة إن كان القائل بالكمون من أولئك القائلين بالطبع. (جـ) يرى البعض ان النار الخارجة من الحطب ليست كامنة فيه ولكنها حاصلة عن احتدام الهواء إذا احتك العود بالعود وحمى ما بينهما من الهواء. [د. فيصل بدير عون : فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ، ص ١٨٠].

والمكان إذ لولا ذلك لما علم الفرق بين كون الثاني ثانيا والثالث ثالثا ولا بين رتبتيـــهما ولا انفعالهما[١].

وبهذا ينضم الإمام حميدان إلى ركب المفكرين المسلمين الذين أخذوا على عاتقـــهم هدم نظرية الفيض كالجويني (ت ٤٧٨هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ) وأبي البركات البغدادي (ت ٥٤٧هـ). كما سينضم إليهم من بعد ابن تيميه (ت ٧٢٨هـ) وتلميذه ابن القيـــم (ت ٧٥١هـ).

ومن الجدير بالذكر هنا أن نقض نظرية الفيض لم تتوقف على المتكلمين وحدهم بـل إن ابن رشد قد هدم المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه نظرية الفيض وهو : "إن الواحـــد لا يصدر عنه إلا واحد وهو يستشهد بأرسطو حين يذهب إلى إن الواحد تصدر عنه أشـــياء كثيرة ، وهذه قضية صادقة ، إذ ليس هناك ما يحول مطلقا دون أن تصدر المخلوقات كلها دفعة واحدة بإرادة الله ومن غير أن يكون هناك حاجة إلى توسط عقول خالقة إلى جـــانب الله ، كما زعم الفارابي وابن سينا[٢]. وكذلك أنكر ابن رشد القول بوجود عشرة عقـــول مفارقة تأتي في ترتيبها بعد الله[٣].

ب- نقض نظرية الهيولى والصورة :

يقسم الإمام حميدان الكلام فى الهيولى والصورة إلى ذكر ما ابتدعـــهما ، وذكـــر تفسيرهما ، وذكر مثالهما ، وذكر الغرض المقصود بهما ، وذكر جملة مما يدل على بطلانه.

أما من ابتدعهما فهم الفلاسفة الذين زعموا أن علمهم إلهي وأن أدلتـــهم براهـــين باهرة وان ألفاظهم منطقية مهذبة . وأما تفسيرهما فلا فرق بينهما فى المعنى وبين الأصـــــل والفرع والجنس والنوع . وأما ذكر مثالهما : فيما ضربوه لهما مثلا الحديد وما يعمل منـــه من الآلات المختلفة الصور والأسماء نحو السيف والسكين والمنشار وما أشبه ذلك، فزعموا ان الهيولى هو الحديد وان الصورة التي هبة ما يعمل من الحديد كانت كامنة قبل ظهورها ،

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ١٧-١٨.

(٢) د. محمود قاسم : ابن رشد وفلسفته الدينية ، ط القاهرة ، سنة ١٩٦٤ ، ص ١٨٩.

(٣) د. محمود قاسم : نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند توماس الاكوينى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٢١.

قالوا : وكذلك صورة الحديد كانت كامنة فى المعدن ، وكذلك هيولى المعدن حتى ينتهوا إلى علة العلل التى زعموا ان صور جميع الأشياء الحادثة كانت كامنة فيها وموجودة فيها بالقوة ، قالوا : وكذلك القول فى جميع صور الحيوانات والنباتات.

أما غرضهم الذي قصدوه فهو جعلهم لذلك مقدمة للقياس وشبكة يقصدون بها الأعجاز كغيرها من المقدمات التى يستحوذون بها على عقل المتعلم حتى لا يخطر بباله شك فى صحتها ، وفى أن نظره فيها واستدلاله بها يدله على صحة القول بالعلل المؤثرة وبطلان القول بالصانع المختار عقلا بزعمه لا تقليدا ، ولم يشعر بكونه مقلدا فى قبوله لتلك المقدمات من غير نظر فى صحتها وصحة ما تؤدى إليه من المحالات الخارجة عن حد العقل[1]. هذا فضلا عن إثباقم لقدم أعيان العالم ، وانه موجود بالقوة فيما لم يزل قبل وجوده بالفعل[2]. ومما يدل على بطلان هذا المذهب :

١- كونه دعوى مبتدعة لفظا ومعنى بغير دليل ، ومع ذلك فإن الصورة لا تعقل كونها صورة إلا إذا كانت فعلا لمصور ، كما أن الصورة التي تعمل من الحديد لا يصح كونها صورة إلا إذا كانت لمصور صورها ، وكذلك كل صورة معمولة فى الشاهد لابد لها من فاعل مختار.

٢- أن كل عاقل غير مكابر لعقله يعلم ضرورة انه يستحيل كمون جملة الإنسان بما فيه من أنواع الأجسام المختلفة والأعراض المتضادة وبما فيه من حياة وقدرة وسمع وبصر ، ونحو ذلك فى نطفة قليلة ضعيفة ميتة ، وكذلك يعلم أيضا من طريق الاستدلال العقلي ان ما فى الإنسان من أثر الصنع العجيب يدل على ان له صانعا حيا قادرا عالما.

٣- هذا مع ما ورد به نص الكتاب من الآيات الدالة لكل عاقل على صحة ما دل عليه العقل نحو قول الله سبحانه : "يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك فى أي صورة ما شاء ركبك" [الانفطار/٥-٨] وقوله :"هو الذي يصوركم فى الأرحام كيف يشاء" [آل عمران/٦] ، وما أشبه ذلك مما هو على

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٢ يمين.

(٢) المرجع السابق ، لوحة ٢٧ يمين.

الحقيقة علم إلهي وبراهين واضحة خلافا لما ادعته الفلاسفة من المحال وزخرفته من الأقوال[١]. ومن ثم يتضح أن نقض الإمام حميدان لنظرية الهيولى والصورة يأتي من منطلق ان الوجود لديه من العدم . وليس من تلك المادة القديمة اللامتعينة التي هي الهيولى ، حيث لا إيجاد – كما تقول د. فوقية حسين محمود – من عدم ولكن خروج من القوة إلى الفعل[٢].

ويرى جولد تسهير ان مسألة أزلية العالم كانت من أكثر المسائل التي فصلت بين المتكلمين والفلاسفة المشائين[٣] وهذا قول لا ريب فيه إذ أنها إحدى ثلاث مسائل دفعت الغزالي لتكفير الفلاسفة[٤].

(٢) نقض موقف المعتزلة :

إن موقف المعتزلة – فيما يتعلق بقدم العالم وحدوثه – موقف متناقض ذلك إنهم ذهبوا إلى أن ذوات العالم ثابتة فيما لم يزل[٥] ونفيهم لقدم أعيان العالم ووجودها فيما لم يزل . وهم فى ذلك يتخذون مذهبا متوسطا بين مذهب العترة ومذهب الفلاسفة لأنهم لو لم يقولوا بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل لكان ذلك دخولا فى الجملة التي عابوها على العترة عليهم السلام، وهى قولهم أنه لاشيء فيما لم يزل إلا الله سبحانه ، ولو قالوا بقدمها لكان ذلك لحوقا بما اظهروا إنكاره من مذاهب الفلاسفة وهو قولهم بقدم أعيان العالم ووجودها بالقوة فيما لم يزل[٦]. وقد استدلت المعتزلة على أن ذوات العالم قبل وجودها أشياء ثابتة فيما لم يزل بأمرين : الأول : قول العرب الشيء لا يخلو إما أن يكون موجودا أو معدوما[٧]. الثاني : تعلق العلم أو القدرة بالمقدور حيث ذهبوا إلى أن كل معلوم لله سبحانه

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٢.

(٢) د. فوقية حسين محمود : الفلسفة الإسلامية فى المشرق ، ط بالأوفست ، عام ١٩٨٣ ، ص٨٥

(٣) د. محمد جلال شرف : الله والعالم والإنسان فى الفكر الإسلامي ، ص ٤٨١ .

(٤) الغزالي المنقذ من الضلال ، ص ١٥٧

(٥) هذا مذهب سائر المعتزلة [انظر المنيه والأمل ص ١٥]

(٦) الإمام حميدان التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحه ٩٦ يمن

(٧) المصدر السابق ، لوحه ٩٩

فيما لم يزل فإنه (يجب) أن يكون ثابتا فيما لم يزل لأجل كونه سبحانه عالما فيما لم يـــزل[١]، أو لأجل كونه قادرا فيما لم يزل[٢]. قالوا ويجب ان تكون مقدوراته سبحانه لانهاية لها لأجل كونه قادرا لذاته أو لما هو عليه فى ذاته على حسب اختلافهم فى الموجب لكونه قادرا[٣] .

والذي يدل على بطلان مذهب المعتزلة ما يأتي :

١- إن استشهاد المعتزلة بقول العرب أن الشيء لا يخلو إما أن يكون موجودا أو معدومـا إغلاط بين لأن العرب تستعمل المجاز فى تسميتهم للشيء معدوما إذا كان لا يوجد فى اكثر المواضع وان كان موجودا فى بعضها ، وكذلك فى تسميتهم للمعدوم شيئا بمعنى أنه سيكون شيئا ، وعلى ذلك حمل الأئمة رضى الله عنهم قول الله سبحانه :"إن زلزلة الساعة شيء عظيم" [الحج/١] وإلحاق المجاز فى القسم الحاصرة بالحقيقة مغلطة لأنهـا موضوعة للحقيقة دون المجاز بإجماع كل عاقل عالم.

٢- إن العالم قبل وجوده ليس بشيء وإذا لم يكن شيئا فهو لاشيء لعدم الواسطة بين النفي والإثبات وإذا كان لاشيء فإدخاله فى قسمة الشيء تدليس ظاهر، مع ما يلـــزم فى ذلك من التناقض لأنه إذا كان لاشيء لم يكن بين قول من يقول "الشيء لا يخلو مـن أن يكون موجودا أو معدوما فرق وبين قول من يقول الشيء لا يخلو من ان يكـون شيئا أو لاشيء ، وذلك باطل وبطلانه دليل على صحة قسمة أئمة العـترة عليـهم السلام فيما تقدم ذلك ... من ذلك قول القاسم الرسى :"الأشياء ليست إلا قديما أو حادثا لا يتوهم متوهم وجها ثالثا"[٤].

٣- اصطلاح المعتزلة على الفرق بين أسماء مترادفة نحو فرقهم بين ذات الشيء وعينة وبين القدم والأزل والوجود والثبوت فى وصفهم لذات العالم بأنها ثابتة فيما لم يزل ونفيهم

---

(١) المرجع السابق ، لوحة ٩٠ شمال.

(٢) من القائلين بهذا النظام من البصريين ، وبشر بن المعتمر والإسكافي من البغداديين [الخياط : الانتصـار ، تحقيق نيبرج ، ط القاهرة الأولى ، سنة ١٩٢٥، ص ١٣، ٣٢].

(٣) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٩ شمال.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٩٩.

لقدم أعيان العالم ووجودها فيما لم يزل[١]. وهم بذلك يخرجون على عرف أهل اللغة العربية فى ذلك وهو أنه لا يجوز أن يعبر بالأزل بدلا عن القدم وبالوجود بدلا عن الثبوت وبالعين بدلا عن الذات ، وانه لا يجوز ان يقال ان الله قديم غير أزلي ولا موجود غير ثابت .... فكل اسمين جاز أن يعبر بأحدهما بدلا من الثاني فهما من الأسماء المترادفة على مسمى واحد ، وفى ذلك دليل على أنه لا خلاف بين من قال بقدم أعيان العالم وبين من قال بثبوت ذواته فيما لم يزل إلا فى اللفظ دون المعنى الذي اجمعوا فيه على مخالفة الموحدين المحققين[٢].

٤- لم يتمكن المعتزلة بقولهم هذا من أن يفرقوا بين ذات البارئ سبحانه وبين سائر الذوات بالوصف بالثبوت فيما لم يزل ، ولا فى أنه يصح العلم بكل واحدة منها على انفرادها لأنه قد انتظمها وجمعها الحد المنطقي بزعمهم[٣].

٥- إجماع المعتزلة على أن ذوات العالم هى العالم ، والعالم محدث والحدث نقيض الأزل فيجب أن يستحيل الجمع بين وصف ذوات العالم بأنها محدثة وثابتة فيما لم يزل ، وكذلك فانه يستحيل بإجماعهم وجود ذوات العالم فيما لم يزل فيجب أن يستحيل ثبوتها فيما لم يزل لعدم الفرق المعقول بين الثبوت والوجود.

٦- إن الله سبحانه قد اخبر فى محكم كتابه بأنه الأول وثبت بأدلة العقل أنه سبحانه ثابت فيما لم يزل وانه لا أول لثبوته ، فلو كان ذوات العالم كما زعموا ثابتة فيما لم يزل لم يكن ما لا أول لثبوته أولى بالأولية مما لا أول لثبوته[٤].

أما قولهم بالتعلق (أي تعلق العلم أو القدرة بالمقدور) فقد نتج عنه عدة محالات منها:

١- تفكرهم في ذات البارئ سبحانه حتى أداهم ذلك إلى أن يثبتوا له ذاتا يصح العلم بها على انفرادها كسائر ذوات العالم بزعمهم ، وإلى أن يشاركوا بينه وبين سائر الذوات في الذاتية ، وإلى أن يثبتوا له صفة أخص يفارق بها سائر الذوات ، وإلى أن يجعلوا

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٦ يمين.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٩٦.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٨٩ شمال.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٩٠ شمال.

تلك الصفة الأخص مقتضية لكونه قادرا وعالما وحيا وموجـــودا ، وإلى أن يجعلـــوا لكونه قادرا أو عالما تعلق فيما لم يزل بذوات المقدورات والمعلومات.

٢- قصرهم لعلم الله سبحانه فيما لم يزل على مجرد ذوات العـــالم دون كونــه أجســاما وأعراضا وحيوانا وجماد.

٣- قصرهم لكونه سبحانه مؤثرا على مجرد صفة زعموا أنها لاشيء ولا لاشيء وهي وجو العالم.

٤- جمعهم بين وصف العالم بأنه محدث وأن ذواته ثابتة فيما لم يزل[1].

ومما يدل على بطلان القول بالتعلـــــــــق :

١- أنه لا فرق بين توهمهم أن ذوات المقدورات والمعلومات ثابتة فيما لم يزل لأجل كـــون الله سبحانه قادرا وعالما فيما لم يزل وبين توهم من توهم من الفلاســـفة أن حكمـــة البارئ التي هي جميع صنعه موجودة فيما لم يزل لأجل كونه سبحانه حكيما فيمـــا لم يزل.

٢- لا فرق بين توهمهم هذا وبين ان يتوهم متوهم أن جميع المسموعات والمبصرات ثابتـــة فيما لم يزل لأجل كون البارئ سبحانه سميعا بصيرا فيما لم يزل.

٣- إنه ما من دليل يصح أن يستدل به على ثبوت ذوات المقدورات والمعلومات فيمـــا لم يزل لأجل كون البارئ سبحانه قادرا وعالما فيما لم يزل إلا ويصح أن يـــدل ذلـــك الدليل على ثبوت المحكمات والمسموعات والمبصرات فيما لم يزل لأجل كون البـــارئ سبحانه حكيما وسميعا وبصيرا فيما لم يزل. وانه ما من دليل يصح أن يستدل به على بطلان ثبوت المحكمات والمسموعات والمبصرات فيما لم يزل إلا ويصح أن يدل ذلـك على بطلان ثبوت المقدورات والمعلومات فيما لم يزل ... ولذلك ذهب الأئمة رضوان الله عليهم إلى استحالة وصف العالم بأنه محدث وثابت فيما لم يزل فكون ذلك محالا مما يعلم ضرورة[2].

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ١٠٢ شمال.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ١٠٢ شمال.

٤- إن هذا القول يؤدى إلى بطلان أدلة العقل والسمع وإبطال معنى التوحيد لأنه سبحانه قد أخبر أنه لا يحاط به علما فلو كانت ذاته كما زعموا يصح العلم بها على انفرادها كسائر الذوات للزم ان لا يكون بين ذاته وبين سائر الذوات فرق فى أن يحاط بهـــا علما[1].

٥- وكذلك يؤكد بطلان قول المعتزلة بأن مقدورات البارئ سبحانه ثابتة فيما لم يزل وانه لانهاية لها إقرارهم بأن ذوات العالم هي بعض المقدورات التي زعموا أنها ثابتة فيمـــا لم يزل وأنه لانهاية لها وإقرارهم بأن للعالم نهاية فيلزمهم باضطرار أن يكون لكلها نهايـــة لأن ماله بعض فبعضه لا يخلو من أن يكون مثله أو أقل أو أكثر وكـــل موصـــوف بالتساوي فى القلة والكثرة متناه وكل متناه محدث والحدث نفيض الأزل[2].

وعلى الرغم من أن البغدادي وغيرهم من القائلين بهذا المذهب يرون أنه لا يلزم من عدم نهاية الأشياء عدم أوليتها لأن هناك فرقا بين أوائل الأشياء وأواخرها ، وأن عدم ابتداء الأشياء محال : لأنها لو بقيت تتسلسل ولم تقف عند شيء تبتدئ منه لاستحال إلا يكون لها أول تبتدئ منه وثبت أن لها أول ابتدأت منه[3]. نقول على الرغم من ذلك فـــإن بعـــض المعتزلة قد رفضوا هذا القول مثل ابن متوية الذي يبطل هذا القول بافتراض حبل مقـــدر بطول العالم محيط به ، فمتى قطعنا من وسطه أذرعا ثم ضممنا بينها فلابد من نقصان يوجـد فيه ، فإذا أعدناه إلى حالته الأولى، توجد فيه زيادة ، وما هذا سبيله فهو متناه ، فكذلـــك يجب فى العالم المقدر بهذا الحبل ، ولا يمكن المنع من صحة ضم أحد الطرفين إلى الآخر لأنـه لا مانع منه. هذا إذا قالت الثنوية بأن لانهاية للعالم فأما من حيث العدد فإثبـــات الجـــزء يبطله[4]. وقال ابن الراوندي (ت٢٤٥ هـــ) :"أنه محال عند النظام فى قدرة الله ان يزيد فى الخلق شيئا أو ينقص منه شيئا[5] ليس هذا فحسب بل إن أبا الهزيل أوجب للحركات نهاية

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٩٠ -٩١.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٩١ يمين.

(٣) د. عبد الستار عز الدين الراوي : "ثورة العقل"، ص ١٧١.

(٤) ابن متوية : التذكرة فى الجواهر والأعراض ، جـ١ ، ص ٩٨

(٥) الخياط : الانتصار ، تحقيق ، نيبرج ، طبعة القاهرة الأولى ، سنة ١٩٢٥، ص ٣٢

حتى يكون لها بداية[1] لأنه لو لم تكن للحركات نهاية لم يكن لها بداية ، ولو لم يكن لها بداية كان العالم قديما ، ومثل هذا يهدد مبدأ التوحيد ، ولأن العالم حادث فوجب ان يكون للحركات نهاية.

وعلى ما سبق يتضح بطلان مذهب الفلاسفة والمعتزلة وصحة مذهب أئمة العترة وهو: أن الله سبحانه عالم بكل شيء يصح العلم به من صفة وموصوف وان علمه بذلك فيما لم يزل لا يوجب ثبوت شيء من خلقه قبل أن يجعله شيئا ولا ثبوت شيء من أفعال عباده قبل أن يفعلوها ، وأنه لا يجوز أن يوصف بالثبوت فيما لم يزل إلا الله وحده لا شريك له ، وانه سبحانه قادر على أن يخلق (خلق) بعد خلق إلى مالا نهاية له ولا يجوز أن توصف مقدوراته سبحانه بأنها ثابتة لأجل كونه قادرا فيما لم يزل ولا بأنها لانهاية لها لأجل كونه سبحانه قادرا لذاته[2].

وهكذا يظل قياس الغائب على الشاهد الثغرة التى يؤتى من قبلها مذهب المعتزلة ذلك أن اشتراط تعلق القدرة او العلم بالمقدور كشرط ضروري لإيجاد المقدور لا ينطبق إلا على عالم الشهادة فالنجار مثلا لا يستطيع ان يصنع السرير إلا إذا كانت صورة السرير فى ذهن النجار وفى مقدوره ولذلك جاءت انتقادات الإمام حميدان للمعتزلة صائبة وقاتلة.

سابعا: كيفية فناء ذوات العالم:

مذهب أئمة العترة أن الله سبحانه قادر على أن يفنى من ذوات العالم ما شاء ويبقى ما يشاء باختياره. والفناء على ثلاثة اضرب : الضرب الأول : فناء الأوقات وسائر الأعراض[3] وفنائها هو عدمها ، والعدم ليس شيئا فيتوهم أو يعبر عنه بغير ما يرجع الى

---

(١) المرجع السابق ، ص١٥.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٠.

(٣) انقسم المتكلمون إزاء فناء الأعراض الى ثلاث فرق : قال قائلون: الأعراض كلها لا يقال أنها تفنى لان ما جاز أن يفنى جاز ان يبقى. وقال قائلون : هي تفنى بمعنى تعدم- هذا الرأي كما يتضح هو الذي يعتنقه الإمام حميدان- وقال قائلون: ما يجوز أن يبقى منها يجوز ان يفنى ، وما لا يجوز أن يبقى منها لا يجوز أن يفنى". [الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ٢ ص٤٨].

النفي والبطلان . الضرب الثاني : فناء الحيوانات والبشر[١] وهو التفريق بين أرواحها وأجسادها بالموت. والضرب الثالث: فناء الجمادات النامية والجامدة وهو بالتفريق بين مجموعها بالبلاء والإحراق ونحوه.

أما مذهب المعتزلة فهو أنه لا يصح فناء بعض الجواهر دون بعض بل يجب بزعمهم إذا أراد الله سبحانه إفنائها أن يوجد عرضا لا في محل مضادا لها فينفيها دفعة واحدة ثم يفنى بعدها . والذي يدل على صحة مذهب أئمة العترة وبطلان مذهب المعتزلة :

١- أن مذهب المعتزلة في ذلك متضمن لمحالات ظاهرة .
٢- أن أقوالهم فيه متكلفة غير معقولة ولا مسموعة ممن يجب قبول أخباره عن الغيب.
٣- أن قولهم بفناء الجواهر إذا أرادوا به مجرد ذواتها التي زعموا أنها قبل وجودها جواهر ثابتة فيما لم يزل فذلك باطل عندهم خاصة لأنهم لا يجيزون خروجها عن كونها ذواتا فيما لم يزل وفيما لا يزال، وإن أرادوا به الصفة المتجددة التي هي الوجود فوصفها بأنها تفنى باطل لأنها عندهم ليست بشيء ولا لاشيء.
٤- جعلهم لفناء الجواهر موجبا عن علة ومنعهم من أن يكون الله سبحانه قادرا على إفناء بعض الجواهر دون بعض ، وإنكارهم لفناء ما قد فنى من ذوات الأمم الخالية والأجسام البالية.
٥- جعلهم للفناء عرضا موجودا لا فى محل وهو محال على ما تقدم.
٦- مضادتهم بين الجوهر والعرض بغير دليل معقول ولا مسموع.
٧- إيجابهم لفناء الفناء لا لأمر[٢].

وفضلا عن هذه الأدلة العقلية التي تبين بطلان مذهب المعتزلة وصحة مذهب الأئمة فهناك أدلة الكتاب والسنة وأقوال الأئمة .

أما الكتاب فمثل قول الله سبحانه: "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام" [الرحمن/٢٥-٢٦] وأشباه ذلك مما يتضمن معنى الإفناء في الآيات التي ذكر

---

(١) في الأصل "الحيوانات البشرية" لكن هذه العبارة لا توافق مذهب الإمام حميدان الرافض للمنطق الأرسطي وتقسيماته.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٤.

فيها التغيير والتدمير والهلاك للأمم التي أخبر أنه نفى عنها البقاء : ولا واسطة بين البقـــاء والفناء.

وأما السنة : فمثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : "اتقوا الله حق تقاته واسعوا فى مرضاته وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء"[١]. وقوله صلى الله عليه وعلى آلــه وسلم : "ليس لك من مالك إلا ما أكلــت فــأفنيت أو لبســت فــأبليت أو تصدقــت فأمضيت"[٢].

وأما أقوال الأئمة فمثل قول الحسين بن القاسم فى كتاب مهج الحكمة : "الفنـــاء يخرج على وجهين فناء العينونة وفناء البطلان ... فأما فناء البطلان فهو فناء الأعراض مــن ذلك زوال العافية والأمراض ومن ذلك بطلان السكون والحركات اللذين همـــا حقيقــة الساعات. وأما فناء العينونة فهو عرض حادث فى الجسم عند افتراقه وعند ... انحرافـه ألا ترى انك لو ألقيت قطرة من دم في البحر لتفرقت ولما شوهدت بعد سقوطها ولا وجــدت وهى موجودة فى البحر ما برحت غير أنها غابت وافترقت."[٣].

وبهذا يتضح أن الإمام حميدان كما استخدم الجسم والعرض ليؤكد بهما وجــود الله سبحانه وتعالى وحدوث العالم فان مذهبه فى الفناء يأتى ليؤكد أن قدرة الله سبحانه وتعــالى بلا حدود ، وهنا تبرز مفارقة أخرى واضحة بين المتكلمين والفلاسفة حيث يقول: الفلاسفة بأبدية العالم -كما قالوا بأزليته من قبل- حتى أن ابن سينا يسلم مع أرسطو بالأبدية كمــا تصورها ... فهي منذ الأزل وإلى الأبد[٤] وكذلك ابن رشد الذي سلم مع الفلاسفة بأنه لا

---

(١) لم أعثر على هذا الحديث لا في كتب الصحاح ولا في كتب الموضوعات، غير أن متنه كما هو واضح لا يعارض شيء من الدين.

(٢) رواه مسلم والطيالسى والنسائي والترمذي والقضاعى وآخرون عن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ "ألهاكم التكاثر" قال يقول ابن آدم ما لي وليــس لك وذكر الحديث (بدون تصدقت فأبقيت) ، وزاد الندم فى آخره أو تصدقت فأمضيت [العجلونى : كشف الخفاء جـ٢، ص٢٤٢-٢٤٣].

(٣)الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٩٥.

(٤) حمودة غرابه : ابن سينا بين الدين والفلسفة، طبعة القاهرة، سنة ١٩٤٨م، ص١٤٧-١٥٠.

نهاية لدورات الفلك فى المستقبل[١] مما يعنى القول بأبدية العالم ولذلك يفسر "الحدوث" بمعنى التبدل والتغير والتحول الذي لا يحمل معنى العدم والفناء والانقضاء[٢].

وبهذا يتضح - أيضا - ما قلناه من قبل من أن أبحاث الإمام حميدان الطبيعية لم تـأت مستقلة عن مذهبه فى الذات والصفات الإلهية.

تعقيب:

مما سبق يتضح الآتي:

١- إن بحوث الإمام حميدان فى مجال الطبيعة لم تأت مستقلة قائمة بذاتها أو بمعنى آخر وهو ان الإمام حميدان لم يهدف فى بحوثه الى وضع نظرية فى الفلسفة الطبيعية وانما قصد تأكيد نظريته حول المشكلات الإلهية كمشكلة الذات والصفات والكلام والرؤية .. الخ.

٢- إن الإمام حميدان ابتعد عن استخدام المصطلحات الفلسفية اليونانية ولم يستخدم إلا لفظ "العرض" إلا أنه -كغيره من المفكرين المسلمين - قد وضح له مدلولا يختلف عن مدلوله عند فلاسفة اليونان .

٣- إن الإمام حميدان استخدم لفظي الجسم والعرض لإثبات حدوث العالم وفى نفس الوقت لإثبات وجود الله سبحانه من حيث حاجة المحدث إليه سبحانه.

٤- إن الإمام حميدان فيما يتعلق ببحوثه فى الطبيعة قد دنى من أهل السنة وخاصة الأشعرية - على الرغم من هجومه الشديد عليهم - يتضح ذلك فى تعريفه للعالم وتعريفه للشيء ورفضه لشيئية المعدوم .. الخ.

٥- لقد جاء رفض الإمام حميدان للجزء الذي لا يتجزأ على أساس انه موجود ذهني ، بينما الوجود الحقيقي عنده هو الجسم ذلك الذي يشغل الجهات الست أو ماله طول وعرض وعمق، أو ما يحله العرض ، وهذا ما يؤكد واقعيته كمفكر مسلم.

---

(١) ابن رشد : تهافت التهافت ،تحقيق د. سليمان دنيا، دار المعارف مصر ، د.ت، ص٨٥.

(٢) د. محمد عمارة: المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد ، ص٦٤.

٦- إن الإمام حميدان يؤمن بقدرة الله المطلقة على خلق العالم أو إيجاده أو إحداثه من العدم المحض والذي تأكد من خلال الأتي :

أ- تصديه لأبطال مذاهب الفلاسفة الفاسدة وخاصة نظرية الفيـــض والقـــول بـــالهيولى والصورة والقول بالكمون وإبطال اللاتناهي في الوجود .... الخ لعلاقة هذه الأقـوال بالقول بقدم العالم.

ب- تصديه لقول المعتزلة بثبوت ذوات العالم فيما لم يزل لعلاقة القدرة أو العلم بالمقدور لما في ذلك من شبهه القول بقدم العالم.

والباحث يأخذ على المعتزلة التي قالت بثبوت ذوات العالم فيما لم يـــزل باعتبارهـــا معلومات تتعلق بعلم الله القديم ، أنها لم تطبق كلامها هذا على القرآن الكريم ، ولو فعلـت لأقرت بأن القرآن قديم من حيث تعلقه بعلم الله ولكنها لم تفعل وزعمت أن القرآن حادث معنى ولفظا .... فهل ذوات العالم أشرف وأعظم من القرآن الكريم حتى تتعلق بعلـــم الله ؟ ولا تتعلق به معاني القرآن الكريم ؟!.

لهذا نقرر أن هذا تناقض واضح في المذهب المعتزلي.

الفصل السابع
[الفعل الإنساني]

تمهيـــــــــــــد.

أولاً : أهم الاتجاهات التي تناولت فعل الإنسان:

الاتجاه الأول : اتجاه القدرية.

الاتجاه الثاني : اتجاه الجبرية.

الاتجاه الثالث : اتجاه أهل السنة والجماعة.

ثانياً : الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية :

أ- الإرادة الإلهية.

ب- الإرادة الإنسانية.

ثالثاً : الفعل الإلهي والفعل الإنساني .

أ- حقيقة الفعل.

ب- أفعال الله . ما هي ؟

جـ- أفعال الله . هل تعلل بالأغراض ؟

د- الفعل الإنساني .



تمهيــــد :

إن مشكلة الحرية الإنسانية قد شغلت الفكر الإنساني منذ زمن بعيد ، وليس هـــذا بالأمر الغريب ذلك أن الإنسان هو الكائن الذي قربه الله ومنحه العقل وسخر له الكون : فكان لابد للإنسان أن ينظر إلى نفسه وإلى موقعه فى هذا الكون وإلى مصيره إلى أين ؟.

وفى ظل الدين الإسلامي عرف الإنسان من خلال القرآن والسنة أنه حر مســـئول عن أفعاله وعرف فى الوقت نفسه كيف يوفق بين القول بـــإرادة الله وحريـــة تصرفـــه فى مخلوقاته وفى كونه وبين القول بحرية الإنسان فى اختيار أفعاله .

أدرك الصحابة والسلف الصالح هذا الأمر غير أن الخلف – بعد أن ترجم إليـــهم فلسفات اليونان وغيرهم – انقسموا إلى عدة فرق كالجبرية والقدرية والمعتزلـــة والزيديـــة وأهل السنة لكل رأيه الذي يحاول أن يدعمه بأدلة العقل والنقل. يقول الحافظ بن رجـــب الحنبلي (ت ٧٩٥هـــ) :"وأما ما أحدث بعد الصحابة من العلوم التى توسع فيها أهلـــها وسموها علوما وظنوا أن من لم يكن عالما بها فهو جاهل أو ضال فكلها بدعة ، وهـــى مـــن محدثات الأمور المنهي عنها فمن ذلك ما أحدثه المعتزلة من الكلام فى القدر وفى صحيحـــي ابن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعا :" لا يزال أمر هذه الأمة موافيا ومقاربـــا مـــا لم يتكلموا فى الولدان والقدر"[١].

ومع كل فقد استمرت هذه المشكلة تشغل الفكر الإسلامي حتى عصـــر مفكرنـــا الإمام حميدان الذي كان لابد له – وهو من أكابر مفكري الزيدية فى عصره – إن يدلـــو بدلوه فى هذه المشكلة .

وقد اتبع إزائها موقف سلفه من أئمة الزيدية مؤكداً حرية الإنسان ورافضا لكل ما يمكن أن يعوق هذه الحرية ويؤكد الإمام حميدان هذه الحرية من خلال عرضه لكل مـــن : الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية . الفعل الإلهي والفعل الإنساني .

وقبل ذلك يحسن بنا أن نعرض لأهم الاتجاهات التي تناولت الفعل الإنساني .

---

(١) ابن رجب الحنبلي "فضل علم السلف على علم الخلف" ، الطبعة الأولى تحقيق يحيى مختار غـــزاوى ، دار البشائر الإسلامية . سنة ١٩٨٣، ص ٣٩.

أولا : أهم الاتجاهات التي تناولت مشكلة الفعل الإنساني :

هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية في هذه المشكلة :

الاتجاه الأول : (اتجاه القدرية) :

يتزعم هذا الاتجاه معبد الجهني (ت بعد عام ٨٠ هـ) وغيلان الدمشقي (ت بعد ١١١هـ) والجعد بن درهم (ت ١٢٠هـ) . كان هؤلاء أول من أحدثوا الكلام فى القدر يقول البغدادي فى ذلك :"ثم حدث فى زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم"(١). ثم تابعهم المعتزلة فقالت إن الإنسان فاعل محدث ومخترع ومنشيء على الحقيقة دون المجاز(٢). أي أن أفعال العباد تقع بقدرة العبد وحدها(٣). حتى قال معتزلة بغداد إن الإنسان لو لم يقتل لعاش(٤) ، ولقد تابع بعض الزيدية هذا الاتجاه فزعموا أن أفعال العباد غير مخلوقه لله. وإنما هي كسب للعباد أحدثوها واخترعوها وأبدعوها وفعلوها(٥). وكان مفكرنا الإمام حميدان من الذاهبين هذا المذهب.

الاتجاه الثاني : (اتجاه الجبرية) :

قال أصحاب هذا الاتجاه بالجبر يقول الجويني في ذلك :"وذهبت الجبرية إلى نفي القدرة ، وزعموا أن ما يسمى كسبا للعبد أو فعلا له فهو على سبيل التوسع والتجوز في الإطلاق ، والحركات الاختيارية والإرادية بمثابة الرعدة والرعشة"(٦). ولذلك كان هذا الاتجاه الفاسد يسوغ السلطة الجائرة ويبرر اضطهاداتها إلى حد أنه اعتبر "القتل فعلا لله

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١٤

(٢) الأشعري : مقالات الإسلاميين ، حـ٢ ، ص ٢١٩

(٣) الإيجي : "المواقف"، ص ٣١١

(٤) البيهقي : شرح عيون المسائل (مخطوط) ، الهيئة العامة المصرية للكتاب رقم "ب" ٢٧٦٢٥، ورقة ٢٢٢، وانظر أيضا : الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، حـ١، ط مصر سنة ١٣٤٢هـ ، ص ٢٤.

(٥) الأشعري : مقالات الإسلاميين ،حـ١ ، ص ١٤٨

(٦) الجويني : الإرشاد ، ص ٢١٥

تعالى" إذ لو لم يقتل لمات أيضا"(١). ولذلك تصدى لهذا الاتجاه كل من المعتزلة والزيدية وأهل السنة على السواء . روى أن معبد الجهني وعطاء بن يسار كانا يأتيان الحسن البصري ويسألانه :"يا أبا سعيد : إن هؤلاء الملوك – أي بني أمية – يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال ، ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قدرة الله ، ويرد عليهم :"كذب أعداء الله"(٢).

الاتجاه الثالث : (اتجاه أهل السنة والجماعة) :

يذهب أهل السنة والجماعة إلى "أن الله تعالى خالق كل شيء سواه. لا خالق سواه. قال الله عز وجل :"خالق كل شيء" [الأنعام/١٠٢] وقال تعالى:"هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه" [ق/٣٨](٣) ، وعلى ذلك فإن جميع الموجودات ، من أشخاص العباد وأفعالهم ، وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق الله تعالى لا خالق لها غيره ، فهي منه خلق وللعباد كسب(٤). ويمثل هذا الاتجاه خير تمثيل الإمام أبو الحسن الأشعري الذي انشق عن الاعتزال*(٥) واخذ على نفسه مكافحة المعتزلة(٦) والجبرية على السواء ، ولذلك اتخذ لنفسه موقفا وسطا بين الجبر والاختيار فرفض أن يكون الإنسان

---

(١) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، حـ١، طبعة مصر الأولى ، ص ٤٦٦ .

(٢) د. عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٤٦.

(٣) ابن حزم : علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة ، الطبعة الأولى ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩م، ص ٦٤.

(٤) الباقلاني : الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مؤسسة الخانجي، القاهرة ، سنة ١٩٦٣م ، ص ١٤٤.

* كان الأشعري ابرز المنشقين تأثيرا واكثر المرتدين عن الاعتزال حماسا فى تفنيد أراء رفاقه القدامى ، فألف فيهم العديد من الكتب والمقالات والرسائل ، وخاصة ضد معتزلة بغداد ، وأول كتبه ضدهم كتاب "المسائل المنثورة البغدادية ، (ابن عساكر : تبين كذب المفترى ، ط دمشق ، سنة ١٣٥٧هـ ، ص ١٣٥).

(٥) د. البير نصر نادر : أهم الفرق الإسلامية (السياسية والكلامية)، ط بيروت ، سنة ١٩٥٨ ، ص٧٩.

(٦) الشهرستاني : نهاية الإقدام ، ط اكسفورد ، سنة ١٩٣٤م ، ص ٦٧-٦٨.

فاعلا وخالقا لأفعاله ، ولكنه اعترف بقدرة الإنسان على كسب الأفعال[١] ، وقد نضج هذا الموقف بصياغة نظرية الكسب حتى أصبحت اتجاها مذهبيا اعتقدت به أغلبية جماهير الإسلام[٢].

وقد انحاز مفكرنا الإمام حميدان – كما قلنا – إلى الاتجاه الأول فدافع عنه وأيده بالأدلة العقلية والنقلية ، مؤكدا فى الوقت نفسه بطلان الاتجاهين الآخرين.

ثانيا : الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية :

أ- الإرادة الإلهية :

إن وصف الله سبحانه بأنه مريد لا خلاف فيه بين الفرق الإسلامية وإنما الخلاف فى الإرادة وفيه ثلاثة مذاهب :

الأول : مذهب أئمة العترة :

إنه مريد لا بإرادة كما أنه فاعل لا بآلة ومتكلم لا بآله وقادر لا بقدرة وذلك لأنه سبحانه لو كان مريدا بإرادة لم تخل تلك الإرادة إما أن تكون معقولة فليس المعقول إلا ما أشبه إرادة المخلوقين تعالى الله عن ذلك ، وإما أن تكون غير معقولة فيكون الكلام فيها غلوا وعبثا وتجاوزا لحد العقل وحد التكليف[٣].

وبصرف النظر عن كون هذه الحجة جدلية لا برهانية ، فإن هذا المذهب لا يمثل مذهب الأئمة وإنما يمثل مذهب الإمام حميدان وحده إلا إذا كان الإمام حميدان قد أخرج الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين – والذي يمثل المذهب أفضل تمثيل – من زمرة الأئمة . فالإمام الهادي لم يقل بأن الله مريد لا بإرادة وإنما ذهب إلى أن الإرادة في الله :"محدثة مكونة موجودة تحدث بأحداث فعله"[٤].

---

(١) كارادى فو : الغزالي ، ترجمة عادل زعيتر ، ط القاهرة ، سنة ١٩٤٩، ص ٢٧.

(٢) د. عبد الستار عز الدين الراوي : ثورة العقل ، ص ٢٩٠.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٢ شمال.

(٤) الإمام الهادي الى الحق:"المسترشد" ، لوحة ٤ شمال ، وانظر أيضا الرد على سليمان "بن جرير" ، مخطوط مصور بالهيئة العامة للكتاب على ميكروفيلم رقم ٣٢٤ ، عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ٣٤/علم كلام، لوحة ١٥٩.

الثاني : مذهب الأشعرية:

هو انه مريد بذاته بإرادة قديمة ، والذي يدل على بطلان ذلك كونه خارجا عن حد العقل وذلك لأنه لا يعقل كون الإرادة إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد ووصف الفعل بالقدم مما لا يخفى بطلانه على كل عاقل[١].

بهذا يرى الإمام حميدان أن قول الأشعرية بإرادة قديمة يلزمهم القول بقدم العالم ، وهذا توهم من الإمام حميدان وظن لأن الأشعرية قالت إن الله مريد متى شاء فعل هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن قول الإمام حميدان بأن الله "مريد لا بإرادة" وقوله أنه "لا يعقل كون الإرادة إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد" فيه تناقض وخلط بين مذهبين متناقضين. وهما مذهب الإمام حميدان الذي يرى أن الله مريد لا بإرادة ومذهب المعتزلة الذي ذهب إلى أن الإرادة هي الفعل .. كما أن فيه قياس للغائب على الشاهد وهو لا يصح في هذا الموضع لأن من شرط القياس أن يشترك المقيس والمقيس عليه في علة توجب انسحاب الحكم من المقيس عليه الى المقيس والقياس السابق لا ينطبق عليه هذا الشرط لأن: المقيس عليه وهو الإنسان المريد بإرادة حادثة والمقيس هو الله سبحانه المريد لا بإرادة . فأين العلة التي توجب كون ما يعقل في الشاهد – من الإرادة التي لا تكون إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد – ينسحب على مالا يعقل لأنه من عالم الغيب وهو الله المريد لا بإرادة؟

الثالث : مذهب المعتزلة :

وهو أنه سبحانه مريد بإرادة محدثة وأنه خلقها ولم يردها ، وأنها عرض موجود لا في محل ، وأنها مختصة به على أبلغ الوجوه لأجل وجودها لا في محل[٢].

ثم أثبتوا كون الإرادة حادثة بقولهم قد ثبت كونه مريدا وذلك لا يخلو إما أن يكون مريدا لذاته أو لغيره ، وإذا كان مريدا لغيره فلا يخلو إما أن يكون فاعلا أو علة ، وإذا كان

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٢ شمال.

(٢) هذا مذهب البصريين (القاضي عبد الجبار : المنية والأمل ، ص ١١٦).

– وانظر أيضا : د. سعيد مراد : مدرسة البصرة الاعتزالية – القسم الثالث ، ص٦٥٤–٦٥٥.

لعلة لم تخل إما أن تكون قديمة أو محدثة ثم أبطلوا الأقسام كلها إلا العلة المحدثة التي زعموا أنها أوجبت كونه سبحانه مريدا[١].

والذي يدل على صحة مذهب العترة وبطلان مذهب المعتزلة هو كون أقوالهم فى ذلك على الجملة مبدعة وخارجة على حد العقل ، وإما على التفصيل

١- قولهم أن لله سبحانه إرادة خلقها ولم يردها يبطل لأجل أن الفاعل لما لا يريد لا يخلو من أن يكون ساهيا أو مضطرا وذلك مما لا يجوز إضافته إلا إلى المخلوق دون الخالق سبحانه .

٢- قد ثبت بالدليل أن الله سبحانه فاعل مختار ، والفاعل المختار مريد لما يختاره إذ لا يصح وجود الاختيار مع عدم الإرادة لأن الذي دلهم على زعمهم على كون البارئ سبحانه مريد هو وقوع أفعاله على الوجوه المختلفة ، وقد ثبت بإجماعهم أن إرادة البارئ وكراهاته أفعال له وواقعة على وجوه مختلفة ، ومن شرط صحة الأدلة الصحيحة بإجماعهم شاهدا وغائبا فيلزمهم على قود ما مر إما أن تحتاج كل إرادة إلى إرادة وإما القول بأن الله سبحانه مريد لا بإرادة .

٣- قولهم بأنها عرض موجود لا فى محل يبطل لأجل أن العرض لا يعقل وجوده إلا إذا كان حالا فى غيره لكونه عارضا حالة وجوده فى غيره ، ولذلك سمى عرضا ولأنه لا فرق بين القول بوجوده لا فى محل والقول بوجوده حيث لا يوجد لكون صحة وجوده مشروطة بحلوله، ولأنه لو جاز أن يؤدى أحدا نظره إلى إثبات إرادة لله لا فى محل لم يمتنع أن يؤديه ذلك النظر إلى إثبات حركة له سبحانه لا فى محل ونحو ذلك من المحالات التى بعضها أولى بالإثبات من بعض بغير دليل .

٤- قولهم أنها مختصة به على أبلغ الوجوه لكونها موجودة على حد وجوده لا فى محل باطل على أبلغ الوجوه لأجل أنه يستحيل وجود العرض لا فى محل[٢].

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٢ - ٣٣

(٢) الإمام حميدان التصريح بالمذهب الصحيح . لوحة ٨٧-٨٨

وعلى الرغم من أن مذهب معتزلة البصرة فى الإرادة هزيل ولا يثبت أمام مثل هذه الانتقادات التي وجهها إليه الإمام حميدان إلا أن مذهب المعتزلة كان أكثر اتساقا من مذهب الإمام حميدان الذي خلط بين قولين أحدهما قوله أن الله "مريد لا بإرادة" . والثاني قول المعتزلة فى "أن الإرادة والمراد شيء واحد"[١] إذ لا يعقل عنده كون الإرادة إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد والحق أن الجمع بين هذين القولين قد قاد الإمام حميدان الى الوقوع فى تناقض فادح ذلك أنه أنكر على الأشعرية القول بإرادة قديمة لان ذلك يدفعهم إلى القول بقدم العالم لأن الإرادة لا يعقل كونها إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد فإذا كانت الإرادة قديمة فالفعل أيضا قديم ، والحق أن هذا القول مردود على الإمام حميدان لأنه قال بأن الله مريد بذاته وذاته قديمة وبالتالي فإرادته التي هي ذاته قديمة وكون الإرادة لا يعقل كونها إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد فإن ذلك يقود الإمام حميدان حتما إلى القول بقدم العالم وبالتالي يصبح تقدم الله سبحانه على وجود العالم تقدم بالذات لا بالزمان شأن الفلاسفة .

ولكن للحق أن الإمام حميدان لم يقصد ذلك أبدا كيف وهو أحد المتكلمين الذين قاموا للدفاع عن العقيدة ؟ ولكنها مقدمات ذهنية جدلية يضعها المتكلم ليبطل بها مذاهب الخصوم فإذا به يقع فيها دون أن يدرى .

مما سبق يرى الإمام حميدان أن الله سبحانه مريد لا بإرادة[٢] كإرادة المخلوقين[٣] ، وعلى هذا فثم فارق كبير بين إرادة الخالق وإرادة المخلوق : وهذا الفارق يقودنا بطبيعة الحال إلى السؤال عن الفارق بين الإرادة والفعل بين الخالق والمخلوق ؟.

يرى الإمام حميدان أن ثم فارق جوهري بين الإرادة والخلق فى كل من الخالق سبحانه والمخلوق فالإرادة والفعل فى المخلوقين تحتاج الى الأدوات وعمل الأدوات يؤدى الى وجود تراخى زمني بين الأفعال فى المخلوقين، وعدم تلاحق الأفعال ووجود فيصل زمني

---

(1) S.M. Stran R. Walser. Oriental Studies, vol. 1. Rchiuchard Walser Greek into Arabic. Essays on Islamic Philosophy p.83.

(٢) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٢ شمال.

(٣) الإمام حميدان : المسائل الباحثة ، لوحة ١٤٨ شمال.

بينها يدل على سبق إرادة المخلوقين ونياتهم على أفعالهم ولذلك قال الأئمة: "الإرادة من العباد الضمير وما يبدوا بعد ذلك من الفعل"[١]. بهذا يتضح أن إرادة الإنسان ليست فعله، ذلك لأن هناك فيصل زمني بين إرادة الإنسان وفعله وهذا الفيصل الزمني ناتج من عمل الأدوات .

ولما كان الله سبحانه وتعالى منزه عن الأدوات غير محتاج فى فعل مفعوله الى حركاتها انتفى التراخي الزمني بين إرادته وفعله ولذلك قال الأئمة: "يقول ولا يلفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر"[٢] وقالوا: "لا فرق بين إرادة الله ومراده وأن الإرادة منه هي المراد[٣]. ومشيئته الإنفاذ لحكمته وإرادته الإمضاء لأموره[٤] وأن مراده هو الموجود الكائن المخلوق[٥].

واستدلوا لمن سألهم عن الفرق بين إرادة الله سبحانه لما يفعل وبين إرادة المخلوقين لما يفعلون فقالوا: فأنا نقول للسائل أن بين صفات الله وصفات خلقه فرقا والحمد لله لأن إرادة الله سبحانه صفه له ومراده وجود فعله وإرادة المخلوقين خواطر لضمائر القلوب وبين ذلك فرق كبير لا يخفى إلا على من ضعف فهمه وقل عقله ، (فإن قال السائل) : فلا أدري لله إرادة إذا كان مراده وجود فعله ، (قلنا) أن مراده لو لم يكن وجود فعله لكانت صفاته كصفات خلقه[٦] ، وكذلك قالوا[٧]:"لو كانت إرادته قبل فعله لكانت كإرادة المخلوقين ولكانت عرضا من جسم ولو كان جسما لأشبه الأجسام وإنما إرادته فعله وفعله مراده وليس ثم إرادة غير المراد فيكون مشابها للعباد"[٨].

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨٨ يمين.

(٢) الإمام حميدان: المنتزع الثاني من أقوال الأئمة ، لوحة ١٢٦ شمال.

(٣) المصدر السابق، لوحة ١٢٨ يمين.

(٤) المصدر السابق، لوحة ١٢٦ شمال.

(٥) المصدر السابق، لوحة ١٢٨ يمين.

(٦) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٨ يمين.

(٧) هذا قول القاسم الرسى فى كتاب الرد على الملحدين.

(٨) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٨ شمال.

وبهذا يوافق الإمام حميدان شيخ المعتزلة أبا الهزيل الذي كان يقـــول :"إن الخلـــق إرادة"[1] وعلى الرغم مما يبدوا – كما أسلفنا – من تناقض موقف الإمام حميدان فى الإرادة حيث زعم أن الله مريد لا بإرادة وهذا يعنى أن الإرادة عنده قديمة ، ثم يـــأتي فـــيزعم أن الإرادة لا يعقل كونها إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد مما يوحى بقدم العالم. على الرغم من ذلك فإن ما يهمنا هنا ليس هذا الأمر بل ما يهمنا أن نبين حرص مفكرنا على التمييز بـــين الإرادة والفعل بين الخالق والمخلوق ، فالإرادة والفعل (الخلق) فى الخالق ســـبحانه بمعـــنى واحد ، وليس الأمر كذلك فى المخلوق . وبهذا يصل الإمام حميدان إلى بغيته وهى تـــأكيد حرية الإرادة الإنسانية واستقلالها .

ب- الإرادة الإنسانية :

يؤكد الإمام حميدان حرية الإرادة الإنسانية واستقلالها من خلال الآتي :

أولا : أن الفعل الإنساني ليس من خلق الله لأنه يفعل بحركة الإنسان وآلاته والله ســـبحانه فاعل لا بحركة لوجوب كونه سبحانه في ذلك بخلاف المخلوقين[2].

ثانياً : أن الفعل الإنساني يحتاج إلى سبق الضمير والنية على الفعل والله سبحانه منزه عـــن ذلك ولذلك جاء مذهب الأئمة أن الله سبحانه :"يريد ولا يضمر"[3].

ثالثاً : أن الله سبحانه فرّق بين الاستطاعة والجبر فقال سبحانه :"ويدعون الى السجود فـــلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعـــون الى الســـجود وهـــم سالمون" [القلم/٤٢-٤٣] فانظر كيف فرق سبحانه بين ما يدعـــون إليـــه مـــن السجود في الدنيا وما يدعون إليه في الآخرة لكونهم مستطيعين فى الدنيا وممنوعين فى الآخرة[4].

---

(1) S.M.Strmen R.walsep: Oriental studies vol.1 Rchichard Walser Greek into Arabic. Essays on Islamic Philosophy. P.83

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٧ شمال.

(٣) الإمام حميدان : المنتزع الثاني، لوحة ١٢٦ شمال.

(٤)الإمام حميدان: تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٤.

رابعا : إن الله سبحانه فرق بين فعله وفعل عباده، فمما يدل من الكتاب على أنه سبحانه لم يخلق شيئا من أفعال العباد وعلى أنها ليست بفعل له سبحانه "ولقــــد خلقنـــا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة" [المؤمنون/١٢-١٤] إلى آخر الآية. فانظر كيف فرق سبحانه بين ذلـــك لأن إلقاء النطفة فى القرار المكين فعلا للملقى بأن عبر عنه بالجعل دون ما قبله وبعده لأجل كون الجعل محتملا للتأويل ويصح به التمييز بين فعله ســـبحانه وفعـــل غيره[1].

خامسا : إن القول بالجبر يتعارض مع مبدأ العدل الإلهي ويصف الله سبحانه بالظلم وهـــذا الأمر ظاهر البطلان لأجل مخالفته للعقل والسمع ، أما العقل فلأن الله ســـبحانه جبل العقول على معرفة الفرق بين الظلم والعدل في الشاهد ، وأما السمع فلأن الله سبحانه نفى الظلم عن نفسه وأضافه إلى الظالمين من عباده ، ومن المعلـــوم ضرورة أنه لا يعقل كون الظالم من المخلوقين ظالما إلا إذا فعل الظلم ، وأنـــه لا يعقل كون العادل عادلا إلا إذا أنصف المظلوم من الظلم ، ومن المعلوم عقـــلا وسمعا أنه لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه فعل ما جبل العقول على معرفـــة قبحه ونهى المكلفين عن فعله فكذلك تمدح سبحانه بنفيه عن نفسه[2].

سادساً : إن علم الله سبحانه ليس موجب للطاعة ولا للمعصية ، إذا لو كان العلـــم هـــو الموجب للطاعة والمعصية فلا مخرج للعبد إذن من ذلك وفى ذلك يقول :"لأنـــه سبحانه لحكمته لا يعذب على ما يعلم من معاصي العباد قبل ظهورها"[3].

بكل ما سبق يؤكد الإمام حميدان حرية الإرادة الإنسانية واستقلالها مبينا أنه ينبغـــي لنا أن نضيف أفعال الله سبحانه إلى الله وأفعال المخلوقين إلى المخلوقين محذرا إيانا من إضافـــة شيء من صنعه – سبحانه – إلى غيره أو إضافة شيء من صنع غيره إليه[4].

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٣٤ شمال.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٣٩ يمين

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٥١ شمال

(٤) المصدر السابق ، لوحه ١٦ يمين

ثالثاً : الفعل الإلهي والفعل الإنساني :

أ- حقيقة الفعل :

اختلف المتكلمون في حقيقة الفعل فقال القاضي عبد الجبار :"الفعل هو ما يحدث من القادر، فكل ما يحدث من جهة القادر يقال هو فعله ، وهذا معقول فى الشاهد ، لأننا نجد الكتابة تحدث من الكاتب فيقال إنها فعله ، ولا يقال فى الأشخاص إنها فعل الكاتب لما لم تحدث من جهته[1].

ثم يميز بين ما يفعله العباد وما يفعله الله تعالى فيقول :"ما يقع بحسب قصد العباد وإرادتهم وشهواتهم ، وبحسب قدرهم وعلومهم وبحسب جهلهم وسهوهم كالكتابة والطباعة والمشي والقيام فهو فعلهم ، وما يتعذر عليهم ، أولم يقع بحسب أحوالهم فهو من فعل الله تعالى"[2].

بهذا يميز القاضي عبد الجبار بين أفعال الله سبحانه وأفعال العباد

فالأولى : غير معللة بالأدوات لأنها تقع من القادر بذاته .

والثانية : معللة بالأدوات والنيات والتعلم مما يجعلها تنسب حقيقة للعبد .

ويرفض الأشاعرة تعليل الفعل فيقول الجويني :"ومما لا يصح تعليله ، وقوع الفعل إذ لو كان وقوع الفعل معلولا ، لافتقر إلى علة ثم لا يخلو القول فى ذلك إما أن يعلل بذات الفاعل ، فيلزم منه ألا يتقدم الفاعل على فعله ، على ما قدمناه فى أحكام العلل ، وكذلك أن علل بصفة من صفات ذاته. وأن علل بمعنى سوى ذات الفاعل وصفاته ، لم يخل ذلك المعنى: إما أن يكون حادثا أو قديما ، فلو كان قديما ، استحال كونه علة فى حادث لامتناع تقدم العلة على المعلول ولو كان حادثا كان فعلا مفتقرا إلى التعليل ، فيتسلسل ذلك ...

فإن قيل ألستم قلتم إن الفعل يقع بالقدرة ، فهلا جعلتم وقوعه معلولا بها؟ قلنا : إن من حكم العلة أن لا تسبق معلولها ، وليس من شرط القدرة أن تقارن مقدورها الواقع بها ، إذ الواجب تقدم القدرة المؤثرة في الإحداث على الحوادث. فإن قيل : مقدور العبد

---

(١) رسائل العدل والتوحيد ، جـ١ ، القاضي عبد الجبار . "المختصر في أصول الدين" ، ص ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق.

يقارن قدرته ، فاجعلوا القدرة علة فيه. قلنا : ليس يقع مقدور العبد بقدرته وإنما يقع بقدرة الرب سبحانه وتعالى[١].

أما الإمام حميدان فيرى – منحازا إلى أئمة الزيدية – إن الفعل الإنساني بخلاف الفعل الإلهي لابد أن يكون معللا بالأدوات حيث يقول :"والله سبحانه فاعل لا بحركة لوجوب كونه في ذلك بخلاف المخلوقين"[٢]. وعمل الأدوات يؤدى إلى وجود تراخى زمني بين الأفعال ، وعدم تلاحق الأفعال ووجود فيصل زمني بينها يؤدى الى سبق إرادة المخلوقين ونياقم على أفعالهم وفى ذلك يقول : – متبعا أئمة العترة – :"الإرادة من العبد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل"[٣].

فالأفعال الإنسانية إذن – كما يرى الإمام حميدان – معللة بالنيات والأدوات ، وهو بهذا يدنى من المعتزلة الذين عللوا الفعل بالأدوات والنيات ، غير أنه يرى أن الأدوات هي الأخرى معللة بالاستطاعة والقدرة التي منحها الله للعباد حيث يقول :"والفاعل الثاني هو كل حي عاقل متمكن بما ركب الله له وفيه من القدرة ومن آله الحركة والسكون على تصريف حركته وسكونه فيما يختاره من فعل واجب أو مستحب أو محظور أو مكروه ، أو مباح خلافا للمجبرة"[٤].

غير أن الإمام حميدان بقوله بالتراخي الزمني بين النية ووقوع الفعل إنما يرفض مفهوم التلازم بين العلة والمعلول والذي كان يتصف به مفهوم العلية القديم. وعليه لا يقبل الإمام حميدان العلية بالمفهوم القديم الذي يرى أن وجود معلولها يجب أن يكون مقارنا لوجودها .... وتقدمها عليه تقدم بالرتبة لا بالزمان وليس لها إلا معلول واحد[٥].

ومن ثم فالتلازم – على رأى الإمام حميدان – بين النية وعمل الأدوات وبين وقوع الفعل غير ضروري فقد يريد الإنسان ولا يقع مراده وقد يعمل الإنسان ولا يقع فعله وهذا

---

(١) الجويني :"الشامل" ، ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٨٧ شمال.

(٣) المصدر السابق ، لوحة ٨٨ يمين.

(٤) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٣ يمين.

(٥) المصدر السابق.

أمر ينسجم ومذهبه فى الإرادة الإلهية لأنه - كما سلف - يرى أن الإرادة والمـــراد فى الله سبحانه واحد. فالله سبحانه لا يمكن أن يريد ولا يقع مراده وإنما مراده فعله وفعله مراده مما يميزه عن المخلوق الذي يقع فعله تارة وتارة أخرى لا يقع وتتقدم إرادته نيته ويتأخر فعلـــه عن نيته.

ومن ثم يتضح أن الإمام حميدان يقف موقفا وسطا بين المعتزلة الذين يعللون الفعـــل بالنيات والأدوات وبين الأشاعرة الذين رفضوا تعليل الفعل : حيـــث يعلـــل الفعـــل - كالمعتزلة - بالنية والضمير والأدوات ولكنه يرفض التلازم الضروري بين النيـــة والآلات وبين وقوع الفعل كالأشعرية.

ب- أفعال الله : ما هي ؟

إذا تسألنا عن أفعال الله ما هي ؟ ما الذي خلقه الله من العالم ؟ وما الذي لم يخلقه ؟ وبعبارة أخرى هل هناك مؤثر في العالم غير الله ؟ نقول إن الإجابة على هـــذا الســـؤال لا تتضح إلا بعد العرض لرأى كل من : أئمة الزيدية والفلاسفة والمعتزلة والمطرفية.

أولا : رأى الأئمة :

يذهب الأئمة إلى أنه لا يجوز إضافة صنع العالم ... إلا إلى صانع حى قادر عالم بمـــا مختار بصنيعها وغير مشابه لها[1]. ففعل الله هو جميع أصول العالم وفروعه التى لا خالق لها إلا هو سبحانه خلافا لمن أنكر ذلك من الملحدين. فالله سبحانه لا شريك له فى خلـــق جميـــع أصول العالم وفروعه أجسامه وأعراضه ، لا فرق فى جميع ذلك بين ما شاهدنا حدثه خلقـــا بعد خلق نحو قوله سبحانه :"فلينظر الإنسان مما خلق" [الطارق/٥] / وقولـــه :"فلينظـــر الإنسان إلى طعامه" [عبس/٢٤] ، وبين ما أخبرنا به ولم نشاهده نحو قوله سبحانه :"بديـــع السموات والأرض" [الأنعام/ من الآية١٠١] وبين ما لم نشاهده ولم يخبرنا به نحو قوله تعـــالى :"ويخلق مالا تعلمون" [النحل/من الآية٨] فى كون ذلك مخلوقا ومكونا ومحدثا بالقســـط لا بآلة ولا عمالة ، وسواء كان ذلك مما يحيل أو يستحيل من صلاح إلى تغيير أو من تغيير إلى صلاح ، وسواء كان له سبب أو شرط من فعل الله سبحانه أو من فعل غيره فإنه لا يجـــوز

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين، لوحة ٢٧ شمال.

نسبة شيء من ذلك حقيقة إلا إلى الله سبحانه وبذلك قال سبحانه :"أم جعلوا لله شـــركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار" [الرعد/ من الآية١٦] أما مجازا فقد ورد نص الكتاب بذلك .

وكذلك فإنه لا يجوز أن يضاف إلى أحد من المخلوقين فعل شيء حقيقة إلا شـــيئين من الأعراض لا ثالث لهما وهما حركة كل حيوان وسكونه[١]. ويدخل القرآن الكـــريم فى جملة أفعال الله سبحانه التي أوجدها كما أوجد غيرها من مخلوقاته فلا فرق بينه وبين كـــلام المخلوقين إلا أنه أفصح وبكونه معجزا[٢]، وقد سبق بيان فساد هذا القول .

مما سبق يتضح أمرين :

الأول : إن الله خالق كل شئ من أصول العالم وفروعه باستثناء حركة كل حيـــوان وسكونه.

الثاني : إن طبيعة الفعل الإلهي هي أن الله خلق ما خلق لا بآله.

ثانيا : مذهب الفلاسفة :

لقد أضاف الفلاسفة التأثير فى العالم إلى غير الله سبحانه حين قالوا بالعلل المؤثرة التي زعموا أنها موجبة لأصل العالم وفروعه ، ومنها ما هو غير معقول وهى العقول والنفـــوس التي زعموا أنها قبل الزمان وقبل المكان وأن العاشر منها عقل فعال غير معقول هو ولا فعله ، ومنها ما هو أجسام ميتة مسخرة وهى النجوم ، ومنها ما هو أعراض ضرورية لا تقـــوم بأنفسها ولا توجد إلا فى غيرها وهى الطبائع الأربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوســة، ومن المتعمقين منهم فى الزندقة من زعم أن لكل شيء من الفروع الحادثة نفسا جزئية مـــن النفس الكلية أو نفسا تدبره وتنقله من حالة إلى حالة[٣]. فأقوال الفلاسفة هذه لا يمكن أن ترقى إلى بلوغ درجة اليقين[٤] لأنها محال وزخرفة أقوال[٥].

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٣٣-٣٤.

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٣١ يمين.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٧ شمال.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ١٨ يمين.

(٥) المصدر السابق ، لوحة ٢٢ يمين.

ثالثا : مذهب المعتزلة :

أما المعتزلة فقد أضافت التأثير فى العالم إلى صفة غير معلومة[١] فزعموا أن الله سبحانه أوجد حالة الوجود الذي هو مؤثر فيه وليس هو بمعلوم فيما لم يزل لكونه بزعمهم صفة والصفة عندهم ليست بشيء معلق به علمه سبحانه فيما لم يزل ، وأن استمرار بقاء العالم قالوا حاصل لأمر أوجبه وهو داعي حكمة البارئ سبحانه. ومما يؤكد بطلان مذهب المعتزلة هذا :

١- أن قولهم إن الله سبحانه مؤثر فى الصفة التي هي عندهم لاشيء ولا لاشيء قول مجهول غير معقول لأن الصفة التي قالوا هي لاشيء غير معقولة ولا معلومة بإجماعهم وكل مالا يعقل فالتأثير فيه لا يعقل.

٢- أن قولهم بذلك مذهب حادث وكل حادث فى الدين بدعة وكل بدعة ضلالة.

٣- أنه قد ثبت بإجماعهم كون البارئ سبحانه صانعا فلا يخل إما أن يكون صنعه هو ذوات العالم أو صفاته أو الذات والصفات معا ، فإن قالوا صنعه هو الذات بطل قولهم بثبوتها فيما لم يزل ، وإن قالوا صنعه هو الصفة التي هي الوجود وتوابعه بطل إقرارهم بأن البارئ سبحانه صانع للعالم لأن ذوات العالم هي العالم بإجماعهم فإذا لم يكن صانعا للذوات بمعنى أنه جعلها ذواتا فليس بصانع للعالم. وإن قالوا أنه صانع للذوات والصفات خرجوا من مذهبهم.

٤- قولهم إن الذي يدل على كون البارئ سبحانه عالما هو وجود فعله محكما والعلم بالإحكام فرع على العلم بالإيجاد ، فلو لم يكن سبحانه عالما فيما لم يزل بالايجاد والإحكام لبطل كون الإحكام دليلا على كونه سبحانه عالما وللزم مع ذلك أن يقف صحة كونه عالما بالإحكام على وجود الإحكام ويقف وجود الأحكام على كونه عالما وذلك باطل.

---

(١) لعل هذه الصفة تقابل "الحادث الأول" عند ابن متوية والذي قال عنه د. سعيد مراد انه يتعذر الإشارة الى هذا الحادث بعينة (د. سعيد مراد : ابن متوية وآراؤه الكلامية والفلسفية ، ص ٢٧٩).

٥- أن القول بثبوت ذوات مقدروات البارئ سبحانه فيما لم يزل وأنه لا تأثير له فى كونها ذواتا تؤدى إلى القول بتعجيزه عن خلق العالم ، والقول بأنه سبحانه لا يعلم الإيجاد فيما لم يزل يؤدى إلى القول بأنه سبحانه جاهل بتأثيره قبل أن يؤثر فيه ، وكل قول يؤدى إلى تعجيزه سبحانه وتجهيله فهو ظاهر البطلان .

٦- أن القول بأنه سبحانه لا يعلم فيما لم يزل إلا ذوات الموجود دون الوجود يؤدى إلى تكذيب أخبار الله سبحانه قبل أن يوجد آدم عليه السلام بأنه يوجده لأنه سبحانه أخبر عما سيكون ولم يخبر عن الذوات الثابتة فيما لم يزل ، وكل قول يؤدى إلى تكذيب البارئ سبحانه فهو باطل.

٧- قولهم بان الذوات المعدمة الثابتة بزعمهم فيا لم يزل إذا وجدت من حالة (الثبوت) إلى حالة الوجود يوجب كون المعدوم صفة كالوجود وذلك باطل.

٨- قولهم أن المؤثر فى استمرار بقاء العالم هو داعي حكمة البارئ سبحانه هو كون ذلك موجبا لتوهم ثبوت حكيم وحكمة وداعي حكمة وذلك تقسيم وتعديد وتحديد لا يجوز وصف الله سبحانه به ولا إضافته إليه[1].

وبصرف النظر عن قوة هذه الاعتراضات أو ضعفها فإن الحق فى جانب الإمام حميدان لا ريب ، ذلك أن المعتزلة قد استخدمت "التوهم" فيما يتعلق بأمور العقيدة وقد سبق لنا القول أن التوهم وإن كان يصلح فى العالم المشاهد وإن له علاقة بالكثير من الحقائق العلمية التي تم التوصل إليها إلا أنه فى عالم الغيب وفى أمور العقيدة لا يكشف إلا عن ضعف المذهب وسوءته . وإلا فما الدليل عن تلك الصفة المزعومة التي ليست شيء ولا لاشيء ؟!

رابعا : مذهب المطرفية (في الإحالة) :

ذهبت المطرفية أن الله سبحانه لم يخلق بالقصد إلا أصول العالم أما الفروع فزعموا أنه خلقها بالفطرة والتركيب لا بالقصد وغرضهم بنفي القصد إثبات بدعهم نحو إنكارهم للحكمة فى خلق الحيوانات المؤذية وفى الأمراض وفى رزق العصاة وأشباه ذلك مما زعموا

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٢-٩٣.

أنه لا يجوز أن يقال إن الله سبحانه خلقه بالقصد[١]. والمطرفية بمذهبهم هذا كفار خارجون عن الإسلام وإن أظهروا الإقرار به ذلك أن إقرارهم بالإسلام لا يخل إما أن يكون صدقا أو كذبا فإن كان صدقا بطل قولهم بأن الله سبحانه لم يقصد خلق الفروع، وإن كان كذبا تبين كفرهم.[٢]

والذي يدل على بطلان مذهب المطرفية ما يأتي:

١- أنهم إذا سئلوا عن الأجسام والأعراض الضرورية هل لها خالق غير الله سبحانه أقروا أنه لا خالق لها إلا الله سبحانه، وإذا سألوا عن أرزاق العصاة هل أجسام، وعن الآلام هل أعراض ضرورية، أقروا بذلك، وكذلك إذا سئلوا عن الفطرة هل هي فاعلة مختارة أو علة موجبة صاروا فى جميع ذلك وما أشبهه فى حيرة مترددين لا هادين ولا مهتدين[٣].

٢- انه قد ثبت عند جميع المسلمين أن جميع فروع العالم أجسام متضمنة لإعراض ضرورية وأن جميعها محدث، وان كل محدث لا بد له من محدث وأن محدث الأجسام والأعراض الضرورية هو الله سبحانه لاستحالة وجود الهين قديمين ولاستحالة أن تحدث الأجسام أنفسها فى حالة عدمها أو فى حالة وجودها، ولاستحالة أن يحدثها مثلها، ولاستحالة حصولها هملا لا محدث لها ولم يظهر الخلاف فى ذلك إلا الملحدون والمشركون على اختلاف مذاهبهم.

٣- أن جميع الفروع لا تخلوا من أن تكون حيوانا أو جمادا أو رزقا مرزوقا أو نفعا أو منتفعا ... وكل ذلك يدل على خالق حكيم قاصد لذلك مقدر عليم لاستحالة أن يكون إحكام من غير محكم وإنعام من غير منعم قاصد لذلك غير جاهل ولا ساه ولا ملجئ ولأنه لا خلاف في وجود المنعم والمنعم عليهم وفى كون شكر المنعم واجبا.

---

(١) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٧ شمال.

(٢) الإمام حميدان : تعريف التطريف ، لوحة ١٥٠ يمين.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٤ يمين.

٤- أن المطرفية يقولون بأن الله سبحانه خلق الأصول بالقصد لكونها مخلوقة لا من شيء وليس ذلك بأعجب في الصنعة ولا أبلغ في الحكمة من خلق النار من الشجر الأخضر ولا إخراج الحي من الميت ولا خلق الشيء الكبير من الشيء القليل ولا من إمساك السماء أن تقع على الأرض، وكذلك إمساك الأرض من الانحدار وكذلك إمساك الماء والطير في الهواء، ونحو ذلك مما لا يحصى عددا لكثرته .

٥- ومما يدل على ذلك أيضا أن القول بأن الله قاصد لخلق الأصول لا يخلو من أن يكون كونها أجساما وأعراضا وكونها محدثة وكونها محكمة ونحو ذلك مما يدل على صانع فكل ذلك موجود في الفروع، فأما كونها مخلوقة من شيء فلا فرق بينه وبين خلق الشيء من الشيء في كون كل ذلك مخلوقا دالا على خالق بل خلق الشيء من الشيء في كون كل ذلك مخلوقا دالا على خالق بل خلق الشيء من الشيء اظهر بيانا وأقرب دلالة إلى الإنسان لكون ذلك مشاهدا أو معاينا ولذلك تمدح الله سبحانه ونبه خلقه على النظر فيه والاستدلال به عليه فقال سبحانه: "فلينظر الإنسان مما خلق" [الطارق/٥] وقال سبحانه: "فلينظر الإنسان الى طعامه" [عبس/٢٤] ونحو ذلك[١]

بهذا يؤكد الإمام حميدان بطلان كافة المذاهب التي أرادت أن تثبت مؤثرا في العالم غير الله سبحانه ومؤكدا مذهب الأئمة الذي يرى أن الله سبحانه وحده هو خالق الكون وهو وحده سبحانه المؤثر فيه وليس لأحد تأثير في شيء منه إلا في عرضين وهما حركة كل حيوان وسكونه.

وعلى ما سبق فالباحث يرى أن مذهب الإمام حميدان في الفعل الإلهي قد جاء سليم باستثناء قوله بخلق القرآن (لفظا ومعنى) وذلك أن الإمام حميدان لم يستطع التوفيق بين قوله بأن الله متكلم لا بإرادة وبين إنكاره للكلام النفسي . إذ كيف يكون الله سبحانه متكلم ولا كلام له ؟!

---

(١) الإمام حميدان: تعريف التطريف، لوحه ١٤٩-١٥٠.

جـ- أفعال الله هل تعلل بالأغراض ؟

اختلف كل من الأشعرية والمعتزلة فيما يتعلق بتعليل الفعل الإلهي فالأشاعرة يـرون أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض .. وخالفهم فيه المعتزلة[١] فزعمـوا وجـوب تعليلها. واحتج المعتزلة لموقفهم بقولهم : "أن الفعل الخالي عن الغرض عبث وأنـه قبيـح ويجب تتريه الله عنه[٢]. لأن الله تعالى لا يفعل إلا الحسن وكل ما يثبت انه من فعله تعـالى فيجب أن يكون حكمة وصوابا[٣].

وتابع إمام الزيدية في اليمن – الإمام الهادي إلى الحق – المعتزلة فى ذلك فنفى عـن الله سبحانه خلق الكفر والجور والظلم لأن الله سبحانه لا يرضى لعباده الكفر ولا يظلـم العباد، ولا يأمر بالفحشاء، وذلك إنه من فعل شيئا من ذلك أو أراده أو رضى عنه فليـس بحكيم[٤]. وبهذا يرى الهادي إلى الحق أن أفعال الله تعالى لا بد أن تكون لحكمة .

ويرفض الأشاعرة ذلك بقولهم: "لو كان فعله تعالى لغرض لكـان ناقصـا لذاتـه مستكملا بتحصيل ذلك الغرض"[٥]. ولأنه سبحانه لو فعل شيئا مما فعل لعلة، لكانت تلـك العلة، إما لم تزل معه، وإما مخلوقه محدثة، ولا سبيل الى قسم ثالث، فلو كانت لم تدل معـه، لوجب من ذلك شيئان ممتنعان: أحدهما : أن معه تعالى غيره لم يزل، فكان يبطل التوحيد .. والثاني: أنه كان يجب إذا كانت علة الخلق لم تزل، أن يكون علة له ... وأيضا فلو كـانت هاهنا علة موجبة عليه تعالى أن يفعل ما فعل، لكان مضطرا مطبوعا أو مدبرا مقهورا لتلـك العلة. وهذا خروج عن الإلهية ، ولو كانت العلة محدثة، لكانت ولا بد إما مخلوقة له تعالى، وإما غير مخلوقة فان كانت غير مخلوقة، فقد أوضحنا آنفا وجوب كون كل شـيء محدثـا مخلوقا فبطل هذا القسم، وإن كانت مخلوقة، وجب ولابد أن تكون مخلوقه لعلة أخـرى أو لغير علة. فإن وجب أن تكون مخلوقه لعلة أخرى، وجب مثل ذلك في العلة الثانية . وهكذا

---

(١) الإيجي: المواقف، ص٣٣١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣٢

(٣) رسائل العدل والتوحيد، جـ١، القاضي عبد الجبار: "المختصر في أصول الدين" ص٣٣٣.

(٤) المرجع السابق، جـ٢– الإمام يحيى بن الحسين، "كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد" ص٦٥.

(٥) الإيجي: المواقف، ص٣٣١.

أبدا. وهذا يوجب وجود محدثين لانهاية لعددهم. وهذا باطل .. لان كل ما خرج الى الفعل فقد حصره العدد ضرورة بمساحته وبزمانه لابد، وكل ما حصره العدد فهو متناه. فبطل هذا القسم أيضا، وصح ما قلناه[1] أنه خلق كل شيء لغير علة أوجبت عليه أن يخلق[2].

بهذا يفارق أهل السنة والجماعة وخاصة الأشعرية في قولهم بعدم تعليل الفعل الإلهي المعتزلة الذين أوجبوا تعليل الفعل الإلهي.

أما الإمام حميدان فينحاز إلى المعتزلة وأئمة الزيدية – كالإمام الهادي – في تعليل الفعل حيث يرى أن الله سبحانه وتعالى خالق جميع أصول العالم وفروعه[3] وكل شيء من أصول العالم وفروعه إنما خلقه الله تعالى لعلة ، وقد يدرك الإنسان بعض هذه العلل وقد يخفى عليه الكثير منها وفى ذلك يقول :"والضرب الثالث – من العلل – ما يستعمله من له معرفة بوجه الحكمة إذا سئل عن فعل من أفعال الله سبحانه لم فعله نحو أن يقال لم يخلق الله العالم ؟ فيقول لإظهار الحكمة فإن قيل لم أظهر الحكمة ؟ قيل لأن إظهارها فى العقل حسن وفعل الحسن فى العقل أولى من تركه وهذا غاية ما ينتهي إليه بالسؤال فى هذه المسألة وإذا سئل مما لم يعرف وجه الحكمة لم يجب إلا بأن البارئ سبحانه حكيم والحكيم لا يجب عليه أن يعرف الناس بعلة كل فعل يفعله ولا خلاف أنه يجب التسليم للحكيم المخلوق قياسا يجب للبارئ سبحانه أولى"[4].

وبهذا يرى الإمام حميدان – كالمعتزلة – أن أفعال الله سبحانه يجب أن تكون معللة بالحكمة : ولكنه من ناحية أخرى يفارق المعتزلة ويقترب من الأشعرية حين يرى أن القول بالحكمة كعلة لخلق الأشياء لا يجب أن يكون موجبا لتوهم ثبوت حكيم وحكمة وداعي

---

(١) ابن حزم: علم الكلام، ص٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٣ شمال.

(٤) المصدر السابق ، لوحة ٢٣ شمال.

حكمة -كما فعلت المعتزلة - لأن ذلك تقسيم وتعديد وتحديد لا يجوز وصف الله سبحانه به ولا إضافته إليه[١].

والحق أن موقف الإمام حميدان هذا هو موقف الوسطية الممدوحة إسلاميا فنحن لا نوافق الأشعرية في رفضهم تعليل أفعال الله - نعم يرفض الباحث العلة باعتبارها علة قاهرة مرغمة للخالق سبحانه على فعل فعله على نحو ما - لكن الله سبحانه أثبت علة لبعض أفعاله حيث قال :"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" [الذاريات/٥٦]. وقال سبحانه :"وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون" [الفرقان/من الآية٢٠] وقال سبحانه :"الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحس عملا" [تبارك/ من الآية٢].

فهذه الآيات وغيرها تبين أن الله سبحانه فعل بعض ما فعل لحكمة وغرض أما خوف الأشعرية من أن القول بالغرض يوجب نقصا يستكمل بذلك الغرض فذلك قد نزه الله نفسه عنه وأثبت لنفسه الكمال والاستغناء عن الخلق ثم إن الله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه اللعب واللهو والعبث حين قال :"وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين" [الدخان/٣٨].

واللعب واللهو والعبث من صفات المخلوقين والله منزه عن صفات المخلوقين فلن يبق إلا أنه سبحانه حكيم.

ومن ثم جاء موقف الإمام حميدان ليؤكد أن الله سبحانه وتعالى حكيم وكونه حكيم في أفعاله لا يعني أن الحكمة علة قاهرة لله سبحانه على فعل ما فعل لأن الله سبحانه - كما يرى الإمام حميدان - فاعلا مختارا لفعله[٢].

ومن هذا المنطلق أيضا نرفض تعليل المعتزلة للفعل الإلهي ذلك التعليل الذي دفعهم إلى إيجاب الكثير من الأمور على الله : ووضعهم لله سبحانه بين عبارتيهما : "يجب على الله" "لا يجب على الله"[٣]. فهذه عبارات سيئة لا تجوز في حق الله ، ولا يجوز للمخلوق أن

---

(١) الإمام حميدان : المسائل الباحثة ، لوحة ١٤٩ يمين.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح ، لوحة ٩٢-٩٣.

(٣) من ذلك أنهم قالوا : إن وجد الصلاح وإلا صلح في زمن واحد وجب عليه تعالى الأصلح" (الإيجي : جواهر الكلام ، تحقيق أبو العلا عفيفي ، ط مصر الأولى ، سنة ١٩٣٥ ، ص ٢١٣-٢١٤ ،

يوجهها إلى الخالق سبحانه، لأنه لا ينبغي على الله لا ما أوجبه على نفسه ، ولا ينبغـــي أن ينفى عن الله إلا ما نفاه عن نفسه.

مما سبق يتضح الآتي :

١- أن الإمام حميدان يعلل أفعال اله سبحان بحكمته تعالى.

٢- أن حكمة الله سبحانه ليست علة قاهرة لله تعالى على فعل ما فعله على نحو ما.

٣- أن علاقة الحكمة كعلة بأفعال الله تعالى لا توجب التلازم الضروري الذي كان ســائدا فى مفهوم العلية القديم ، لأن الله سبحانه فاعل حر متى شاء فعل .

٤- أن الإمام حميدان إنما أراد بتعليل أفعال الله سبحانه بالحكمة أن يميز بين أفعال الخـــالق المحكمة وأفعال المخلوق التي ربما كانت لحكمة أحيانا وربما كانت من أجل العبـــث واللعب واللهو، ومن ثم يؤكد حرية الفعل الإنساني واستقلاله.

حـ- الفعل الإنساني :

لقد افترقت الآراء حول أفعال الإنسان ، فالمعتزلة ينسبون الفعل حقيقة إلى الإنسان ويدلل فيلسوفهم الكبير القاضي عبد الجبار على ذلك فيقول :"والدليل على ذلك ما سلف من أنها تقع بحسب قصدهم وعلومهم وقدرهم ، فلو أراد أحد منا البناء لم تقع الكتابـــة ، ولو جهل الكتابة لم تصح أن تقع ، ولو أراد حمل الجبال لم يقع ، ولو كان من فعل غيره فيه لكان جهله وعلمه وقلة قدرته وكثرتها بمنزلة واحدة ، وهذا يدل على أن أفعالهم حادثة من قبلهم"(١).

ويرى الأشاعرة عكس ذلك فالفعل عندهم ينسب حقيقة إلى الله سبحانه وفى ذلـك يقول الإمام أبي الحسن الأشعري :"لم نكن نحن قدرية لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون

وأيضا المواقف ص ٣٢٨). ويقول القاضي عبد الجبار : فالله لا يعمل إلا الأصلح لعباده (المغــنى - الصلاح والأصلح ، حـــ ١٤ ، تحقيق مصطفى السقا ، ط الأولى ، ص ١٨).

(١) رسائل العدل والتوحيد ، حـــ١ ، القاضي عبد الجبار :"المختصر في أصول الدين" ، ص ٢٣٣.

ربنا عز وجل ، ولم نقل أنا نقدرها دونه ، وقلنا أنها تقدر لنا"[١] ويقول الإيجي :"أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى"[٢].

وينحاز الإمام حميدان إلى المعتزلة ويثبت الفعل الإنساني إلى الإنسان حقيقة وذلك حين يفرق بين الفعل الإلهي والفعل الإنساني فيقول :"ففعل الله هو جميع أصول العالم وفروعه التي لا خالق لها إلا هو سبحانه خلافا لمن أنكر ذلك من الملحدين. فالله سبحانه لا شريك له في خلق جميع أصول العالم وفروعه أجسامه وأعراضه ... وكذلك فإنه لا يجوز أن يضاف إلى أحد من المخلوقين فعل شيء حقيقة إلا شيئين من الأعراض لا ثالث لهما وهما حركة كل حيوان وسكونه"[٣].

فالحركة والسكون إذن هما العرضان اللذان يمكن إضافتهما حقيقة إلى الحيوان وذلك لأن كل فعل يفعله الحيوان فهو راجع إلى الحركة وكل ترك يتركه فهو راجع إلى السكون ، ومن هنا نعلم غلط من زعم أن التارك للفعل لم يفعل شيئا[٤].

وقد زعمت المعتزلة[٥] ذلك فقالت : أن الترك ليس بشيء ، وأن تارك الصلاة يستحق الذم والعقاب على غير فعل فعله[٦]. فالحركة والسكون هما فعل الحيوان حقيقة سواء كان المتحرك الساكن مختارا لفعله أو ملهما له أو ملجئ إليه وإن اختلفت الأحكام[٧].

---

(١) الأشعري :"الإبانة عن أصول الديانة" ، ص ١٩٧-١٩٨.

(٢) الإيجي : المواقف ، ص ٣١١.

(٣) الإمام حميدان : "تنبيه الغافلين" ، لوحة ٣٣ شمال.

(٤) المصدر السابق.

(٥) اختلف المتكلمون في الترك للشيء والكف : ١- فقال قائلون بإثبات الترك ، وانه معنى غير التارك.
(٢) وقال قائلون : بنفي الترك وانه ليس بشيء. ٣- وقال قائلون ترك الإنسان للشيء معنى ، لا هو الإنسان ولا هو غيره. ٤- وقال "عباد بن سليمان" : أقول : إن ترك الإنسان غير الإنسان (الأشعري : المقالات ، حـ٢ ، ص ٦٥).

(٦) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٢٨ يمين.

(٧) المصدر السابق : لوحة ٣٣ شمال.

ولهذا جاء مذهب أئمة العترة ومن قال مثل قولهم أن الله سبحانه قد مكن المكلف بما جعل له وفيه من القدرة من فعل ما يختاره لنفسه من فعل بر أو فجور ابتلاء منه سبحانه له بذلك ولذلك سمي مكلفا ومتعبدا ، والقول بأن جميع ما يبتلى الله به عباده من النقائص والآفات والأمراض حكمة ومصلحة وذلك ظاهر لا ينكره إلا من أنكر محكم الكتاب والمجمع عليه من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم(١).

وقد خالفنا فى ذلك أصحاب القول بالجبر وهم الأشعرية القدرية الذين يزعمون أن المكلف مجبور على الطاعة والمعصية وأنهما فعل له سبحانه. ثم نقضوا ذلك بقولهم أنها كسب له وزعموا أن بين الفعل والكسب فرقا وإنما ابتدعوه ليدلسوا به على المقلدين لهم.

وقد ترتب على قولهم هذا أنه لا فرق فى العقل ولا فى السمع بين إضافة كل واحد منهما إلى العبد ولا بين القدرة عليهما ولا بين الإرادة لهما ولا بين حدثهما فى وقت واحد من فاعل واحد ولا بين استحقاق المدح والذم عليهما(٢).

والحق أن هذا عرض مشوش من الإمام حميدان لنظرية الإمام الأشعري فى الكسب فالإمام الأشعري لم يقل بالجبر وإنما أراد بقوله أن الله سبحانه خالق أفعال العباد أن يبتعد عن تلك الفكرة التي كانت تبدو مضحكة فى صدر الإسلام والتي جلبت أشنع التهم للمعتزلة وهي أن العبد خالق كخالقه بل أوسع اختصاصا منه لأنه يخلق الخير والشر جميعا(٣).

فالله سبحانه وتعالى قد خلق فى عبادة قدرة محدثة وهذه القدرة قدرة كاسبة وليست خالقة. فالله وحده هو الخالق : وفى ذلك يقول الأشعري :"يقال للقدرية هل يجوز أن يعلم الله عز وجل عباده شيئا لا يعلمه ؟ فإن قالوا : لا يعلم الله عباده شيئا إلا وهو به عالم. قيل لهم فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر ... فإذا قدرهم على الكفر فهو قادر

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٣١ شمال.

(٢) المصدر السابق.

(٣) د. حموده عرابه . أبو الحسن الأشعري . مجمع البحوث الإسلامية . القاهرة . سنة ١٩٧٣، ص ١١٢-١١٣

أن يخلق الكفر لهم. فلم أبيتم أن يخلق كفرهم وقد قال تعالى :"فعال لما يريد" [هود/من الآية١٠٧][1].

فالله سبحانه قد خلق الخير والشر وأحدث للإنسان قدرة مهمتها كسب الفعل لا خلق الفعل المخلوق بقدرة الله تعالى خلال قدرة الإنسان، وقدرة الإنسان هنا شرط أساسي لابد منه لبروز هذه الأفعال على يد العباد . ومعنى هذا أن الأشعري قد وضع كسب الإنسان لأفعاله مكان خلفه لها كنصيب مصحح للثواب والعقاب فى رأيه . والفرق بين الكسب والخلق واضح فالخلق لا يستلزم صفة جديدة فى الخالق والكسب يستلزم ذلك فى الكاسب وأيضا فإن الخالق يستلزم إحاطة الخالق بالمخلوق من كل وجه والكسب لا يستلزم ذلك بل يكفى فيه إحاطة الكاسب بالمكسوب ولو من وجه[2].

وبهذا نؤكد أن الإمام حميدان لم يفهم أبعاد مذهب الإمام الأشعري فى الكسب وانساق وراء المعتزلة فى اتهامهم للأشعرية بالجبر.

ثم يؤكد الإمام حميدان نسبة الفعل حقيقة إلى الإنسان على النحو الآتي :

أولا : أن الله سبحانه فرق بين فعله وفعل عباده، فمما يدل على أنه سبحانه لم يخلق شيئا من أفعال العباد وعلى أنها ليست بفعل له سبحانه قوله سبحانه :"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة" [المؤمنون/من الآية١٤] إلى آخر الآية. فانظر كيف فرق سبحانه بين ذلك لأن إلقاء النطفة فى القرار المكين فعلا للملقى بأن عبر عنه بالجعل دون ما قبله وبعده لأجل كون الجعل محتملا للتأويل ويصح به التمييز بين فعله سبحانه وفعل غيره[3].

ثانيا : لو كان الإنسان مجبور على فعله لكنا لا نستطيع التمييز بين فاعل حر وفاعل مجبر أو فاعل عاقل وفاعل غير عاقل ولكنا نستطيع أن نميز بين فاعلين أربعة :

---

(١) الأشعري : الإبانة عن أصول الديانة ، ص ١٨١.

(٢) د. حموده غرابه : أبو الحسن الأشعري ، ص ١١٣.

(٣) الإمام حميدان : تنبيه الغافلين ، لوحة ٣٤ شمال.

الفاعل الأول هو الخالق البارئ المصور المبدئ المعيد الفعال لما يريد وفعله هو جميع أصول العالم وفروعه التي لا خالق لها إلا هو سبحانه خلافا لمن أنكر ذلك من الملحدين.

الفاعل الثاني : هو كل حي قادر عاقل متمكن بما ركب الله له وفيه من القدرة ومن آلة الحركة والسكون على تصريف حركته وسكونه فيما يختاره من فعل واجب أو مستحب أو محظور أو مكروه أو مباح خلافا للمجبرة.

الفاعل الثالث : هو كل عاقل مكره على فعل أو مسخر من المماليك وغيرهم.

الفاعل الرابع : هو كل حي غير عاقل وذلك أن جميع أصناف الحيوانات التي ليست بعاقلة لا توصف بأنها مختارة وإن كان بعضها ملهما للتميز بين ما ينفع ويضر.

وهذا التقسيم للفاعلين مخالف لمذهب المجبرة لأن كل فاعل من الخلق مجبور بزعمهم على فعله[١].

ثالثا : أن الفعل الإنساني يحتاج إلى استعمال الإنسان لبدنه وجميع آلاته الظاهرة[٢] والله سبحانه فاعل لا بحركة[٣].

مما سبق ، وانطلاقا من تمييز الإمام حميدان بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية وبين الفعل الإلهي والفعل الإنساني - يؤكد الإمام حميدان - حرية الإنسان ومسئوليته عن أفعاله.

تعقيب :

لقد أراد الإمام حميدان أن يثبت حرية الإنسان ومسؤليته ، وهذا أمر يحمد له وذلك أنه يستقيم والفهم الصحيح لروح الإسلام ، وذلك أن الإنسان فى الإسلام - كما عرفنا وكما عرف الآخرون - يختلف عن سائر المخلوقات بما وهب من وعى وحرية ، فليس ثمة جبر أو إلزام ، فهو وحده الذي منح ميزة الاختيار بين أن يطيع وأن يعصى وهناك صلاح

---

(١) المصدر السابق . لوحة ٢٢-٢٣

(٢) المصدر السابق . لوحة ٢٨ يمين

(٣) الإمام حميدان التصريح بالمذهب الصحيح . لوحه ٨٧ شمال

واستقامة أزلية . ولكن لا إجبار فيها[١] كما أن المسئولية التي تحملناها أمـام الله سـبحانه وأمام أنفسنا تعني : أن يكون العمل شخصيا ، إراديا ، أي تم بحرية ، ونحن على وعى كامل به[٢]. وهذا ينسجم تماما مع ما نشعر به من أننا نعبر عن أنفسنا في أداء هـذا الفعـل أو ذاك[٣]. ومع ذلك فنحن نأخذ على الإمام حميدان عدة مآخذ هي :

١- إن القول بأن الإنسان خالق لأفعاله قول فاسد ، ذلك أن المقصود بالخلق هو الإيجـاد من العدم المحض ، وهذا الفعل لا ينبغي أن يضاف إلا لله سبحانه وحده ، وقد جـاء القرآن الكريم ليسمى أفعال العباد فعلا وعملا وكسبا لا خلقا ، والتزم المسـلمون بذلك فلم يقولوا فلانا خلق كلامه أو حركاته وإنما قالوا : قال فلان ، صام فـلان ، صلى فلان .....الخ .

٢- وضع الإمام حميدان للأشعرية فى مصاف المجبرة فيه تجن واضح أو عدم فهم لمذهـب الكسب ، مع أنه لا فرق بين مذهب الإمام حميدان ومذهب أبي الحسن الأشـعري فى الكسب إلا فى عمل القدرة – بعد اتفاقهما على أن القدرة منحة مـن الله سـبحانه للمكلف – فالقدرة عند الإمام الأشعري تحدث مع كل فعل وهى قدرة كاسبة فقط ، والقدرة عند الإمام حميدان سابقة للفعل وهى قدرة خالقة .

٣- وفضلا عن هذا فقد جاء موقف الإمام حميدان في علاقة الإرادة الإلهية بـالفعل غـير واضحة ومضطربة حيث لم يستطع التوفيق بين قوله أن الله "مريد بذاته" وقولـه :"لا يعقل كون الإرادة إرادة إلا إذا كانت فعلا للمريد" لأن في هذا خلط بـين قولـين متناقضين يرى أولهما أن الإرادة قديمة ويرى الثاني أنها حادثة بحدوث الفعل.

٤- وإلى جانب ذلك أيضا، وعلى الرغم من هجوم الإمام على المعتزلة، فقد وقع فيما عابه عليها وهو قياس مفكريها للغائب على الشاهد ، وذلك نحو قياسه للمريد لا بـإرادة

---

(١) كانتويل سميث : الإسلام في التاريخ الحديث ، سلسلة كتب سياسية ، رقم ١٦٣ ، ص ١٢.

(٢) د. فوقية حسين محمود : فلسفة القيم (محاضرات) ، طبعة بالأوفست ، عام ١٩٨٣، ص ٢١٨

(٣) انظر (د. زكي نجيب محمود . المنطق الوضعي ، حـ٢، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، سنة ١٩٥٦م . ص ٤٣٨

(الغائب) على المريد بإرادة (الشاهد) مع غياب العلة المشتركة بينهما مما أفسد قياسه ، وأدى إلى اضطراب مذهبه في الإرادة الإلهية.

الفصل الثامن
[مشكلة الإمامـــــة]

تمهيـــــــــــــد .

١- البعد التاريخي لمشكلة الإمامة .

٢- تعريف الإمامة .

٣- وجوب نصب الإمام .

٤- في من تكون الإمامة .

٥- شروط الإمامة .

٦- بما تثبت به الإمامة .

٧- طريق ثبوت الإمامة .

٨- أفضل الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

٩- الإمام الحق بعد رسول – صلى الله عليه وسلم –.

١٠- مذهبه في الصحابة .

١١- الشيعي والمتشيع .

تمهيــد :

إن مشكلة الإمامة تعتبر من أهم المشاكل التي شغلت فكر الشيعة – وخاصة الزيدية منهم – وإذا كانت هذه المشكلة قد غرست بذورها إبان الأحداث السياسية التي نشـبت في عهدي الخليفتين عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما، إلا أنها سرعان ما تضخمت وامتدت لتشمل المستوى العقائدي حيث تطلع كل فريق الى التماس الأدلة الـتي ترجح موقفه من القرآن والسنة.

ولما كانت هذه المشكلة من المشاكل الواقعية فقد ظلت تمثل الشغل الشاغل للمفكر المسلم حتى عصر الإمام حميدان، وكان لا بد لمفكرنا خاصة وهو ينتمي إلى الفكر الزيـدي أن يعرض لهذه المشكلة وأن يدلو بدلوه فيها ... وكيف لا ؟ ومشكلة الإمامة تمثل منطلـق فكر مفكرنا وغايته وكل كيانه، حتى أنه لم يعالج كافة ما تناوله من مشاكل فلسفية وكلامية إلا في ضوء مذهبه في الإمامة.

وموقف الإمام حميدان من مشكلة الإمامة هو موقف الشيعة جميعاً الذين أجمعوا على أن الإمامة ليست قضية مصلحيه تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام لنصبهم، بـل هـي قضية أصولية وركن من أركان الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه الى العامة[١]. ويعتمدون فى ذلك على نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضـى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة[٢]. وربما من المناسب وقبل أن نعرض لهذه المشـكلة عنـد مفكرنا أن نبدأ بالحديث عن البعد التاريخي لمشكلة الإمامة.

(١) البعد التاريخي لمشكلة الإمامة :

أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم اختلافهم فى الإمامة[٣] حيث توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعين من يخلفه، ولم ينص علـى

---

(١)الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٤٨.

(٢) ابن خلدون: المقدمة ط٥ دار العلم – بيروت – لبنان عام ١٩٨٤ ص١٩٧..

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين ، جـ١ ص٣٩.

نظام يتبع فى الخليفة. ولقد أدى هذا الأمر بالمسلمين الى خلاف عظيم، إذ ما سُل سيف فى الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة فى كل مكان. وقد سهل الله تعالى ذلك فى الصدر الأول فاختلف المهاجرون والأنصار : منا أمير ومنكم أمير[1] فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا فى قريش فازعنوا لذلك منقادين ورجعوا الى الحق طائعين[2].

ولما كانت البيعة هي الطريقة التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لعباده حيث قال: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم" [الفتح/من الآية١٠] لما كان الأمر كذلك فقد اختارها المسلمون وسيلة لاختيار الخليفة فبايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته[3]. وكذلك كان أمر الخلافة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى ذلك يقول الشيخ محمد أبو زهرة : "ولذلك قد استقرت الأمور فى عهد الشيخين أبي بكر وعمر فقد قويت الوحدة الإسلامية فى عهدهما حتى إنه ما كان يحدث خلاف إلا انتهى الى وفاق"[4].

واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن ولّى عثمان بن عفان (٤٧ق هـ - ٣١هـ-٥٦٢-٦٤٤م) رضوان الله عليه ، وأنكر قوم عليه فى آخر أيامه أفعالا كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن الحجة خارجين فصار ما أنكروا عليه اختلافا الى اليوم ثم قتل رضوان الله عليه، وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا: كان رضوان الله عليه مصيباً فى أفعاله، قتله قاتلوه ظلماً وعدوانا وقال قائلون بخلاف ذلك[5].

وهكذا انشقت الوحدة فى غير تلاق إذ ركبت الأهواء الرؤوس وقامت الفتن التي تنبأ بها النبي صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي

---

(١) السهرستاني: الملل والنحل ص٢٥.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين ، جـ١ ص٤١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) لشيخ أبو زهرة: "ابن تيميه" دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٧ ص١٦٤.

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين جـ١ ص٤٩.

والماشي خير من الساعي من يشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معـــاذ فليعـــذ به"[١].

ثم بويع على بن أبي طالب (٢٣ق هـــ-٤٠هـــ= ٦٠٠-٦٦١م) - رضـــوان الله عليه- فاختلف الناس في أمره فمن منكر لإمامتة، ومن بين قاعد عنه، ومن بين قائل بإمامته : معتقد لخلافته[٢].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أخذت الفتة في عهده لونا آخر : اتهمه الأمويون بأنه مالأ في قتل عثمان أو على الأقل لم يقتص من القتلة بل كانوا بطانته ومنهم قادة جيوشه وعلى من ذلك براء فما مالأ ولا آوى ولكنه تريث حتى يجئ ولى الدم ويطالب بدم عثمان وتكون الفتنة قد هدأت فيضع يده على القاتلين، ولم ينته أمر الخلافة إلا بالقتال يقع بينـــه وبين الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومعهما على رأس الجيش أم المؤمنين عائشة حـــق إذا قاتل مضطر وانتصر، حاربه ثانياً معاوية باغيا فقاتله على حتى كشف الصفوف عنه، ولم يبق إلا أن يقضى على جيشه وتموت الفتنة، إذ قطع رأسها، ثم احتـــال معاويـــة فعـــرض التحكيم وعندئذ خرج الخوارج وانقسم المسلمون ثلاث طوائف: إحداهما مع على وهـــم الشيعة ، والثانية خرجت على الاثنين وهم الخوارج ، وطائفة أخرى بقيت مـــع معاويـــة وطائفة اعتزلت الفتنة من نشأتها الى نهايتها من المعتزلة[٣].

غير أن هذه الخلافات السياسية في منشئها سرعان ما تحولت إلى خلافات عقائديـــة بسبب محاولة كل فريق دعم موقفه بنصوص من القرآن والســـنة يختارونهـــا دون تقديـــر لأصول التفسير[٤].

وهكذا يتضح أن مشكلة الإمامة من أهم المشكلات التي ساهمت إلى أبعد الحـــدود فى نشأة الشيعة كما لعبت دوراً بارزا فى تشكيل أفكار الفرق الأخرى كالخوارج والمرجئـــة والمعتزلة .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: "ابن تيميه" ص١٦٤.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين ، جـــ١ ص٤٩.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة:"ابن تيميه" ص١٦٥

(٤) د. فوقية حسين محمود: "مدخل الى الفكر الإسلامي" ص٧٢

(٣) تعريف الإمامة :

قال قوم الإمامة رياسة عامة فى أمور الدين والدنيا[١]. وهذا ما يميل إليـــه الإمـــام حميدان حيث يقول: "الإمام هو ... الشخص الجامع للرياسة على الخلق في الدين والدنيـــا على وجه لا يكون فوق يده يد كما قالته أئمتنا عليهم السلام[٢]. لكن هذا القول نقـــض بالنبوة والأولى أن يقال: هي خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب إتباعه على كافـــة الأمة[٣].

(٣) وجوب نصب الإمام:

اختلفت الفرق في وجوب نصب الإمام، وفى ذلك يقول الإيجي: "نصـــب الإمـــام عندنا واجب علينا سمعا، وقالت الإمامية والإسماعيلية بل على الله ... وقالت الخـــوارج لا يجب أصلا"[٤].

وعند مفكرنا الإمام حميدان نصب الإمام واجب علينا عقلا وسمعا:

أما عقلا : فلأن الحاجة إلى الإمام كالحاجة إلى الرسول إذ لا فرق بين الحاجـــة إلى الرسول والحاجة الى من يقوم مقامه فى كل عصر[٥]. ولذلك قال القاسم الرسي فى كتـــاب الرد على الروافض مؤكدا لذلك بالدليل: "لأن الله سبحانه ختم النبيين بمحمد صلـــى الله عليه وسلم فلا نبى بعده ولا مرسل من الله سواه فلما إن كان ذلك كذلك لم يستغن الخلق عن قائم فى كل وقت بأمرهم حاكم فيهم بكتاب الله يبين الأحكام ويوضح الإســـلام"[٦]. وقال غيره من الأئمة : "اصل الإمامة فى العقول لأن الحكيم قد علـــم أنـــه لا بـــد مـــن

---

(١) الإيجي: المواقف، ص٣٩٥

(٢) الإمام حميدان: جواب المسائل الشفوية، لوحة ١٣٨ يمين.

(٣) الإيجي: المواقف، ص٣٩٥.

(٤) المرجع السابق .

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٦ يمين.

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٨٣ شمال.

الاختلاف بين المخلوقين فجعل فى كل زمان حيا مترجماً لغوامض الأمور مبينا للخيرات من الشرور ولا يعدم ذلك كل قرن من القرون"[١].

وأما سمعاً: فقد أمر الله نبيه أن يعرف الأمة بالأئمة[٢]. ولذلك قال الأئمة: أن الأصل فى الإمامة أنها فريضة من الله ورسوله نطق بها الكتاب وجاءت بها السنة[٣] لكل ما سبق يوجب الإمام حميدان على المؤمنين طلب الإمام[٤].

(٤) في من تكون الإمامة ؟

زعمت الأشعرية أن الإمامة فى قريش[٥]. ومنعه الخوارج وبعض المعتزلة (القدماء)[٦] فقالوا إن الإمامة فى جميع الناس[٧]. وزعمت فرق الإمامية أن الإمامة بعد الحسن فى ولد الحسين خاصة[٨]. أما مذهب أئمة العترة فهو أن الإمامة لا تكون إلا فى على والحسن والحسين ثم فى ولد الحسن والحسين[٩].

فأما قول الخوارج أن الإمامة فى كل الناس فباطل لقول لله سبحانه: "الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس" [الحج/من الآية٧٥] وقوله عز وجل "الله اعلم حيث يجعل رسالاته" [الأنعام/من الآية١٢٤] وقوله: "ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب" [الحديد/ من الآية٢٦] وقوله لإبراهيم صلى الله عليه: "إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي" [البقرة/من الآية ١٢٤] فاستجاب له ولذلك استثنى الظالمين منهم[١٠].

---

(١) الإمام حميدان: بيان الإشكال، لوحة ١٣٥-١٣٦.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح لوحة ٥١ شمال.

(٣) الإمام حميدان: المنتزع الأول، لوحة ١١٢يمين.

(٤) الإمام حميدان:المسائل الشفوية لوحة ١٣٩ يمين.

(٥) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٦ يمين.

(٦) الإيجي: "المواقف" ، ص٣٩٨

(٧) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٦ يمين.

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق ٣٦ شمال.

(١٠) المصدر السابق .

ومما يدل على بطلان قول من زعم ان الإمامة فى قريش .. آية المباهلة وما فيها من النص البين على كون الحسن والحسين أبني رسول الله وعترتة وآله وأهل بيته وذريته وإيجابه سبحانه لمودة ذوى قرباه والصلاة فى كل صلاة عليهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بان يتمسكوا بعترته مع الكتاب وما أشبه ذلك من الأدلة التي قدمها الله سبحانه حجة له ولأوليائه على أعدائه لعلمه سبحانه بأنهم سيحسدونهم[١].

ومما يدل على بطلان تخصيص الإمامة بولد الحسين دون ولد الحسن كون ذلك بدعة حادثة لا دليل عليها ولذلك اختلفوا وخالفهم فيه صلحاء سائر ولد الحسين[٢]. والحق أن القائلين بذلك إنما استندوا فى قولهم هذا على أصل وهو تنحى الإمام الحسن رضى لله عنه عن الخلافة وتنازله عنها لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه . والخطورة فى هذا القول بالنسبة للإمام حميدان هو أنه يسلب الشرعية عن أئمة دولة الزيدية فى اليمن إذ أن معظم أئمتها من أبناء الحسن والقليل من أبناء الحسين[٣].

(٥) شروط الإمامة :

يقول الإيجي: "الجمهور على أن أهل الإمامة مجتهد فى الأصول والفروع ليقوم بأمور الدين، ذو رأي ليقوم بأمور الملك ، شجاع ليقوم على الزب على الحوزة ، وقيل لا يشترط هذه الصفات لأنها لا توجد فيكون اشتراطها عبثاً و تكليفاً بما لا يطاق، ومستلزماً للمفاسد التي أمكن دفعها بنصب فاقدها، نعم يجب أن يكون عدلا لئلا يجور، عاقلا ليصلح للتصرفات، بالغاً لقصور عقل الصبي ، ذكر لأن النساء ناقصات عقل ودين، حرا لئلا يشغله خدمة السيد ولئلا يحتقر فيعصى، فهذه الصفات شروط بالإجماع"[٤]. هذا بالإضافة

---

(١) المصدر السابق ، لوحة ٣٦ شمال

(٢) المصدر السابق، لوحة ٣٧يمين

(٣) معظم أئمة هذه الدولة من أبناء الإمام الهادي إلى لحق يحيى بن حسين وعددهم ٥٩ إماماً (يطلق عليهم الحسنيين) ، أما الباقون فينسب خمسة منهم إلى الحسن بن زيد بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه، واثنان – فقط – إلى الحسين بن على وهم الحسينيون. انظر [مع اليمن السعيد من فجر التاريخ إلى ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، صدر عن مدرسة الثغر الثانوية بالحديدة، مطبعة الإستقلال الكبرى ، القاهرة ، د.ت ، ص٢٢١.

(٤) الإيجي: المواقف، ص ٣٩٨.

الى العلم بأمور الدين والدنيا مما يسهل عليه الحكم[١]. واختلفوا فى غير ذلك من شروط[٢]. أما الإمام حميدان فيشترط فى الإمام - بعد أن يكون من ولد الحسن والحسين -

أولاً: أن يكون بالغاً فى العلم إلى درجة السبق وهى الإحاطة بما يحتاج إلى معرفته من علم الكتاب والسنة والتمكن من استنباط غامضها.

ثانياً : أن يكون فيه مع ذلك من السخاء والقوة والزهد والورع وحسن التدبير بما يصلح لأجله أن يكون ممن يعتمد عليه ويركن إليه ويوثق به لسد الثغور وتدبير الأمور وجمع كلمة المسلمين ومنعهم بالدليل عن التفريق فى الدين[٣] وقد تبين من كلام الإيجي - الذي يؤيده الواقع - استحالة اجتماع كل هذه الصفات فى شخص واحد.

ثالثاً : أن يكون افضل الناس[٤] وهذا شرط مستحيل إذ لا يعلمه إلا الله، كما أن فيه مخالفة صريحة لرأى إمام الزيدية الذي أجاز إمامة المفضول مع وجود الفاضل[٥].

رابعاً : العصمة[٦]: وطُعن في هذه العصمة بما وجد للإمام على - وهو معصوم عند مفكرنا وأسلافه من أئمة الزيدية -من أقوال متدافعة كنهيه عن بيع أمهات الأولاد ثم رأيه فى بيعهم بعد ذلك[٧].

---

(١) د. عبد الكريم عثمان: معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة، بيروت طبعة عام ١٩٨٢م، ص١٦٠.

(٢) من الشروط التي اختلفوا فيها النسب، والعلم بجميع مسائل الدين وأصوله وفروعه، والعصمة من الذنوب [المرجع السابق].

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمنصب الصحيح، لوحة ٦٣-٦٤.

(٤) الإمام حميدان: جواب المسائل لشفوية، لوحة ١٤٠ شمال.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ص١٥٨.

(٦) العصمة عند مفكرنا تعنى أن عليا معصوم باختياره فالله سبحانه قد أمر نبيه على انه الخليفة من بعده لعلمه باعتصامه، وقد خالفه البعض فزعموا أن الله يفعل للمعصوم ألطافا يعتصم لأجلها وهذا هو المذهب الحق عند الباحث لان العصمة منة من الله وإلا لكانت بالاكتساب ولم يقل أحد بذلك [انظر: الإمام حميدان: جواب المسائل الشفوية ، لوحة ١٤١ يمين]

(٧) المرجع السابق.

ولكن الإمام حميدان يدافع عن هذه العصمة بقوله: "إن تحريم بيع أمهات الأولاد لا يخلوا إما أن يكون بنص معلوم من الكتاب والسنة وإما أن يكون باجتهاد فان كان بنص وجب القطع أن علياً عليه السلام لا يخالف النص وإن كان باجتهاد فقد يختلف الاجتهاد لأجل اختلاف المصالح فى الأوقات وقد يجوز أن يغلط المجتهد ولا يبطل بذلك كونه إماماً ومعصوما"[1].

وردنا عليه أن هذا شأن علماء العامة فلما أثبت العصمة لعلماء الزيدية وأئمتهم دون علماء العامة وأئمتهم ؟! وكذلك طعن فى هذه العصمة بسبب كثرة اختلافات الأئمة . ونحن سنغض الطرف ونؤمن مع الإمام حميدان بعصمة الأئمة ولكننا نقول له إن أول الأئمة أو الأوصياء عندك هو الإمام على الذي صدر عنه – وهو المعصوم – إعطائه البيعة لأبى بكر، وكذلك الإمام زيد الذي قال بإمامة الخلفاء الثلاثة السابقين على علي عندما أجاز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، ومن ثم ينبغي عليك أن تؤمن مثلهما – وهما معصومان – بأن هذه البيعة كانت حق لأنها من عمل المعصوم ولكنك خلفت أئمتك ولم تقر لهما بالإمامة ولا يخلو موقفك هذا من أمرين :

الأول : إما أنك غير صادق في دعوى العصمة فينهار القول بها.

الثاني : وإما أن تكون صادق فيها فتكون بذلك مخالفاً لأئمتك خارجاً على مذهبك.

(٦) بما تثبت به الإمامة :

مذهب العترة أن الإمامة تثبت بالنص الجلي فى على والحسن والحسين وفى ولد الحسن والحسين بالدليل[2].ورواية الإمام السابق[3].

ويدلل الإمام حميدان على وجود النص الجلي بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعلى رضى الله عنه في قصة أسيد بن خويلد اخرج إليه يا على ولك الإمامة من

---

(١) المصدر السابق، لوحة ١٤١.

(٢) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٦ شمال.

(٣) المصدر السابق، لوحة ٣٧يمين.

بعدى" وقوله صلى الله عليه وسلم " "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما"[١].

وأنكر الأشعرية وجود النص الجلي فذهبوا إلى أن عدم النص معلوما قطعاً لأنه لو وجد لتواتر ولم يمكن سترة عادة. وأيضاً لو وجد نص جلى على إمامة على لمنع به غيره عن الإمامة: كما منع أبو بكر الأنصار بقوله عليه السلام:"الأئمة من قريش" مع كونه خبر واحد فأطاعوه وتركوا الإمامة لاجله، فكيف يتصور أن يوجد نص جلى متواتر فى على وهو بين قوم لا يعصون خبر الواحد فى ترك الإمامة وشأنهم فى الصلابة فى الدين ما يشهد به بذلهم الأموال والأنفس ومهاجرتهم الأهل والوطن، وقتلهم الأولاد والآباء والأقلوب فى نصرة الدين، ثم لا يحتج عليهم بذلك بل ولا يقول أحد منهم عند طول النزاع فى أمر الإمامة ما بالكم تتنازعون والنص قد عين فلاناً؟ ولو زعم زاعم أنه فعل ذلك فلم يقبلوه كان مباهتا منكر للضرورة[٢].

أما الدليل – كما يرى الأمم حميدان – فنحو توافر شروط الإمامة فى الأئمة إلى جانب اصطفاء الله لهم لإرث الكتاب[٣]، وأمر الله للناس بطاعتهم [٤] ومودتهم[٥] وموالاتهم[٦]. هذا بالإضافة إلى إجماع الأمة على إمامة الأئمة من آل البيت[٧].

وكل هذه الأدلة – كما سنوضح فيما بعد – هي أدلة إما جدلية أو وهمية وليست من اليقين في شئ .

ومما يدل على أن الإمام السابق حجة لله سبحانه يجب تصديقه والإقتداء به قول الله سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" [النساء/من

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الإيجي. المواقف ص٤٠٤.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٨.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٨.

(٥) المصدر لسابق، لوحة ٥٨.

(٦) المصدر السابق، لوحة ٦٠.

(٧) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب لوحة ٤٨.

الآية ٥٩] وأولى الأمر هم أئمة الأعصار فدل فبذلك على أن طاعتهم واجبة كطاعته وطاعة رسوله وكل من وجبت طاعته لم تجز مخالفته ولا الشك ف رويته[١].

وهنا نسأل الإمام حميدان إذا كانت إمامة الإمام تثبت بالإمام السابق فلما تنكر على أبي بكر اختياره لعمر رضى الله عنهما؟!

(٧) طريق ثبوت الإمامة :

زعمت الخوارج وقدماء المعتزلة والأشعرية أن طريق ثبوت الإمامة الشورى والعقد والاختيار[٢] حيث جعل هذا الأمر للأمة يعقدون ويختارون للإمامة من اتفق رأيهم على تقديمه واحتجوا بقوله سبحانه: "وأمرهم شورى بينهم" [الشورى/من الآية٣٨] [٣]. ومما يدل على بطلان العقد والاختيار والشورى – كما يرى الإمام حميدان – نصوص الكتاب والسنة والعقل وإجماع الأمة مع العترة على جواز الإمامة فيهم، وإجماع الصحابة مع العترة على أن الأفضل أولى بالإمامة وإجماع المعتزلة على القول بإمامة على عليه السلام .

أما أدلة الكتاب فمنها قوله سبحانه: "الله اعلم حيث يجعل رسالاته" [الأنعام/من الآية١٢٤] وقوله "وربك يخلق ما يشاء ويختار" [القصص/من الآية ٦٨] وقوله: "واخترناهم على علم على العالمين" [الدخان/من الآية ٣٢] ونحو ذلك من الآيات المتضمنة للنص الصريح على أن الله سبحانه هو الذي يختار ويصطفى ويجتبى لتبليغ رسالاته وارث كتبه وتمليك النهى والأمر في بريته من يشاء من عباده وأنه لا خيرة لهم في ذلك[٤].

والظاهر من هذه الآيات الكريمة أنها لا علاقة لها البتة باختيار الله سبحانه للخليفة أو للإمام وإنما تشير – بما لا يدع مجالا للشك – الى حرية الله سبحانه في اختياره لمخلوقاته واصطفائه لرسله .

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٧ شمال.

(٢) المصدر السابق، لوحة ٣٦ يمين، وانظر أيضا الإيجي: المواقف، ص٣٩٩.

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٧ يمين.

(٤) المصدر السابق.

أما أدلة السنة فنحو قول الهادي الى الحق فى "كتاب الأحكام" عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله" وقوله: "إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وعترتي أهل بيتي أن اللطيف الخبير نبأني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض"(١)... وقوله: "أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك" .. وقوله: "ليس أحد من الخلائق يفضل أهل بيتي عتري" وقوله: "قدموهم وتعلموا منهم ولا تعلموهم ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تشتموهم فتكفروا"(٢) وقوله: "من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني"(٣)، وقوله: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عداه"(٤)، وقوله: "على مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى"(٥) وقوله: "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا"(٦)

والأحاديث المذكورة نوعان: نوع يدل على الفضيلة والفضيلة لا علاقة لها بالإمامة البتة، ولو كانت الإمامة تستحق بالفضيلة لكان أبو بكر وعمر هما أيضا أولى بالإمامة من غيرهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "على وفاطمة والحسن أهلي، وأبو بكر وعمر أهل الله، وأهل الله عز وجل أفضل من أهلي"(٧).

---

(١) لم يعرف هذا الحديث بهذه الألفاظ إلا عند الشيعة.

(٢) الثابت: "قدموا قريشا ولا تقدموها" رواه الطبراني عن عبد الله بن السابق وأبو نعيم ثم الديلمي عن انس [العجلوني: كشف الخفاء جـ٢ ص١٤٠]

(٣) له شواهد كثيرة منها ما رواه البيهقي فى الاعتقاد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحبوا الله لم يغزوكم به نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي" [البيهقي: الاعتقاد ص٢٠٢]

(٤) رواه الطبراني واحمد والضياء فى المختارة عن زيد بن أرقم وثلاثين من الصحابة .. فالحديث متواتر أو مشهور [العجلوني: كشف الخفاء جـ٢، ص٣٧٩]

(٥) روه احمد والشيخان وابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص بلفظ" "يا علي أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون إلا انه لا نبي بعدى" [المرجع السابق، ص٥٣٤]

(٦) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٩-٦٠.

(٧) العجلوني: كشف الخفاء جـ٢، ص٩٣.

والنوع الثاني الذي ينص على الأمة فأحاديث ضعيفة إن لم تكن موضوعه لما سبق أن بيناه من كلام الإيجي ن لو كان هذا النص صحيح لعلمه الصحابة.

وأما أدلة العقل المستنبطة من الكتاب والسنة :

١- انه قد ثبت في العقل أن شكر المنعم واجب وثبت بالدليل أن الله سبحانه منعم يجب شكره ومن شكره طاعته فيما أوجب من عبادته وكيفية عبادته لا تعلم إلا بمعرف من جهته فلذلك علم وجوب بعثه الرسل الى المكلفين ولا فرق بين حاجتهم إلى الرسول وحاجتهم إلى من يقوم مقامه فلذلك يعلم على الجملة وجوب نصب الأئمة فى كل عصر يحتاج فيه إليهم وقد ثبت انه لا اختيار للمكلفين فى الرسل فكذلك فيمن يقوم مقامهم .

٢- أنه قد ثبت بالدليل أنه سبحانه عالم بما كان وبما سيكون وأنه حكيم لا يجوز عليه الظلم ولا العيب وقد علم سبحانه بما سيكون من اختلاف الأمة بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وعلم أن اختلافهم مؤدى إلى هلاكهم وأنه لا نجاة لهم إلا بمن يجمع كلمتهم ويلم شعثهم فلو لم يدلهم سبحانه على من يتمسكون به فى دينهم ويعرفهم بمن يكون على يديه نجاتهم لكان مهمل لهم والإهمال قبيح لا يجوز إضافته الى الله سبحانه .

٣- انه قد ثبت أمر الله سبحانه للمؤمنين بطاعة أولي الأمر أمرا مجملا فلو لم يبينه لهم ويعرفهم بمن يجب عليهم طاعته لكان مخاطبا لهم بما لم يفهم ومكلفا لهم بطاعة من لا يعرف ومعرفا لهم بطاعة من نهى عن اتباعهم من الكبراء والسادات الذين توهموا انهم أولوا الأمر وذلك مما لا يجوز نسبته إلى الله سبحانه.

٤- أن الإمامة فضيلة تخص الأئمة ونعمة تعم المأمومين وذلك مما لا يجوز إضافته إلا الله سبحانه لأنه الذي بيده الملك وهو الذي يؤتى الملك من يشاء لا إلى أصل العقد والاختيار .

٥- أن المراد بنصب الإمامة إصلاح أمور الأمة ولا يصلح لذلك إلا من يعلم صلاحه ظاهرا وباطنا والعلم بذلك من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه ولذلك قال:

"الله أعلم حيث يجعل رسالاته" [الأنعام/من الآية١٢٤] بعد موت الأنبياء لا يكـون إلا مع من يقوم مقامهم من الأئمة.

٦- أن اختيار الأئمة لو كان موقوفا على رأى الأمة مع اختلافهم لم يمنع أن تختار كل فرقة إماما فيقع التشاجر أو لا يختار أحد منهم فيقع الإهمال أو يختار بعضهم دون بعـض فليس فيما احتجوا به من ذكرهم للشورى ما يدل على أن بعض فرق الأمـة أولى بذلك من غيره من سائر الفرق.

٧- أن الإمامة لو كانت لا تثبت إلا بالشورى والعقد والاختيار لما جاز لابى بكر أن يجعلها فى عمر من غير شورى.

٨- أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم كأقواله فإن كان لم يستخلف وجب الاقتداء بـه وإن كان استخلف وجب اتباع خليفته.

٩- انه صلى الله عليه وسلم لم يهمل أمته فى حال حضوره ولا يتركهم بلا زعيم يختاره لهم فى غيبه يغيبوها عنه وذلك يدل بطريقة الأولى على أنه لا يجوز أن يهملهم بعد وفاتـه صلى الله عليه وسلم[١].

وأما إجماع المعتزلة: فقد أجمعت المعتزلة مع العترة على القول بإمامة على رضـى الله عنه[٢]. ولكن كيف يصح هذا وأبو بكر افضل الخلائق عند معظم قدماء المعتزلة؟![٣].

لكل ما سبق يرى الإمام حميدان بطلان مبدأ الشورى والعقد والاختيـار كطريـق لثبوت الإمامة ويرى أن الطريق الصحيح لثبوت الإمامة هو النص الجلي على علي والحسن والحسين، وفى ولد الحسن والحسين بتكامل الشروط وظهور الدعوة[٤].

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٠-٦١.

(٢) المصدر السابق، لوحة ٦٣ يمين.

(٣) الإيجي: "المواقف" ص٤٠٧.

(٤) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٦ شمال.

والقول بالنص الجلي هو قول الإمامية[١] وعلى هذا يتضح صحة قول الشهرستاني: "ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك على القول بإمامة المفضول وطعنت فى الصحابة طعن الإمامية"[٢].

وقد زعم البعض أنه لا طريق للإمامة عند الزيدية إلا الدعوة، وهذا زعم كاذب فالصحيح عند المحققين أن من الأئمة من طريق معرفته النص وهم على وأبناؤه رضى الله عنهم، ومنهم من طريق معرفة إمامته على الجملة النص على المنصب وصفة السبق وتكامل الشروط لمن بلغ هذه الدرجة من الأئمة فهو مستحق للإمامة وطاعته وسؤاله عن كل مشكل فى الدين واجب قبل الدعوة وبعدها لقول الله سبحنه: "فاسألوا أهل الذكر" [النحل/من الآية٤٣] وأمره بطاعة أولى الأمر، فأما الدعوة فإنما تكون طريقا الى معرفة الإمام لمن لم يبرح عنه ولم يعرفه ولا تكون طريق إلى وجوب الهجرة والنصرة[٣].

والذي يؤكد بطلان اعتبار الدعوة هى الطريق الوحيد إلى الإمامة وصحة كونها طريقا إلى معرفة الإمام لمن لم يعرفه: إن الإمام لو لم يكن إماما إلا بالدعوة ولم يجز له الدعوة حتى يكون إماما لوقفت إمامته على دعوته ودعوته على إمامته، ولأنه يجب على المؤمنين طلب الإمام ولا يجب على الإمام طلب المؤمنين[٤]، ولا الدعوة إلا بعد أن يجتمع معه من المؤمنين المحقين من يجب الجهاد لمثلهم[٥].

ولكن إبطال القول بالشورى والعقد والاختيار ولقول بالدعوة يتضمن أمرين خطيرين :

الأول : أن ليس للأمة من الأمر شئ، فليس لها حق الاختيار و العقد وإنما هي تابعه منقادة.

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٠-١٦١.

(٣) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٣٩ يمين.

(٤) يبدوا أن الإمام حميدان يغمض عيناه عن الواقع ذلك أن تاريخ الزيدية يؤكد أن دول الزيدية الثلاثة التي قامت فى الديلم واليمن والمغرب قامت على هجرة الأئمة وطلبهم للنصرة من أهل هذه البلاد.

(٥) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٣٩ يمين.

الثاني : خروج أكثر من مدع حق الإمامة ومطالب بها، وإذا لم يكن للأمة حق اختيار من يتولى أمرها ولا لهيئة مخصوصة كأهل الحل والعقد فلمن الحكم بين كثرة المطللبين ؟ .. أقام يحيى بن الحسين - وكذلك الإمام حميدان - أسسا للمفاضلة لا تحسم الأمر : إن تشابها في العلم فالإمامة لأورعهما وإن تشابها فى الورع والعلم فالإمامة لا زهدهما، وإن تشابها فى ذلك كله فالإمامة لأسخاهما وان اشتبها فلا شجعهما وأن اشتبها فلا رحمهما[1]، ولقد نسى الهادي ان لا مقاييس موضوعية للفصل فى هذه الفضائل المعنوية، من ذا الذي لن يزعم أنه الأعلم والأورع والأزهد والأشجع والأرحم؟ ومن ثم كثر الأدعياء والطامعون، ولم يكد يخل قرن من صراع، ويزيد الأمر سوءا أن يتنازع الأقارب، يقتل الأخ أخاه ويخرج الابن على أبيه، حتى أصبح تاريخ أئمة الزيدية سجلا حافلا بسفك الدماء وقطع الأرحام وما ذاك إلا لاستبعاد صاحب الحق فى العقد: الأمة أو ممثلوها ... وهكذا كشف واقع التاريخ عن تهافت مبدأ الدعوة كسبيل الى تولى الإمامة[2].

(٨) افضل الناس بعد رسول الله :

أن افضل الصحابة عند أهل السنة والجماعة وأكثر قدماء المعتزلة هو أبو بكر رضى الله عنه، وعند الشيعة وأكثر متأخري المعتزلة على [3]. ويرى الإمام حميدان أن عليا رضى الله عنه هو أفضل الصحابة ذلك انه قد اجتمع له عليه السلام من الفضائل مالا يوجد لغيره مجتمعا مثلها . وهذه الفضائل هي:

١- فضيلة القرابة: فهو ابن عم النبي صلى الله وسلم لأبيه وأمه[4].

والحق أن القرابة تدل على الفضيلة ولا تدل على الأفضلية وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "على وفاطمة والحسن أهلي ، وأبو بكر وعمر أهل الله وأهل الله عز

---

(١) انظر في ذلك للباحث: الإمام يحيى بن الحسين وآراؤه الكلامية والفلسفية ص ١٢٣-١٢٥.

(٢) د. أحمد محمود صبحي: الزيدية، ص٥٨١-٥٨٢.

(٣) الإيجي: "المواقف"، ص٤٠٧.

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦١.

وجل أفضل من أهلي"[١] هذا مع كم الأحاديث الصحيحة التى تبين سبق أبو بكر وعمر وعثمان فى الفضيلة على علي رضى الله عنهم.

٢- فضيلة النسب: فنسبه هو نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] وما قيل فى فضيلة القرابة يقال فى فضيلة النسب ، فالنسب يدل على الفضيلة لا الأفضلية، ولو اعتبر لكان عثمان بن عفان أفضل لأنه تزوج ابنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم بينما على واحدة فقط.

٣- فضيلة طيب المنشئ: فلأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كفله واواه وأدبه ورباه فلم يسجد عليه السلام لصنم ولا وقع في مأثم[٣].وإذا كان الإسلام يجب ما قبله فإن طيب المنشئ يدل أيضا على الفضيلة لا الأفضلية.

٤- فضيلة السبق : فلأنه رضى الله عنه أول ذكر آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم معه[٤].

ويقول في السبق ما قيل فى الفضائل السابقة فهو يدل على الفضيلة لا الأفضلية ذلك أن العبرة فى الإسلام ليس بمن سبق وإنما بمن صدق، وهل يشك إنسان يعرف بلاء الصحابة فى صدقهم؟ حتى وإن حدث فيكفينا شهادة الله سبحانه لهم بالصدق حيث قال سبحانه: "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" [الأحزاب/من الآية ٢٣].

٥- فضيلة العصمة[٥]: وقد سبق بيان بطلان القول بالعصمة لما وجد للإمام على من أقوال متعارضة فى بيع أمهات الأولاد.

٦- فضيلة العلم: فلأنه رضى الله عنه وارث علم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمخصوص بمكنون سره ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا مدينة العلم وعلى بابها" وكان كل الصحابة محتاج الى علمه ولم يكن محتاج الى علم احد منهم.[١]

---

(١) رواه الديلمى عن انس رضى الله عنه [العجلونى: كشف الخفاء جـ٢، ص٩٣].

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٠-٦١ يمين.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

ولنا هنا وقفتان مع الإمام حميدان :

الأولى : مع زعم الإمام حميدان أن عليا كان له علم مخصوص . سئل على رضى الله عنه: "هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ؟ فقال: لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه وما في هذه الصحيفة وكان فيها عقول الديات – أي أسنان الإبل التي تجب فيها الدية – وفيها فكاك الأسير، وفيها لا يقتل مسلم بكافر ... وكذلك دعوى أنه كان علمه علم باطن امتاز به عن أبي بكر وعمر وغيرهما، فهذا من مقولات الملاحدة الباطنية [٢].

الثانية: مع حديث : "أنا مدينة العلم وعلى بابها". هذا الحديث مضطرب غير ثابت كما قاله الدار قطني فى العلل، وقال الترمذي منكر، وقال البخاري ليس له، وجه صحيح، ونقل الخطيب البغدادي عن يحيى بن معين أنه قال: أنه كذب لا أصل له[٣]، وذكره بن الجوزي في الموضوعات[٤]، ووافقه الذهبي وغيره، وقال أبو زرعة كم خلق افتضحوا فيه ، وقال أبو حاتم ويحيى بن سعد لا أصل له[٥]. وقال ابن تيميه يعد هذا الحديث فى الموضوعات المكذوبات[٦].

هذا من حيث السند : فأما من حيث المتن فالكذب يعرف من نفس متنه، لأن النبي إذا كان "مدينة العلم" لم يكن لهذه المدينة إلا باب واحد، ولا يجوز أن يكون المبلغ عنه واحدا ، بل يجب أن يكون المبلغ عنه أهل التواتر الذي يحصل العلم بخبرهم للغائب، ورواية الواحد لا تفيد العلم إلا مع قرائن ، وتلك القرائن إما أن تكون منتفية ؛ وإما أن تكون خفية عن كثير من الناس، أو أكثرهم فلا يحصل لهم العلم خلافا للمعلوم بالتواتر: فإن جميع

---

(١) المصدر السابق، لوحة ٦٢.

(٢) ابن تيميه: الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحمبلي، المجلد الرابع ، دارى التقوى للنشر والتوزيع، مصر د.ت، ص ٤١٢-٤١٣.

(٣) العجلوني: كشف الخفاء، جـ١، ص٢٣٥

(٤) ابن الجوزي: الموضوعات ، ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المجلد الأول، دار الفكر للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨، ص ٣٥٣.

(٥) العجلوني: كشف الخفاء، جـ١، ص٢٣٥.

(٦) بن تيميه : الفتاوى، المجلد الرابع، ص٤١٠.

مدائن المسلمين بلغهم العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير طريق على رضى الله عنه. أما أهل المدينة ومكة فالأمر فيهم ظاهر، وكذلك أهل الشام والبصرة فإن هؤلاء لم يكونوا يروون عن على إلا شيئا قليلا ... وكان مقام معاذ بن جبل في أهل اليمن وتعليمه لهم أكثر من مقام على وتعليمه ، ولهذا روى أهل اليمن عن معاذ أكثر مما رووه عن على ... ولم يختص على بتبليغ شئ من العلم إلا وقد أختص غيره بما هو أكثر منه [١].

٨- فضيلة الصبر: فلأنه رضى الله عنه بلى من المحن بما لم يبل به غيره من الصحابة ، وظهر من صبره عليها ما لم يظهر من غيره مثله على ما هو دونها وذلك منذ مبيته على فراش النبي صلى الله عليه وسلم موطنا بنفسه على الصبر ليقتل، إلى ما كان من صبره في مواطن الزحف التي تزل فيها الأقدام وتبلغ القلوب الحناجر، الى ما كان من صبره على ما ابتلى به بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ... وعظم الصبر على قدر عظم البلوى وعظم البلوى على قدر عظم حال الرجل المبتلى وقد مدح الله الصابرين وجعل ثواب بعضهم استحقاق الإمامة فقال سبحانه: "وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا" [السجدة/ ٢٤][٢] وقولنا هنا ومن من الصحابة لم يصبر؟ بل إن وضع على رضى الله عنه فى قومه جعله أقل بلاء من غيره من الصحابة فلقد كان أبوه أبو طالب من أشرف قريش ولذا لم يتعرض على لما تعرض له أبو بكر حيث ضرب فى البيت الحرام وهو يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى اختفت ملامح وجهه، بل أين صبر على من صبر بلال ؟ أو صبر آل ياسر ؟

٩- فضيلة الصدق والوفاء : فلأنه رضى الله عنه لم ينكث عهدا ولم يخلف موعدا.[٣] وفضيلة الصدق في جانب أبي بكر أكثر من غيره لذا لقبه النبي صلى الله عليه وسلم "بالصديق" لأنه صدق النبي حين عجزت العقول أن تصدقه فى خبر الإسراء والمعراج .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤١٠.

(٢) الإمام حميدان : التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٢.

(٣) المصدر السابق.

١٠- فضيلة التخصيص بالكرامات المنبهة على علو مرتبته عند الله سبحانه فهي اكثر من أن تحصى كما قد نظم ذلك الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين رضى الله عنه فى شعره الذي يقول فيه ردت له شمس الضحى وردها من أعظم الآيات والفضائل.[١]

قال العلماء فى حديث رد الشمس انه من الموضوعات[٢].

لهذا كله نقول أن الأدلة التي قدمها الإمام حميدان وإن كانت تبين فضل على وخيرته فهي لا تجزم بأنه أفضل الناس، وهذا ما يؤكده الإيجي حيث يقول: "والجواب عن الكل أنه يدل على الفضيلة وأما الأفضلية فلا، كيف ومرجعها إلى كثرة الثواب!! وذلك يعود إلى كثرة الاكتساب والإخلاص"[٣]. كما أن القائلين بأفضلية أبي بكر وعمر يردون على ذلك بأدلة لا تقل قوة عن تلك التي ساقه الإمام حميدان، منها:

١- قول الله سبحانه وتعالى: "وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى" [الليل/١٧-١٨] قال اكثر المفسرون .. إنها نزلت في أبي بكر، فهو اكرم عند الله لقوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله اتقاكم" [الحجرات/من الآية١٣] وهو الأفضل[٤].

٢- قوله عليه السلام: "اقتدوا باللذين من بعدى أبي بكر وعمر"(*)

٣- قوله عليه السلام: "خير أمتي أبو بكر ثم عمر"(*)

٤- قوله عليه السلام: "لو كنت متخذا خليلا - دون ربى - لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن هو شريكي في ديني ، وصاحبي الذي أوجبت له صحبتي في الغار، وخليفتي في أمتي[١].

---

(١) المصدر السابق، لوحة ٦٢ شمال.

(٢) العجلوني: كشف الخفاء، جـ٢، ص٥٨١.

(٣) الإيجي: "المواقف"، ص٤٢١.

(٤) المرجع السابق، ص٤٠٧-٤٠٨.

(*) لهذين الحديثين شواهد عند الإمام البخاري منها ما أخرجه عن أبي عثمان قال: "حدثني عمرو ابن العاص رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس احب اليك ؟ قال: عائشة. فقلت من الرجال؟ قال: أبوها ، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجال [فتح الباري بشرح صحيح البخاري- كتاب فضائل الصحابة ، جـ٧، ص ٢١].

٥- قول على نفسه: "حيث اخرج البخاري عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي ، أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر، قلت : ثم من؟ ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"[٢].

وقد روى هذا الحديث عن على من ثمانين وجها أو أكثر ، وأنه كان يقوله على منبر الكوفة ، بل قال : لا يبلغني عن أحد منكم يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[٣] "أي ثمانين سوطا"، ولا يقال هذا من تواضعه ، لأنه لا يجوز للمتواضع أن يتقدم بعقوبة كل من قال الحق ، ولا يجوز تسميته مفتريا[٤].

وخلاصة القول فى هذه المسالة أن الأفضلية – كما يقول الإيجي ويوافقه عليه الباحث – لا مطمع فيها فى الجزم واليقين وليست مسألة يتعلق بها عمل فيكتفي فيها بالظن، والنصوص المذكورة من الطرفين بعد تعارضها– لا تفيد القطع على ما لا يخفى على منصف لكنا وجدنا السلف قالوا بأن الأفضل أبو بكر ثم عمر ثم على، وحسن ظننا بهم يقضى بأنهم لو لم يعرفوا ذلك لما أطبقوا عليه، فوجب علينا اتباعهم في ذلك وتفويض ما هو الحق فيه إلى الله[٥] على أن مفكروا الزيدية –ومنهم مفكرنا – يأبون إلا أن يجعلوا عليا الأفضل لأنهم يجعلون لذلك مقدمة يمهدون بها لقضيتهم الرئيسية وهى أن "على هو الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم".

٨- الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مذهب العترة ومن شايعهم هو القول بأن الله سبحانه قد أوجب في محكم كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن تكون الإمامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعلى ثم للحسن ثم للحسين ثم من بعدهم على الجملة لمن بلغ درجة

---

(١) الإيجي: "المواقف" ص٤٠٨.
(٢) فتح الباري بشرح البخاري، كتاب فضائل الصحابة ، جـ٧، ص٢٤.
(٣) ابن تيميه: الفتاوى، المجلد الرابع، ص ٤٠٧.
(٤) عبدا لمتعال الجبري : "حوار مع الشيعة" ص ١٩٣.
(٥) الإيجي: "المواقف" ص٤١٢.

السبق وجمع خصال الفضل من ولد الحسن والحسين خاصة ... أما مذهب المعتزلة فالإمام عندهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على عليه السلام[١]

ويؤكد الإمام حميدان صحة مذهب العترة بالأدلة الآتية :

أولا– أدلة العقل : فمن قبل أن الله سبحانه حكيم وعالم بما سيكون من اختلاف الأمة فيما تعبدهم به من العلم والعمل وعالم أن الحق فيه واحد لا يكون إلا مع بعضهم وأن معرفته لا تحصل للمتعبدين إلا بمعرف معلوم بالنص على عينه أو صفته وإلا كان التكليف بمعرفة الحق تكليفا لما لا يعلم.[٢]

ثانيا : أدلة الكتاب : فمن قبل قول الله سبحانه : "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" [المائدة/٥٦] ففي هذه الآية نص من الله على أن ولى المؤمنين هو الذي قرن ولايته بولايته وولاية رسوله ليدل بذلك على وجوب طاعته[٣]، وقد حددت الآية – كما يرى الإمام حميدان – الإمام بما ذكرته من صفات، تلك الصفات التي لم توجد في أحد من الصحابة على أبلغ الوجوه إلا فى أمير المؤمنين عليه السلام وهى: المحبة لله ولرسوله، ودليل صحة المحبة استمرار الطاعة والنصيحة والجهاد فى سبيل الله حق جهاده والرأفة على المؤمنين والغلظة على الكافرين ... والتصديق فى حال الركوع[٤].

وهذه الصفات عامة وليست خاصة– كما يزعم الإمام حميدان[٥]– وحتى ولو سلمنا بأنها خاصة فهي تدل على الفضيلة لا الإمامة.

وقوله سبحانه : "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة/١١٩] فهذه الآية كما يرى – الإمام حميدان – قد تضمنت الأمر للمؤمنين بأن يكونوا مع

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٦-٥٧.

(٢) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٠ يمين.

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٥٧ شمال.

(٤) المصدر لسابق.

(٥) المصدر السابق.

الصادقين ، والأمر يقتضي الوجوب والله بحكمته لا يأمر بالكون مع من لا يعلم صدقه قطعا ولا يعلم صدقه قطعا إلا من شهد له به ... وقد حكم الله سبحانه بصدق على رضـــى الله عنه فى قوله سبحانه: "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه" يعنى حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث" "ومنهم من ينتظر" [الأحزاب/مـــن الآية٢٣] يعنى عليا عليه السلام[1]. والحق أن هذه الآية عامة تشمل علي وغـــيره مـــن الصحابة رضوان الله عليهم، بينما نص النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر بالصدق وسمـاه "الصديق" فهذا دليل فى جانب أبي بكر أكثر من غيره .

وقوله سبحانه : "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى" [الشـــورى/مـــن الآية٢٣] فهذه الآية تضمنت إيجاب المودة لذوى قربى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى مقابلة بعض ما يستحقه من الأجر على ما تحمل من المشاق في القيـــام بهدايتـــهم وإصلاح أمورهم ... وصدق المودة لا يعلم إلا بالطاعة والاتباع لا بالرفض والاعـــتزال، وقد بين ذلك سبحانه بقوله: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكـم" [آل عمران/من الآية ٣١][2]. واستدلال الإمام حميدان بهذه الآية على الإمامة باطل لأمرين :

الأول : أن مودة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبه لأنهم أهل رســول الله، لا كجزء من أجره الذي يستحقه على ما تحمل من المشاق فى القيام بهدايتهم، لأن الأنبيـاء لا يطلبون أجرا ولا مقابل مادي من البشر على هدايتهم لأن أجر الأنبياء على الله ولذلـك قال كل منهم لقومه: "وما أسألكم عليه أجـــرا إن أجـــرى إلا علـــى الله رب العـــالمين" [الشعراء/١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ٢٥٤، ١٨٠].

الثاني : أنه لا يجوز الاستدلال بالقرابة على الإمامة: فقد قال المأمون يوما لعلى بـــن موسى الرضى[3] بما تدعون هذا الأمر؟ قال: بقرابة على من النبي صلى الله عليه وســـلم ،

---

(١) المصدر السابق، لوحة ٥٧-٥٨

(٢) المصدر السابق ، لوحة ٥٨ يمين.

(٣) هو على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق أبو الحسن ، الملقب "بالرضى" (١٥٣-٢٠٣هـــــ)، ثامن الأئمة الأثني عشر عند الإمامية ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم.[الزركلي : الأعلام ، مجلد ٥، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت ، سنة ١٩٩١ ، ص ٢٦].

وبقرابة فاطمة، فقال المأمون: إن لم يكن هاهنا شئ إلا القرابة ، ففي خلق رسول الله من هو أقرب اليه من على، ومن هو فى القرابة مثله. وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله، فــإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الأمر حق وهما حيان، وإذا كان الأمر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان صحيحان، واستولى على ما لا يجب له، فما أحار على بن موسى نطقا.[١]

وقول الله سبحانه فى آية المباهلة : "فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنـــاءكم ونســاءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم" [آل عمران/الآية٦١]. وقصة المباهلة هذه كما قالها الشـيعة كالآتي : لما أتى نصارى نجران للمباهلة : احتضن النبي صلى الله عليه وسلم الحسين وأخـذ بيد الحسن، وفاطمة من ورائهم وعلى خلفها ... وهو لم يقدم للمباهلة إلا الأفضـــل.[٢]. وقد استدل الشيعة – بما فيهم مفكرنا – بهذه الحادثة على إمامة على، ولا دليل فى هذا من عدة وجوه :

الأول : أن الآية حددت مع من تكون المباهلة، وهى كالمبارزة تكون مع كبير القوم وعشيرته، ذلك شأن العرب وغيرهم فى العالم القديم .. فما كان من الممكن والمقبـــول فى العرف تقديم غير الأقربين من عشيرة الرسول "أبناءنا وأبناءكم وأنفسنا وأنفسكم"[٣].

الثاني : لو كانت الآية دالة على خلافة الإمام على، لدلت على خلافة الحســـــن والحسين وفاطمة مع على، بطريق الاشتراك ولا قائل بذلك، لان الحسن والحسين صغـيران فى ذلك الوقت، وفاطمة مفطومة كسائر النساء عن الولاية العامة، فلم تكن الآيــة ذكــر "أبناءنا وأبناءكم وأنفسنا وأنفسكم" وليس على فى أحد الطرفين .

الرابع : لو دلت الحادثة على الإمامة لدلت على إمامة الحسن دون على لأن علــى يقف فى الترتيب خلف فاطمة، وفاطمة مفطومة عن الإمامة وحاجبة لزوجها عنـــها لأنــه رضى الله عنه يليها فى الترتيب.

---

(١) ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار ، ٢٤١/٢.

(٢) عبدا لمتعال الجبري: حوار مع الشيعة ، ص١٧٦.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٦-١٧٧

وخلاصة القول أنه لا نص واضح من القرآن على إمامة على بل كلـــها توهمـــات وخيالات وظنون كاذبة لا ترتقى الى اليقين، ذلك اليقين الذي يقطع الجدل مثل اختيار الله سبحانه لطالوت ملكا على إسرائيل في عهد داود عليه السلام .

ثالثا: أدلة السنة : فنحو قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام فى قصة اسيد بن خويلد: "اخرج إليه يا علي ولك الإمامة من بعدى" وقوله صلى الله عليه وســـلم: "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما"[1]. قلنا الاستدلال بهـــذه الأحاديث حتى لو صحت – باطل ذلك أن عليا لو علمها لمنع غيره من الإمامة كما منع أبو بكر الأنصار بقوله : "الأئمة من قريش"[2] ثم إن هذه النصوص لو وجـــدت لتواترت ولكنها لم تعرف إلا عند الشيعة.

ومنها قوله: "من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وآل من ولاه وعاد من عاداه*"[3] .

روى البيهقي عن فضيل بن مرزوق أن الحسن المثنى بن الحسن السبط قيل لــــه: ألم يقـــل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كنت مولاه فعلى مولاه ؟ فقال : بلى ، ولكن لم يعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الإمارة والسلطان ، ولو أراد ذلك لأفصح لهم بـــه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح للمسلمين، ولو كان الأمر كما قيل لقـال: يا أيها الناس هذا ولى أمركم والقائم عليكم من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كـان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر، وجعله القائم للمسلمين من بعده، ثم ترك على أمـــو الله ورسوله لكن على أول من ترك أمر الله ورسوله"[4].

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين، لوحة ٣٧ شمال

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والضياء عن أنس ... ورواه الحاكم والبيهقي عن على [العجلونى : كشـــف الخفاء، جـــ١ ، ص٣١٨]

* رواه الطبرانى واحمد والضياء، عن زيد بن أرقم وعلى وثلاثين من الصحابـــة ... فـــالحديث متواتـــر ومشهور: [العجلونى: كشف الخفاء، جـــ٢، ص٣٧٩].

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٠ يمين.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، مجلد٤، هذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بدران، دار المسيرة، بـــيروت، سنة ١٩٧٩، ص١٦٩.

ومنها قوله: "على منى بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدى"[١] والاستدلال بهذا الحديث باطل من عدة وجوه :

أ- إن العقائد لا تثبت إلا بنص جلى، وثابت ثبوتا يقينيا . وهذا الحديث قد اختلف فى درجته فقيل : حديث صحيح، وقيل حسن، وقيل ضعيف وقال ابن الجوزي انه موضوع .

ب- إن قياس الإمام على بالنسبة للنبي على هارون بالنسبة لموسى، قياس باطل للأتي:

١- أن هارون كان نبيا مع موسى باتفاق بينما على رضى الله عنه ليس نبيا مع محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق بين أهل السنة والجماعة وبين كل طوائف الشيعة .

٢- كان هارون أخا شقيقا للنبي ، ولم يكن علي أخا للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إن موسى مات بعد هارون باتفاق جميع اليهود على ذلك فأين تكون الخلافة إذن ؟!

جـ- واللفظ العام (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) إذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالته ظنية فوجب أن يحمل الكلام على منزلة واحدة، كما هو ظاهر التاء في لفظ (منزلة) الدالة على الوحدة، فتكون هذه المنزلة هي التي كان بسببها الكلام، وهى استخلاف النبي لعلى على المدينة فى غزوة تبوك ، كاستخلاف موسى أخاه هارون لما ذهب الى الجبل ليعود بالألواح ... وهو موضوع محدد فى فترة محددة ... وإلا لاقتضى الأمر ان يكون عبد الله ابن أم مكتوم وصيا كذلك -حيث أمره النبي على المدينة قبل ذلك- ولفضلناه على علي بسبقه فى ذلك.

د- صيغة الحديث خالية من السور الكلى الموجب ... المعروف فى علم المنطق مثل لفظ (كل وجميع) وأساليب الحصر المعروفة فى البلاغة، فهو استخلاف جزئي لعلى فى شأن

---

(١) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٦٠ يمين.

من الشنون وهناك استخلافات جزئية لغيره، وهكذا (أنت بمنزلة هارون) ليس معها (أنت مني فقط) أو ليس غيرك ... وما إلى ذلك.[١]

رابعا : إجماع الأمة: فمن قبل تجويزهم للإمامة فى كل الناس أو فى كل قريش، ومن قبل إقرارهم بأدلة الكتاب على الجملة.[٢]

وهذا الكلام – كما سبق وبينا عند الكلام عن إجماع الأمة وإجماع العترة – خطأ لأنه قائم على التوهم بتقارب الآراء بينما الواقع يقول أن هذه الآراء كانت متنافرة ومتباعدة كل البعد وإلا بما تفسر هذه الهوة السحيقة الموجودة بين الشيعة والسنة إلى يومنا هذا ؟!

خامسا إجماع الأئمة : فلا خلاف في إجماعهم على ادعاء ذلك[٣]. ولكن إجماعهم هذا لا يعتد به لأنه كشهادة الجار لنفسه .

وخلاصة القول فى هذا أنه لا دليل بين على إمامة على رضى الله عنه ولا نص جلى من قرآن أو سنة فلا يبقى إلا الشورى والعقد والاختيار وقد اختار المسلمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان وهذا هو الواقع ، هذا الى جانب ما قدمه أهل السنة من أدلة تؤكد أحقية أبى بكر رضى الله عنه بالإمامة من ذلك :

١- كانت الصحابة وعلى يقولون له – أي لأبى بكر – يا خليفة رسول الله وقد قال الله تعالى فيهم: "أولئك هم الصادقون" [الحجرات/من الآية١٥] .

٢- لو كانت حق على ولم تعنه الأمة عليه ، لكانوا شر الامم، لكنهم خير أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٣- أنه صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر فى الصلاة وما عزله فيبقى إماما فيها، فكذا فى غيرها، إذا لا قائل بالفصل ولذلك قال على رضى الله عنه : قدمك رسول الله فى أمر ديننا أفلا نقدمك في أمر دنيانا ؟[١]

---

(١) عبدا لمتعال الجبري : "حوار مع الشيعة"، ص ١٧٤-١٧٥

(٢) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٠ يمين.

(٣) المصدر السابق.

وليت الإمام حميدان التزم أدلة القرآن والسنة العقل في إبطال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كما فعل فى إثبات إمامة على رضى الله عنه – وكما فعل ذلك من قبل الإمام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين[٢] – ولكنه – شأن الكثير من متأخري المذهب – لبس ثوب العصبية العمياء فراح يتهمهم بالظلم[٣] ونكث العهد[٤] وبأنهم من أصحاب الفهم الغامض[٥]. ويبطل الترضية عنهم[٦] وينقل بعض أقوال الأئمة التي تصل بأبي بكر الى حد التكفير ودخول النار[٧] ويحسن صورة المرتدين حين ينقل روايات كاذبة شاذة تبين أن أهل الردة إنما رفضوا أن يدفعوا الزكاة لأبي بكر لأنه ليس الخليفة الحقيقي[٨].

(١٠) مذهبه في الصحابة :

إن تعظيم الصحابة كلهم والكف عن القدح فيهم واجب لأن الله عظمهم وأثنى عليهم فى غير موضع من كتابه ، والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم فى أحاديث كثيرة . ثم إن من تأمل سيرتهم ووقف على مآثرهم، وجدهم فى الدين، وبذلهم أموالهم وأنفسهم فى نصرة الله ورسوله، لم يتخالجه شك فى عظم شأنهم، وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن، ومنعه ذلك عن الطعن فيهم ورأى ذلك مجانبا للإيمان[٩].

لكن هذا المنهج الذي ارتضاه أهل السنة والجماعة لا يعجب الإمام حميدان الذي يرى ان مدح الصحابة على الإطلاق بعد تفرقهم يؤدى الى مخالفة إجماع العترة والى الإخلال بفرض الولاء والبراء ، والى لبس أئمة الهدى بأئمة الضلال ، والى لبس المحق بالمبطل، والى تعظيم من لا يجوز تعظيمه وكل ذلك قبيح وما أدى الى القبيح فهو قبيح

---

(١) الإيجي: "المواقف" ص ٤٠٧.

(٢) انظر للباحث: الإمام يحيى بن الحسين، وآراؤه الكلامية والفلسفية"، ص١٣٢-١٣٥.

(٣) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨١ شمال.

(٤) المصدر السابق، لوحة ٦٣ يمين.

(٥) المصدر السابق، لوحة ٧٣-٧٤.

(٦) الإمام حميدان: سؤال وجوابه، لوحة ١٢٢،١٢٣.

(٧) الإمام حميدان: المنتزع الأول ، لوحة ١١٧-١١٨.

(٨) الإمام حميدان: سؤال وجوبه ، لوحة ١٢٣ يمين.

(٩) الإيجي: المواقف، ص٤١٣.

وذلك لكون اسم الصحابة عاما لكل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وقد تفرقوا بعد وفاته: فمنهم من ارتد عن جملة الإسلام ، ومنهم من بقى على نفاقه مجتهدا فى التدليس، ومنهم من ظلم الأمة بصده لهم عن سبيل نجاتهم فى ظلم الأئمة بدفعه لهم عن مقامهم وارثهم وظلم الإمامة بجعله لها فى غير موضعها، وظلم نفسه بمعصيته لله ورسوله فى نكثه لبيعته ورجوعه عن جيش أسامة[1] بغير إذنه وقطعه لما أمر الله به ان يوصل، وكونه أول من سن رفض الأئمة والخلاف بين الأمة وقد ميز الله لم يظلم من المؤمنين عمن ظلم بقوله: "الذين أمنوا ولم يلبثوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" [الأنعام/٨٢] ومنهم الناكبون (أصحاب الجمل) ومنهم القاسطون (معاوية وأصحابه) ومنهم المارقون (الخوارج) ومنهم المعتزلون لعلى عليه السلام المكتفون بأنفسهم والمحكمون لآرائهم المتشككون فى جهادهم معونة، فبأي هؤلاء يقتدي المقتدون ؟ وأين فضل الصحابة من فضل القرابة ؟

وما المانع أن يكون لأهل السقيفة أسوة بقوم موسى صلى الله عليه وسلم في فضلهم وصحابهم وبغضهم لولى أمرهم وخليفة نبيهم كما أن لأمير المؤمنين عليه السلام أسوة لهارون عليه السلام؟[2] . ولنا على الإمام حميدان هنا عدة مآخذ:

الأول : إن الإمام حميدان قد شوه صورة جميع الصحابة ولم يبق منهم أحدا على الحق إلا على رضى الله عنه واتباعه وهذا حكم ما كان ينبغي للإمام حميدان أن يصدره لأنه مخالف لحكم الله الذي رضى عنهم وشهد لهم بالصدق، ولا ريب ان مثل هذه الأقوال الخاطئة هي التي تعطى فرصة للحاقدين على الإسلام من مستشرقين وغيرهم للطعن في ديننا وفى تاريخنا وفى صحابة نبينا صلى الله عليه وسلم.

الثاني : إن تشويه الصحابة على هذا النحو لا يقدح فى الصحابة بقدر ما يمثل طعن فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث يظهر عجزه عن تربية جيل يستطيع حمل الرساله بعده وهذا مناقض للواقع حيث اثبت الصحابة بحق انهم جيل رباني فريد استطاع أن يحمل المنهج الرباني وينشره فى العالم ويفتح له قلوب خلق كثير.

---

(١) يقصد أبا بكر.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٠-٧١.

الثالث : إن التاريخ الذي اثبت للصحابة والتابعين وتابعيهم تلك الفتوحات العظيمة التى أخرجت الناس من الظلمات الى النور، هو نفسه الذي اثبت ان الفكر الزيدي فكـــر متقوقع منغلق على ذاته لا يهمه مستقبل البشرية ولا يعنيه مصيرها بقدر ما يهمه إثبـــات الإمامة فى على والحسن والحسين والأئمة من أبنائهما.

الرابع : لقد توهم الإمام حميدان أن فضل أئمة العترة من آل البيت لا يجتمع مـع الإقرار بفضل الصحابة حيث يقول : "وأين فضل الصحابة من فضل القرابـة" ؟ ويقـول أيضا: "ضمن عدة مآخذ على المعتزلة: "معارضتهم لما أوجب الله سبحانه من مودة العـترة وتعظيمهم وتفضيلهم بعلوهم فى مدح الصحابة على الجملة"[1]. وهذا مخـالف للقـرآن والسنة وأقوال العلماء الذين اجمعوا على أن كل الصحابة عدول . هذا الى جانب انـه فى الوقت الذي يطعن فى الصحابة ويتهمهم بالظلم ومعاونة الشيخين على ظلمهم فى إكراههم لعلى رضى الله عنه على بيعه أبي بكر بعد جمعهم لحزم الحطب على داره ليحرقوها بمن فيها ان لم يخرج وعزمهم على قتله ان لم يبايع.[2]

وهذا ادعاء كاذب وطعن فى الصحابة وعلي فى آن واحد لان الصحابة لا يمكنـهم ان يصنعوا ذلك خاصة إذا كان هذا الأمر مع ابن عم حبهم رسول الله صلـى الله عليـه وسلم. حتى وان فعل الصحابة ذلك فما كان على بالذي يجبن فى مثل هذا الموقف، وكيـف يجبن ويتخاذل أمام ضياع فرض من فروض الدين وهو الشجاع الذي باع نفسـه فـداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداء لدين رب العالمين ؟! ومما يؤكد كذب هذا أيضـا أن هذا الفعل مخالفة شرعية - حيث نهى رسول الله عن التعذيب بالنار- لا تجوز في حق أهـل الورع والتقوى .

نقول في الوقت الذي يتهم فيه صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينـهم وذممهم ويلصق بهم كل نقيصة، يصور أصحاب الأئمة على انهم ملائكة يمشون على الأرض . من ذلك يقول - متبعا لائمة العترة -: "منكر فضل أهل البيت مشـارك قتلـة زيـد

---

(١) المصدر السابق لوحة ٧٠ شمال.

(٢) المصدر السابق، لوحة ٦٣ يمين.

وأصحابه رضى الله عنهم" [١] فهو يترضى عن زيد وأصحابه ولا يترضى عن من رضـى الله عنهم ورسوله ، ويتـأول للمهدى الحسين بـن القاسـم بـن علـى العيـاني(٣٧٦-٤٠٤هـ=٩٨٦-١٠١٣م) [٢] المتهم في دينه[٣] ولا يتأول لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١١) الشيعي والمتشيع :

ينتهي الإمام حميدان من مناقشة مشكلة الإمامة الى صياغة مذهبة فى ثلاثة مسـائل رئيسية هي ما أجمعت عليها العترة وهى :

المسألة الأولى : إجماعهم على أن معرفة مسائل الإمامة من أصول الدين المفروضـة المعينة التي يستحق كل من أخل بها الذم والعقاب.[٤] ذلك أن مدع التشيع لا يخلو إمـا أن يقر بما اجمعوا عليه ويعترف بصحته أو لا، فان أنكر ذلك أو تأوله فليـس بشـيعي وان اعترف بصحة ذلك لزمه أن يعتقد أن كل من خالف فى وجوب تقديم على عليه السـلام مستحق للذم والعقاب سواء كان صحابيا أو معتزليا أو غيرهما لعدم المخصص لمحل بفرض دون غيره.[٥]

المسألة الثانية: إجماعهم على أن كل مدع للإمامة لا يخلو إما أن يكون إمام هـدى أو إمام ضلال[٦]. ذلك أن كل مدع للإمامة لا يخلو إما أن يلتزم لكون هذه القسمة دائـرة بين النفي والإثبات أو لا يلتزم ، فان لم يلتزم فليس بشيعي وان ألتزمه لزمه أن يديـن الله تعالى بان المشايخ أئمة ضلال وان كل متبع لهم ضال لان الحق إذا تعين مع علـى عليـه

---

(١) الإمام حميدان: المنتزع الاول، لوحة ١١٧ يمين.

(٢) الإمام حميدان: بيان الإشكال، لوحة ١٣٢-١٣٧.

(٣) أحد أئمة الزيدية ادعى انه افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كلامه انفع من كـلام الله عز وجل وتابعه على ذلك طائفة مخذولة من الزيدية انقرضت بعد انتشار: [عبد الله محمد الحبشـي: مصادر الفكر العربي الإسلامي باليمن، ص٥٢٧].

(٤) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٨١ شمال.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

السلام لزم أن يكون الضلال مع مخالفيه لقوله سبحانه: "فماذا بعد الحق إلا الضلال" [يونس/من الآية٣٢].

وان ادعى بعض المتشيعين أو تأول أن المشايخ لم يعلموا ما أراد الله تعالى بقوله: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا" [المائدة/من الآية٥٥] ولا ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه"وقوله الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما" ونحو ذلك من الآيات والأخبار، لزمه أن يكون ناسبا لهم ما لم يدعوه ولا ادعاه لهم أحد من اتباعهم لأنهم لا يسلمون انهم يجهلون ما هو من أهم أصول الدين وفروعه مع كونهم من أفاضل الصحابة .

ومن المعلوم عقلا وشرعا أن المعصية تعظم على قدر عظم معرفة من اقدم عليها بما يجب له وعليه ولا يجتمع لمنصف من المتشيعين أن يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم قد بين للمشايخ ما أمر الله بتبليغه إليهم وأن يعتقد ان المشايخ لم يفهموا ثنائه وتقديمه لعلي عليه السلام قولا وفعلا مع ما فى ذلك من إبطال حجة التبليغ والبيان واثبات حجة أهل الرفض والعصيان.[1]

ولا ينبغي التوقف فى اعتقاد معصية الشيخين بحجة أن بعض أئمة العترة قد توقفوا، لان التوقف ليس بمذهب يجب سلوكه لان المتوقف منهم انما توقف طلبا للدليل ... ولان المتوقف من العترة لا يتوقف عن وصف فعل الشيخين بأنه ظلم ومعصية على الجملة وان توقف عن سبهما، ولأنه لا يتوقف عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قد بين لأصحابه ما أمره الله سبحانه بتبليغه إليهم ، ولأنه لا يتوقف عن تفسيق من فعل مثل فعلهما مع من هو دون علي عليه السلام فى الفضل من سائر من بعدهم من الأئمة ولأنه لا يوجب التوقف على غيره ولا تبطل عدالة من لم يتوقف من الأئمة[2].

ويتفرع عن هذه المسألة مسألة أخرى تتعلق بها وهى مسألة الترضية على المشايخ ذلك أنا إذا سألنا الإمام حميدان عمن يرضى عن الخلفاء ويحسن الظن بهم وهو من الزيدية ويقول لك : أنا اقدم علي وأرضى عن المشايخ ما يكون حكمه ؟ وهل يجوز الصلاة خلفه؟

---

(١) المصدر السابق، لوحة ٨٢.

(٢) المصدر السابق، لوحة ٨١ شمال.

والجواب عن ذلك -كما يقول الإمام حميدان على لسان المنصور بالله- ان هــذه مسألة غير صحيحة لان الزيدية على الحقيقة هم الجارودية[١] ولا نعلم فى الأئمة عليـهم السلام بعد زيد بن على عليه السلام من ليس بجارودي واتباعه كذلك، واكثر مـا نقـل وصح عن السلف هو ما قلناه عن تلفيق واجتهاد، وإن كان الطعن والسب مـن بعـض الجارودية ظاهر، وما هذا رأي المحققين منهم وإنما هذا القول بعض المعتزلة يفضلون عليـا عليه السلام ويرضون على المشايخ وليس هذا يطلق على أحد من الزيدية لأنا نقول: قـد صح النص على أمير المؤمنين على عليه السلام من الله ومن رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحت معصية القوم وظلمهم وتعديهم لأمر الله، وصاحب هذا القول معـتزلي لا شيعي ولا زيدي وأجمل من قال فى أبي بكر وعمر وعثمان من آبائنا المتأخرين عليهم السلام إنما هو المؤيد بالله عليه السلام فنهاية ما ذكر انهم لا يسبون، وأن سبهم لا يصح روايته عن السلف الصالح عليهم السلام.

وأما الترضية : فهذا يوجب القطع على أن معصيتهم صغيرة ، فأن أوجدنا صـاحب هذه المغالط ببرهان على أن معصيتهم صغيره تابعناهم فليس على متبع الحق غضاضة ولكنه لا يجد السبيل إلى ذلك أبدا، أو عصمتهم ولا قائل بذلك من الأئمة عليـهم السـلام ، وشاهد الحال لو أدعى ذلك لفضحه لأن طلحة والزبير من أفاضلهم وقد صـح فسـقهم بالخروج على إمام الحق وإنما رويت توبتهما ولم يرو من الثلاثة توبة عما قدموا عليه مـن الإمامة وتأخير على عليه السلام عن مقامه الذي أقامه الله سبحانه فيه ورسوله.

---

(١) الجارودية أصحاب أبي الجارود: يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي ابن أبي طـالب بالوصف لا بالتسمية فكان هو الإمام من بعده، وان الناس ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء به ... ثم الحسن من بعد على هو الإمام، ثم الحسين هو الإمام من بعـد الحسـن، [الأشـعري: مقـالات الإسلاميين ، جـ١ ص١٤٠-١٤١].

وأما الصلاة خلف من ذكرت ففي الصلاة خلاف طويل وقد أجازها الأكثر خلف المخالفين ما لم يكن خلافهم كفرا فالأمر فى ذلك يهون والاحتراز خلف من يقول بذلك أولى[١].

المسألة الثالثة : إجماعهم على أن الإمام الحالي – كالإمام السابق – قائم فى أهل عصره مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يجب عليهم من الطاعة والتسليم ويجب لهم عليه من الهداية.[٢] وقد جاء إجماع العترة على ذلك أن الله سبحانه لم يفرق بين وجوب طاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر ، وان النبي صلى الله عليه وآله أوجب للائمة من بعده مثل الذي يجب له فى قوله: "ولا تقدموهم وتعلموا منهم ولا تعلموهم ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تسبوهم فتكفروا" ونحو ذلك من الآيات والأخبار ... فمدع التشيع لا يخلو إما ان يلتزمه أولا يلتزمه فان لم يلتزمه فليس بشيعي وان ألتزمه لزمه أن يعتقد انه لا فرق فى استحقاق الذم والعقاب بين من خالف النبي وبين من خالف الإمام السابق، وانه كما لا يجوز لمسلم ان يتوصل بنظره واستدلاله إلى مخالفة النبي صلى الله عليه لكونه متعديا (متعبدا) بنظره واستدلاله كذلك لا يجوز أن يتوصل بنظره واستدلاله الى مخالفة الإمام، وكما لا يجوز له معارضة النبي صلى الله عليه وآله فى التنزيل لا يجوز له معارضة الإمام فى التأويل، وكما لا ينفع مؤمنا إيمانه بجميع الأنبياء مع جحده للنبي الواحد منهم وكونه حجة لكونه من آحاد والبشر المتعبدين، فكذلك لا يجوز له إنكار فضل الإمام وكونه حجة لكونه من أحاد البشر المتعبدين وكما لا يصح ولا ينفع الإقرار بصحة نبوة النبي مع اعتزاله أو موالاة من اعتزله فكذلك لا يصح ولا ينفع الإقرار بإمامة الإمام مع اعتزاله وموالاة من اعتزله.[٣]

ولسنا فى حاجة الى بيان بطلان وفساد هذه المسائل الثلاثة فقد بينا ذلك –فيما سلف– بما فيه الكفاية، ولكن الأمر المؤسف الذي يلفت النظر هو جعل الإمام حميدان

---

(١) الإمام حميدان: المنتزع الأول من أقوال الأئمة ، لوحة ١٠٨، ١١٨-١١٩، وانظر أيضا سؤال وجوابه ، لوحة ١٢٢-١٢٣.

(٢) المصدر السابق، لوحة ٨١ شمال.

(٣) المصدر السابق، لوحة ٨٢-٨٣.

القول بمعصية المشايخ وانهم أئمة ضلال من أصول الدين حيث يقول فى المسألة الثانية: "وان ألتزمه لزمه أن يدين الله تعالى بان المشايخ أئمة ضلال وان كل متبع لهم ضال" وهذا القول باطل لأمرين :

الأول : أنه حكم بضلال من حكم الله ورسوله لهم بالصدق ورضيا عنهم.

الثاني : إن جعله لذلك من اصل الدين أمرا خاطئا لأنه ليس معلوم من الدين (قرآن وسنة) ضرورة ، فلا يبقى إلا أنه بدعه ابتدعها مفكرنا وأعانه عليها شيطانه .

وإزاء هذه المسائل الثلاثة – السالفة الذكر – يقسم الإمام حميدان الأمة الى ثلاثة فرق هي:

الفرقة الأولى : هم الذين جمعوا بين اسم التشيع ومعناه ظاهرا وباطنا واعترفوا بصحة النص والحصر وبالفضل ووجوب المودة لجميع الأئمة ووجوب طاعة أهل كل عصر منهم لمن فى عصرهم من الأئمة لا يخالفونه ولا يخالفون بينه وبين أحد من آبائه ولا يعترضون على سيرته بسيرة أحد منهم لأجل كونه اعلم منهم. ولا يوجد من هؤلاء كما قال أمير المؤمنين إلا القليل.

الفرقة الثانية : ليسوا شيعة لا ظاهرا ولا باطنا وهم كل من أنكر القول بالنص والحصر وجحد الفضل وجوز الإمامة فى غير العترة من جميع الناس عامة أو من قريش خاصة ولأجل كونهم مخالفين للحق وأهله.

الفرقة الثالثة : وهم الذين جمعوا بين اسم التشيع ومعنى الرفض وحرفوا نصوص الكتاب المحكم بالتأويلات الباطلة وتعلقوا بكثير من مشكل الكتاب وفرقوا بين العترة وخالفوا بين الأئمة ولذلك كانت عداوتهم للمسترشدين فوق كل عداوة ... وذلك انهم لم تحلو باسم التشيع ودعوى العلم استمالوا بذلك قلوب المتعلمين والأغنياء الذين يحبون أن يتصدقوا على المتعلمين فصاروا لأجل ذلك من جملة من حكى الله سبحانه ضلاله من علماء السوء بقوله: "يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله" [التوبة/من الآية٣٤].

وهذا الصنف الثالث ينقسم على الجملة الى ثلاث فرق لكل فرقة منهم مذهب متعارض وأقوال متناقضة وهم الباطنية والإمامية والجامعون بين التشيع والاعتزال.

فالفرقة الباطنية والإمامية تعنيهم إمامة ولد الحسن دون الحسين وبالعلم من ولد الحسين دون الخاص، وادعاء علمهم لعلوم باطنية.[(١)]

والفرقة التي جمعت بين التشيع والاعتزال : فهي فرقة مخادعة لأنها أظهرت التشيع لمن لم يكن ليدخل معهم في مذهب الاعتزال لولا خدعهم له بذلك[(٢)] وذلك بتجويز الكثير منهم لكون الإمامة من مسائل الاجتهاد وإنكارهم لفضل العترة ، ولكون إجماعهم حجة وتفضيلهم لكثير من علوم رفضة الأئمة على علوم الأئمة وتجويزهم لمخالفة كل عالم منهم لإمام عصره في مسائل الاجتهاد ، وتزهيدهم في علوم أئمة العترة واغترارهم لهم بأنهم اشتغلوا بالجهاد عن تدقيق النظر في العلوم الدينية ... وتعلقهم بعلوم الميت وإظهارهم للدرس في كتب من كبت الأئمة الماضيين ليتأولوا مجملها على موافقة بدعهم.[(٣)]

والدليل على بطلان هذا المذهب أن مدعى هذا المذهب لا يخلوا : إما أن يكون جمع بين حقين فيكون قد وصف الشيعة والمعتزلة باتباع الباطل الذي ترك ، وإما أن يكون قد جمع بين حق وباطل[(٤)]. هذه هي الفرق التي قسمها الإمام حميدان انطلاقا من موقفهم من مذهبه في الإمامة .

تعقيب :

هذه هي مجمل آراء الإمام حميدان في مشكلة الإمامة وهي آراء غير مقبولة شرعا وعقلا للآتي:

١- إن زعم الإمام حميدان بان الدين له أسرار خفية غامضة لا يعلمها إلا الأئمة زعم باطل لأنه يتعارض مع قول الله عز وجلك "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

---

(١) الإمام حميدان: تنبيه أولى الألباب، لوحة ٤٨.

(٢) الإمام حميدان: التصريح بالمذهب الصحيح، لوحة ٧٤ شمال.

(٣) الإمام حميدان: تنبيه الغافلين لوحة ٤٩ يمين.

(٤) الإمام حميدان: جواب المسائل، لوحة ١٤٤ يمين.

ورضيت لكم الإسلام دينا" [المائدة/ من الآية ٣٠] فالإسلام ظهر والدين اكتمـــل ولسنا بحاجة الى من يظهر لنا أسراره ويكشف لنا غامضة ، وهذا إن دل فإنما يـــدل على أن ثمة آراء غريبة قد تسربت الى فكر الرجل، كما أنه واجه البحث في المشكلة بأفكار مسبقة قدمها على النص المنزل، ومن اجلها راح يلوى أعناق الآيات القرآنيـة لتوافق مذهبه.

٢- إن القارئ لمذهب الإمام حميدان يشعر وكأن الله سبحانه لم يخلق الكون ويخلق الخلـــق ويرسل الأنبياء والرسل ابتداء من نوح عليه السلام وحتى محمد صلى الله عليه وسلم إلا ليجعل من على والحسن والحسين وذريتهما أئمة ويورثهم أمر العالمين حيث تتكرر عبارة : "إن الله أمر نبيه أن يعرف أمته بالأئمة"!

٣- إن المذهب الزيدي في الإمامة - بصفة عامة ومذهب مفكرنا الإمام حميـــدان بصفـــة خاصة - ليس له سند شرعي اللهم إلا تلك التأويلات غـــير الصحيحـــة للآيـــات القرآنية، وذلك الكم الهائل من الأحاديث المكذوبة والضعيفة التي دســـها أعـــداء الإسلام واستعان بها أئمة الزيدية دون معرفة لهم - كما بينا سابقا - بالعلوم المتعلقـة بالحديث كعلم الرجال والجرح والتعديل .

وعلى قولنا هذا يوافقنا الدكتور احمد محمود صبحي فيقول: "أريـــد أن أقـــول أن الظروف التاريخية -وليس السند الشرعي - هي التي أزكت في نفوس الشيعة أحقيـــة آل البيت، فلو أن الخلفاء الأمويين والعباسيين قد استقاموا على الطريقة وعرفوا لآل بيت النبي مكانتهم لما أصبح القول بأحقيتهم بموجب قرابتهم مبدأ يلتف حوله المعارضون"[1].

٤- لقد قذفت آراء الإمام حميدان فى الإمامة بالمذهب الزيدي الى مستنقع العصبية تلـــك العصبية التي تجلت في الآتي:

أولا : تميزه لائمة آل البيت عن غيرهم لمجرد القرابة وهذا خطـــأ شـــرعي لان الله سبحانه ميز بينهم بالتقوى فقال: "إن أكرمكم عند الله اتقاكم" [الحجرات/من الآيـة ١٣]

---

(١) د. أحمد محمود صبحي : الزيدية، ص٥٨٠.

وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "ليس لعربي فضل علـــى أعجمـــي إلا بالتقوى" .

ثانيا: تقوقع الفكر الزيدي وانغلاقه على نفسه انغلاقا جعل أئمة الزيدية لا يحركون ساكنا فى الوقت الذي كانت تسيل فيه الدماء انهارا على يد الصليبيين، وفى الوقت الـــذي كان فيه التصدي لهذه الهجمة الصليبية الشرسة تمثل الشغل الشاغل لمفكـــري الإســـلام وفقهائه كان الشغل الشاغل لمفكرنا الإمام حميدان هو إثبات إمامة على والحسن والحســـين وأبنائهما واثبات معصية الخلفاء وإبطال خلافتهم !.

وأخيرا نقول : إن توجيه هذه الانتقادات إلى مذهب الإمام حميدان في الإمامة ليـــس طعنا في المذهب الزيدي على الجملة ولكننا –والمذهب الزيدي يعد أكثر المذاهب قربـــا إلى عقولنا وقلوبنا– ندعو أبنائه من العلماء والمفكرين أن ينفضوا – باستمرار – عن مذهبـــهم ما يمكن أن يصيبه من آفات العصبية التي تصيب المذهب بين الحين والآخر، واحســـب أن الاتجاه الذي أخذه المذهب على يد محمد بن إبراهيم ابن الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ) ومحمد بن إسماعيل ابن الأمير (١٠٩٩-١١٨٢هـ) ومحمد بـــن علـــى الشـــوكاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ) ذلك الاتجاه المتفتح على أهل السنة هو الاتجاه الصحيح.

بهذا نكون قد آتينا على كافة الآراء الكلامية والفلسفية عند الإمام حميدان علـــى قدر الاستطاعة وعلى الله قصد السبيل.

نتائج البحث

إن البحث الذي بين أيدينا محاولة لإبراز حقيقة موقف الإمام حميدان ، ومكانتـــه، وإسهاماته فى الفكرة الإسلامي . ولقد كان للإمام حميدان ، إسهامات لها قدرها في مجـــال علم الكلام ، أصاب فى بعضها وأخطأ فى بعضها الآخر يتضح هذا اكثر فى النتـــائج الـــتي توصلنا إليها ، والتي جاءت كالتالي :

أولاً : إن الإمام حميدان من أحفاد الحسن بن على بن أبي طالب والحسن هذا من ناحيـــة أخرى ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ ولم تك قرابته من رسول الله ومـــن على بن أبى طالب بالتي ترفعه فوق النقد ما لم يلتزم بالكتاب والسنة.

ثانياً : لقد أثبت الإمام حميدان براعة فائقة ميزته عن أسلافه من أئمة الزيدية وذلك عندمـا ربط آرائه الكلامية والفلسفية بمسألة الابتلاء مما أضفى على مذهبه الكلامي طابعـا خاصا نأى به عن أن يكون مجرد مفكر مقلد يكرر ما قاله الأسلاف شأن كثير مـــن أصحاب المذاهب الأخرى ، ولهذا الأمر يعتبر الباحث الإمام حميدان أحـــد أئمـــة الزيدية المجددين .

ثالثاً : لقد عرف الإمام حميدان قواعد المنهج العلمي حيث تنوعت مصادر المعرفة عنده بين حسية وعقلية وقلبية ، والخبر بنوعية المنزل (قرآن وسنة) وغير المـــنزل وتعـــددت موضوعات المعرفة التي منها ما ينتمي إلى عالم الغيب ، ومنها ما ينتمـــي إلى عـــالم الشهادة ، ولقد كان لهذا التعدد أثره على مناهج البحث. فعرف السمع كمنـــهج يناسب عالم الغيب ، القياس الذي يناسب العلوم الشرعية، والاستقراء الذي يناسب العلوم الطبيعية ، والذي كان للإمام حميدان معه وقفات تؤكد دقته ووعيه كمفكـــر مسلم مثل :

١- رفض المنطق الصوري باعتباره عائق يحول دون الوصول الى الحقيقة.
٢- التحذير من خداع الحواس ورفض الشك المذهبي - كما فعل الغزالي .
٣- الالتزام بالموضوعية والتحرر من آفات النفس التى تحول بين المرء وبين الوصول إلى الحق.

٤- العلم بموضوع البحث بشكل جيد.

٥- التخصص في فرع من فروع العلم للعجز عن الإحاطة بتفاصيل جميع العلوم.

٦- تحديد ألفاظ اللغة المستخدمة فى البحث بدقة ، تجنباً للوقوع فى الخطأ.

٧- استقصاء الحقائق من التجربة.

٨- نقد مبدأ العلية بمفهومها التقليدي وإعطائها مفهوما جديداً مستنبطاً من فهمه للقرآن والسنة.

رابعاً : نستطيع أن نحصر مواطن الزلل عند الإمام حميدان فى مجال الإلهيات فى الآتي :

أ- نفى الصفات الذي ترتب عليه تأويل المنقول تأويلا خرج به فى كثير من الأحيان عن مراد الله.

ب- إنكار رؤية الله فى الآخرة وهو أمر قائم على تطبيق مقاييس بشرية مادية لا تصدق إلاّ فى مجال الطبيعيات.

جـ- اضطراب موقفه فى الإرادة الإلهية ، حيث لم يستطع التوفيق بين قوله : "الله مريد بذاته" والذي يوحى بقدم الإرادة ، وبين قوله : "لا يعقل كون الإرادة إرادة إلا إذا كانت فعلاً للمريد" والذي يوحى بأن الرادة محدثة بحدوث الفعل.

د-اضطراب موقفة فى لكلام الإلهي ، حيث لم يستطع التوفيق بين قوله "الله متكلم بذاته" ونفيه "للكلام النفسي".

خامساً: إن أفكار الإمام حميدان فى مجال الطبيعيات جاءت لتعبر عن صقل ذهني إسلامي أصيل يتضح من خلال الآتي :

١- اجتهاده فى تقديم الأدلة لإثبات حدوث العالم على أساس استعمال ألفاظ "الشيء" و"الجسم" و"العرض" وهى ألفاظ إسلامية باستثناء اللفظ الأخير الذي يرجع إلى تراث يوناني ، والذي لم يستخدمه الإمام حميدان إلا بعد أن خلصه من مضمونه الذي كان له فى تراثه اليوناني وأضفى عليه مضموناً جديد يتفق وروح الإسلام.

٢- إنكاره لشيئية المعدوم مؤكدا حدوث العالم من لاشيء.

٣- فصله بين الذات العارفة وموضوع المعرفة ، مما يؤكد إقراره بالوجود الخارجى فى وجوده الكتلي العيني شأنه فى ذلك شأن غالبية مفكري الإسلام.

سادساً : إن الإمام حميدان بآرائه فى مجال الطبيعة قد أعطى فرصة لوضع مذهب فى تفسير الوجود الطبيعي ، قائم على تقسيم الموجود إلى جسم وعرض لإثبات الوجود العيني ، وان كان لم يقصد ذلك ن بل كان قصده إثبات صانع للعالم.

سابعاً : تعتبر مسألة الحرية الإنسانية – الى جانب مسألة التوحيد – من أهم المسائل التى استحوذت على فكر الإمام حميدان، حيث دافع عن هذه الحرية دفاعاً مجيداً نفى معه كل المحاولات التي أرادت ان تضع الإنسان في أسر الجبر. ولكنه مع ذلك وقع فى خطأين كبيرين هما :

١- قوله بأن الإنسان خالق أفعاله فيه مخالفة للقرآن الكريم الذي سمى أفعال العباد فعلا وعملا وكسبا لا خلقا ، والتزم المسلمون ذلك فلم يقولوا : فلان خلق كلامه أو خلق حركاته ، وإنما قالوا : صام فلان ، قال فلان .... الخ.

٢- وضع الإمام حميدان للأشعرية فى مصاف المجبرة فيه تجن واضح او عدم فهم لمذهب الكسب – مع أنه لا فرق بين مذهب الإمام حميدان ومذهب الإمام الأشعري – بعد اتفاقهما على ان القدرة منحة من الله – إلا في عمل القدرة ، فالقدرة عند الإمام الأشعري تحدث مع كل فعل وهى قدرة كاسبة فقط، والقدرة عند الإمام حميدان سابقة للفعل وهى قدرة خالقة .

ثامناً : إن أراء الإمام حميدان في الإمامة آراء غريبة ليس لها أصل من قرأن أو سنة .

تاسعاً : على الرغم من أن أراء الإمام حميدان كانت موجهة الى هدم مذهب المعتزلة إلا أننا نأخذ عليه الآتي:

١- وقوعه في بعض ما عابه على المعتزلة مثل قياسهم الغائب على الشاهد فى مجال البحث فى الذات والصفات نحو قياسه للمريد لا بإرادة (الغائب) على المريد بإرادة (الشاهد) مع غياب العلة المشتركة مما افسد قياسه وأدى إلى اضطراب مذهبه فى الإرادة.

٢- اتفاقه – ومعظم أئمة الزيدية – مع المعتزلة على نفى الصفات أو التوحيد بينها وبين الذات.

٣- بل إننا لن نفارق الحق إذا زعمنا أن الإمام حميدان – فى بعض أفكاره – كـان معتزليا اكثر من المعتزلة أنفسهم ، وذلك عندما نفى الكلام والإرادة أو وحـد بينهما وبين الذات شأن كل الصفات الأخرى ، وذلك أن التسلسل المنطقـي للمذهب الاعتزالي كان يقتضي ذلك ، ولكنهم غيروا مسارهم عنـد هـاتين الصفتين ، وتابعهم في ذلك أئمة الزيدية حتى جاء الإمام حميدان فنفاهما مخالفـا بذلك المعتزلة وأئمة الزيدية على السواء.

عاشرا : على الرغم من هجوم الإمام حميدان على الأشعرية ووضعه لهم فى مصاف الجبرية ، إلا أنه قد وافقهم فى بعض آرائهم كإنكارهم لشيئية المعدوم.

حادي عشر : على الرغم من هجوم الإمام حميدان على الإمامية إلا أنه قد وافقه فى أصـل فكرهم عندما أعتبر النص الجلي الطريق الصحيح لثبوت الإمام.

ثانى عشر : على الرغم من أن أراء الإمام حميدان الكلامية كان غايتها نصرة مذهب ائمـة الزيدية ، إلا أن الإمام حميدان قد خالفهم فى بعض الآراء كقوله بـإرادة قديمة فى مقابل قولهم بإرادة حادثة.

ثالث عشر : إن أراء الإمام حميدان الكلامية والفلسفية – برغم ما وجـهنا إليـها مـن انتقادات – تعتبر رفضا للفكر اليوناني.

رابع عشر : إن مذهب الإمام حميدان – فى بعض جوانبه – يعتبر تصحيح لمذهب الإمـام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين الذي انزلق بمذهبه فى وحدة الوجود عندمـا نظر الى الكرسي والعرش على الهما الله سبحانه وتعالى الله عن ذلك علـوا كبيرا.

المصادر والمراجع

أولا : مصادر الإمام حميدان (ت ٦٥٦هـ) :

١- تنبيه الغافلين على مغالط المتوهمين : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة من لوحة ١٥-٣٩.

٢- تنبيه أولي الألباب على تنزيه ورثة الكتاب : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة من لوحة ٤٠-٤٩.

٣- التصريح بالمذهب الصحيح : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة من لوحة ٤٩-١٠٣.

٤- الرسالة الناظمة لمعاني الأدلة العاصمة (أو المزلزلة لأعضاء المعتزلة) ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة من لوحة ١٠٣-١٠٧.

٥- المنتزع الأول من أقوال الأئمة عليهم السلام : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٠٨-١١٩.

٦- تذكرة تشتمل على أربع مسائل في الصفات : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٢٠-١٢٢.

٧- سؤال وجوابه : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٢٢-١٢٣.

٨- خبر خولة الحنفية : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٢٣-١٢٤.

٩- المنتزع الثاني من أقوال الأئمة عليهم السلام : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٢٥-١٣٢.

١٠- بيان الأشكال فيما حكى عن المهدى من الأقوال : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٣٢-١٣٧.

١١- جواب المسائل الشفوية والشبه الحشوية : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٣٧-١٤٤.

١٢- المسائل الباحثة عن معاني الأقوال الحادثة : ضمن "مجموع رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٤٦-١٤٩.

١٣- تعريف التطريف : ضمن "مجموعة رسائل حميدان بن حميدان" المصور بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢٢١٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١٤٩-١٥٠.

١٤- كفاية الأحوال العاصمة من الاعتزال : ضمن مجموعة ، دار الكتب المصرية ٣٤/علم كلام (شيعة) ومصور على ميكروفيلم رقم ٤٧٦٣٨ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء / الكتب المصادرة لوحة ١-١٥.

ثانيا : مصادر علم الكلام والفلسفة :

(*) إبراهيم البيجوري (إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن سليمان ت ٨٢٥هـ) :

١٥- شرح البيجوري على الجوهرة ، المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، طبعة الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية بمصر سنة ١٩٢٢م.

(*) ابن أبي الحديد (عبد الحميد ت ٦٥٥ هـ) :

١٦- شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت نسخة مصورة عن طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(*) ابن تيميه (أبو العباس تقي الدين ت ٧٢٨ هـ) :

١٧- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية : تحقيق د.محمد رشيد رضا، طبعة بولاق مصر سنة ١٣٢٢ هـ.

١٨- الرد على المنطقيين : طبعة بمباي سنة ١٩٤٩م.

١٩- موافقة صريح المنقول لصحيح المعقول : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. وحامد الفقي، طبعة القاهرة سنة ١٩٥١م.

٢٠- الإيمان : دار عمر بن الخطاب ، القاهرة د.ت.

٢١- الفتاوى : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، دار التقوى للنشر والتوزيع بمصر د.ت.

٢٢- نقض المنطق ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة د.ت.

٢٣- القياس في الشرع الإسلامي : تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط خامسة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٢.

(*) ابن حزم (أبو محمد على بن محمد ت ٤٥٦هـ) :

٢٤- علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة ، ط أولى ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة سنة ١٩٨٩م.

(*) ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) :

٢٥- فضل علم السلف على علم الخلف : تحقيق يحيى مختار عزازي ، طبعة أولى ، دار البشائر الإسلامية ، القاهرة سنة ١٩٨٣.

(*) ابن رشد (أبو الوليد محمد بن رشد ت ٥٩٥ هـ) :

٢٦- تهافت التهافت : تحقيق د.سليمان دنيا ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨.

(*) ابن سينا (أبو علي الحسين ت ٤٢٨ هـ)

٢٧- الإشارات والتنبيهات، مع شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق د.سليمان دنيا ، دار المعارف القاهرة د.ت.

(*) ابن عساكر (عبد الصمد عبد الوهاب بن الحسن ت ٧٨٧ هـ)
٢٨- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، طبعة دمشق عام ١٣٤٧هـ.
(*) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ)
٢٩- تأويل مختلف الحديث : تحقيق محمد زهري النجار : مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، د.ت.
(*) ابن الوزير (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اليماني ت ٨٤٠هـ)
٣٠- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق في أصول التوحيد، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٨هـ.
٣١- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، نشر دار الطباعة المنيرية بمصر د.ت.
(*) ابن متوية (أبو محمد الحسن بن احمد ت ٤٦٩ هـ)
٣٢- التذكرة في الجواهر والأعراض : تحقيق د. سامي نصر لطف ، د. فيصل بدر عون ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة د.ت.
٣٣- التذكرة لابن متوية في علم الكلام : حـ٢، مصورة بالهيئة العامة المصرية للكتاب على ميكروفيلم رقم ٢١٠ ، عن أصل بالمكتبة المتوكلية اليمنية بالجامع الكبير بصنعاء / ٢١٠ علم كلام.
(*) الاسفراييني (أبو المظفر ت ٤٧١ هـ)
٣٤- التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين، (اكثر من طبعة).
(*) الأشعري (أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري ت ٣٣٠ هـ)
٣٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طـ ثانية، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٩م.
٣٦- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، تحقيق الأب يوسف مكارثي ، طبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة ١٩٥٢م.
٣٧- الإبانة عن أصول الديانة ، تقديم وتحقيق وتعليق د.فوقية حسين محمود ، طـ ثانية ، دار الكتاب للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة ١٩٨٧ م.
(*) الإيجي (عبد الرحمن بن أحمد ت ٦٥٦ هـ) :
٣٨- المواقف في علم الكلام : مكتبة المتنبي القاهرة د.ت.
٣٩- جواهر الكلام : تحقيق أبو العلا عفيفي ، طبعة مصر الأولى ، سنة ١٩٦٥م.

(*) الباقلاني (أبو بكر بن الطيب ت ٤٠٣ هـ)

٤٠- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق وتعليق وتقديم محمد زاهـــر الكوثري ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٦٥ م.

(*) البغدادي (أبو منصور عبد القاهر ت ٤٢٩هـ)

٤١- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، طبعة أولى ، دار الآفاق ، بيروت سـنة ١٩٧٣م.

٤٢- أصول الدين : دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت سنة ١٩٨١م.

(*) البيهقي (أبو بكر احمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ)

٤٣- الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة : طبعة السلام العالمية للطبـــع والنشـــر والتوزيع، القاهرة د.ت.

(*) البيهقي (الحاكم بن كرامة الجشمي ت ٥٤٥ هـ)

٤٤- شرح عيون المسائل (مخطوط) : الهيئة العامة المصرية للكتاب رقم "ب" ٢٧٦٢٥.

(*) الجرجاني (السيد الشريف على بن محمد ت ٤٧٠ هـ)

٤٥- شرح المواقف على علم الكلام : طبعة استنبول ، سنة ١٢٨٦هـ.

(*) الجويني (أبو المعالي إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ)

٤٦- الشامل في أصول الدين : تحقيق د.على سامي النشار ، د. فيصل بدر عـــون ، د. سهير مختار ، منشأة المعارف الإسكندرية سنة ١٩٦٩م.

٤٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد : تحقيق د. محمد يوسف موسى ، علـى عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة ١٩٥٠م.

٤٨- لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة : تقديم وتحقيق د.فوقية حسين محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(*) خواجه زاده (مصطفى بن يوسف بن صالح البرساوي ت ٨٩٣هـ)

٤٩- تهافت الفلاسفة : طبعة القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ.

(*) الخوارزمي (أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف ت ٣٨٧ هـ)

٥٠- مفاتيح العلوم : تحقيق د. عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة العربية، القـاهرة ، د.ت.

(*) الخياط (أبو الحسين عبد الرحيم المعتزلي البغدادي ت ٣٠٠ هـ)

٥١- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد : تحقيق نيبرج ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٢٥م.

(*) الرازي (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب ت ٦٠٦ هـ)

٥٢- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب : دار الفكر - بيروت سنه ١٩٨١م.

٥٣- معالم أصول الدين : تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة د.ت.

(*) مجموعة من المفكرين :

٥٤- رسائل العدل والتوحيد حـ١ "لأبي الحسن البصري ، القاسم الرسي ، القاضي عبد الجبار، الشريف المرتضى" تحقيق د. محمد عمارة ، طـ ثانية ، دار الشروق ، القاهرة سنه ١٩٨٨م.

٥٥- رسائل العدل والتوحيد : حـ٢ للإمام يحيى بن الحسين الزيدي ، تحقيق د. محمد عمار، طـ ثانية ، دار الشروق ، القاهرة سنة ١٩٨٨م.

(*) السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على ت ٧٧١هـ)

٥٦- طبقات الشافعية الكبرى :تحقيق محمود محمد الطناحي، عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة د.ت.

(*) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ)

٥٧- صون المنطق والكلام : تعليق د.على سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان د.ت.

٥٨- الإتقان في علوم القرآن (أربع أجزاء في مجلدين) : تحقيق محمد أبو الفضل ، الطبعة الثالثة، دار التراث ، القاهرة سنة ١٩٨٥م.

(*) الشهرستاني (عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ)

٥٩- الملل والنحل : تقديم وإعداد عبد اللطيف محمد العبد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، سنة ١٩٧٧م.

٦٠- نهاية الإقدام في علم الكلام : (اكثر من طبعة).

(*) الشوكاني (محمد بن على ت ١٢٥٠ هـ)

٦١- أدب الطلب ومنتهى الأدب : مركز الدراسات اليمنية سنة ١٩٧٩م.

٦٢- التحف في مذاهب السلف : طـ ثانية دار الهجرة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٨م.

(*) الغزالي (محمد بن محمد أبو حامد ت ٥٠٥ هـ)

٦٣- إحياء علوم الدين : طبعة القاهرة سنة ١٣٣٦ هـ.

٦٤- المنقذ من الضلال : تحقيق د. عبد الحليم محمود ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

٦٥- تهافت الفلاسفة : تحقيق د. سليمان دنيا ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.

٦٦- المضنون به على غير أهله (الكبير) ، طبعة القاهرة سنة ١٣٠٣هـ.

(*) الكنانى (عبد العزيز بن يحي بن مسلم الكنانى ت ٢٤٠ هـ)

٦٧- الحَيدة في الرد على بشر بن غياث المريسى ، طبعة أولى ، دار المطبعة السلفية ، القاهرة سنة ١٣٩٩ هـ.

(*) الكندي (أبو يوسف يعقوب بن اسحق ت ٢٥٢ هـ)

٦٨- الرسائل الفلسفية : حـ٢ تحقيق د. محمد عبدا لهادى أبو ريدة ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٥٠م.

(*) القاضي عبدا لجبار (عبد الجبار بن احمد ت ٤١٥ هـ)

- المغنى فى أبواب العدل والتوحيد : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٦٩- الجزء الرابع : رؤية البارئ ، تحقيق د. مصطفى حلمي ، د.أبو الوفاء التفتازانى.

٧٠- الجزء السادس : التعديل والتجويد (١) ، تحقيق د. فؤاد الاهوانى.

٧١- الجزء السادس : الإرادة (٢) تحقيق جورج شحاتة قنواتي.

٧٢- الجزء السابع : خلق القرآن ، تحقيق إبراهيم الابيارى.

٧٣- الجزء الرابع عشر : الصلاح والاصلح ، تحقيق د. مصطفى السقا.

٧٤- المحيط بالتكليف : جمع الحسن بن متوية ، تحقيق عمر السيد عزمي ، مراجعة د. أحمد فؤاد الاهوانى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٦٥.

٧٥- شرح الأصول الخمسة : الطبعة الأولى ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، القاهرة ، سنة ١٩٦٥.

٧٦- المنية والأمل : جمع احمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق د. عصام الدين محمد علــى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية سنة ١٩٨٥.

(*) النسفي (حافظ الدين)

٧٧- كشف الأسرار ، شرح المصنف على النار (مخطوط) ، دار الكتب المصريــة رقــم ٧٩٩/أصول فقه.

٧٨- **النيسابوري (أبو رشيد سعيد بن محمد بن سعيد ت ٤٥٠ هـ)**

٧٨- ديوان الأصول : تحقيق د. محمد عبدا لهادى أبو ريده ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٩م.

(*) فلسفة ابن رشد : المكتبة المحمودية التجارية ، القاهرة د.ت :

ويشتمل على :

٧٩- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال : وذيله.

٨٠- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة.

٨١- ويليهما : الرد على فلسفة ابن رشد : تأليف شيخ الإسلام ومفتى الأنام تقى الدين بن تيميه المتوفى سنة ٧٢٨هـ.

(*) يحيى بن الحسين (الإمام الهادي إلى الحق ت ٢٩٨)

٨٢- المسترشد : (مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ميكروفيلم ١١٣ ، عن أصل بمكتبة الجامع الكبير ، بصنعاء/٣٩ علم كلام.

٨٣- المنزلة بين المنزلين : (مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ميكروفيلم ٣٢٧ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء /٣٩ علم كلام.

٨٤- تفسير معاني السنة : (مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ميكروفيلم ٣٢٩ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء/٣٩ علم كلام.

٨٥- الرد على سليمان بن جرير :(مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ميكروفيلم ٣٢٤ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء /٣٩ علم كلام.

٨٦- الديانة : (مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ميكروفيلم ٣٣١ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء /٣٩ علم كلام.

٨٧- العرش والكرسي : (مخطوط) الهيئة العامة للكتاب ، ميكروفيلم ٣٢٢ ، عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء /٣٩ علم كلام.

٨٨- تفسير الكرسي : (مخطوط) الهيئة العامة للكتاب ، ميكروفيلم رقم ٣٢١ عن أصل بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء /٣٩ علم كلام.

ثالثا : المصادر التاريخية :

(*) ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين على بن محمد ت ٦٣٠ هـ)
٨٩- الكامل : دار صادر، بيروت سنة ١٩٨٢.
(*) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبي المحاسن الاتابكى ت ٨٧٤ هـ)
٩٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: تحقيق د. إبراهيم على طرحان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٣.
(*) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن الحضرمي ت ٨٠٨ هـ)
٩١- المقدمة : دار القلم، بيروت، لبنان ، طـ خامسة ، سنة ١٩٨٤م.
(*) ابن خلكان (شمس الدين ت ٦٨١ هـ)
٩٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر- بيروت، سنة ١٩٧٠.
(*) ابن شاكر الكبتى (محمد ت ٧٦٤ هـ)
٩٣- فوات الوفيات : حـ١ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة القدس ، القاهرة سنة ١٩٥١م.
(*) ابن عساكر (عبد الصمد عبد الوهاب بن الحسن ت ٦٨٦ هـ)
٩٤- تاريخ دمشق : مجلد ٤ ، تهذيب وترتيب الشيخ عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت، لبنان ، سنة ١٩٧٩م.
(*) ابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ)
٩٥- عيون الأخبار : طبعة القاهرة ١٩٣٠.
(*) ابن النديم (محمد بن اسحق ت ٣٨٥ هـ)
٩٦- الفهرست : تحقيق د.ناهد عباس عثمان، ط١ ، دار قطري ابن فجاء سنة ١٩٨٥.
(*) أبو الفداء (عماد الدين بن إسماعيل ت ٧٣٢ هـ):
٩٧- المختصر في تاريخ البشر ، طبعة مصر سنة ١٣٢٥ هـ.
(*) اليعقوبى (احمد بن جعفر ت ٢٨٤ هـ)
٩٨- التاريخ طبعة ليدن ، سنة ١٩٨٣.
(*) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ):
٩٩- تاريخ الخلفاء : الطبعة الرابعة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة سنة ١٩٦٩م.
(*) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦ هـ):
١٠٠- مروج الذهب ومعاون الجوهر : دار الأندلس ، بيروت ، لبنان د.ت.

(*) جمال الدين (على بن محمد بن عبيد الله العلوي ، كان حيا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري)

١٠١- سيرة الهادي : (مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ميكروفيلم ١٢٤.

(*) صارم الدين (إبراهيم بن القاسم بن محمد ت ١١٥٣ هـ)

١٠٢- طبقات الزيدية (مخطوط) الهيئة العامة المصرية للكتاب ميكروفيلم ٢١٨٤.

(*) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن على (ت ٣٤٦ هـ)

١٠٣- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني : القسم الأول : تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، طبعة رابعة ، دار مصر للطباعة ، القاهرة سنة ١٩٦٩م.

رابعاً : دراسات حديثة :

(*) إبراهيم احمد العدوى (دكتور)

١٠٤- تاريخ العالم الإسلامي ، طبعة القاهرة د.ت.

(*) إبراهيم مدكور (دكتور):

١٠٥- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق : دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٦٨م.

(*) أبو زيد شلبى :

١٠٦- تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي : طبعة ثالثة ، مكتبة وهبة ، القاهرة سنة ١٩٦٤م.

(*) أحمد السعيد سليمان (دكتور):

١٠٧- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، القاهرة د.ت.

(*) أحمد رمضان احمد (دكتور):

١٠٨- حضارة الدولة العباسية : الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ، القاهرة سنة ١٩٧٨م.

(*) أحمد محمود صبحي (دكتور)

١٠٩- الزيدية : ط ثانية ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة سنة ١٩٨٤م.

١١٠- في علم الكلام : مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٦٩م.

(*) اكرم ضياء العمري (دكتور) :

١١١- التراث والمعاصرة : كتاب الأمة ، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر ، ط ثانية ، دار العلم للطباعة والنشر سنة ١٤٠٦هـ.

(*) ألبير نصر نادر (دكتور) :

١١٢- أهم الفرق الإسلامية (السياسية والكلامية) ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م.

١١٣- فلسفة المعتزلة :(فلاسفة الإسلام الاسبقين) : مجلد واحد (جزءان) ، مطبعة دار نشر الثقافة ، الإسكندرية سنة ١٩٥٠.

(*) السيد محمد عبد الرحمن (دكتور) :

١١٤- الإمام يحي بن الحسين الرسي وآراؤه الكلامية والفلسفية : رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الزقازيق، إشراف د. محمد محمود أبو قحف.

(*) إمام عبد الفتاح (دكتور) :

١١٥- مدخل الى الفلسفة :طـ ثانية ، دار الثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤م.

(*) حموده غرابه (دكتور) :

١١٦- أبو الحسن الأشعري : مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة سنة ١٩٧٣م.

١١٧- ابن سينا بين الدين والفلسفة : مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨م.

(*) حسين مؤنس (دكتور) :

١١٨- قاموس تاريخ الإسلام : الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة سنة ١٩٨٧م.

(*) زكى نجيب محمود (دكتور)

١١٩- تجديد الفكر العربي : طـ سادسة ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٠م.

١٢٠- المنطق الوضعي : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٦م.

(*) سامي لطف نصر (دكتور)

١٢١- فكرة الجوهر في الفكر الفلسفي الإسلامي : مكتبة الحرية الحديثة ، طـ أولى ، القاهرة سنة ١٩٧٨م.

(*) سعيد جمعة مراد (دكتور)

١٢٢- مدرسة البصرة الاعتزالية : رسالة ماجستير منشورة في ثلاثة أقسام د.ت.

١٢٣- ابن متويه وآراؤه الكلامية والفلسفية : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٩١م.

(*) شوقي ضيف (دكتور) :

١٢٤- عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية ، العراق ، إيران ، طـ ثالثة ، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٠م.

(*) صبري عثمان محمد حسن (دكتور):

١٢٥- الله والكون عند فلاسفة الإسلام : طـ أولى ، دار المعـارف ، القـاهرة سـنة ١٩٨٧م.

(*) صلاح قنصوه (دكتور) :

١٢٦- فلسفة العلم : دار الثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٨٥م.

(*) عبد الحليم سند الجندي (دكتور)

١٢٧- آفاق إسلامية ، دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسـلامية بمصر العدد (٧٧) سنة ١٣٨٧هـ.

(*) عبد الحليم محمود (دكتور) :

١٢٨- التفكير الفلسفي في الإسلام : دار المعارف ، القاهرة د.ت.

١٢٩- قضية التصوف المنقذ من الضلال : دار المعارف ، القاهرة د.ت.

(*) عبد الحليم منتصر (دكتور)

١٣٠- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه : دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٠م.

(*) عبد الكريم عثمان (دكتور)

١٣١- معالم الثقافة الإسلامية : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٢.

(*) عبد الرحمن بدوي (دكتور)

١٣٢- ربيع الفكر اليوناني : طـ خامسة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٧٩.

١٣٣- فلسفة العصور الوسطى : طـ ثالثة ، وكالة المطبوعات الكويت ، دار العلـم ، بيروت سنة ١٩٧٩.

(*) عبد الستار عز الدين الراوي (دكتور)

١٣٤- ثورة العقل ، دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد سنة ١٩٨٢م.

(*) عبد الله عزام (دكتور)

١٣٥- العقيدة وأثرها في بناء الجيل : طـ ثالثة ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن سـنة ١٩٨٠م.

(*) عبد الله محمد الحبشي :

١٣٦- مصادر الفكر الإسلامي في اليمن : مركز الدراسات اليمنية صنعاء د.ت.

(*) عبد المتعال الجبري :

١٣٧- حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبنى أمية : طـــــ أولى ، دار الصحـــوة للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة ١٩٨٥م.

(*) عبد الواسع بن يحي الواسعى :

١٣٨- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث اليمن : طـ ثانيـــة مطبعـــة حجازي سنة ١٩٤٧م.

(*) عبد الوهاب خلاف :

١٣٩- علم أصول الفقه : طبعة القاهرة سنة ١٩٤٠م.

(*) عزت قرني (دكتور) :

١٤٠- الفلسفة اليونانية ابتداء من أرسطو : طبعة بالآلة الكاتبة ، مكتبة سعيد رأفـــت ، عين شمس د.ت.

(*) علاء أحمد حمروش (دكتور) :

١٤١- تاريخ الفلسفة اليونانية، طبعة سنة ١٩٩٠.

(*) على سامي النشار (دكتور)

١٤٢- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام :(اكثر من طبعة).

١٤٣- الأصول الأفلاطونية (فيدون) : طبعة الإسكندرية سنة ١٩٦٥م.

(*) على مصطفى الغرابى (دكتور)

١٤٤- أبو الهزيل العلاف : طبعة مصر الثانية سنة ١٩٥٤م.

(*) فوقية حسين محمود (دكتور)

١٤٥- مقالات في أصالة المفكر المسلم : دار الفكر العربي ، القاهرة سنة ١٩٧٦م.

١٤٦- الجويني إمام الحرمين : سلسلة إعلام العرب رقم (٤٠) المؤسسة المصرية العامـــة للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥م.

١٤٧- فلسفة القيم (محاضرات) طبعة بالأوفست عام ١٩٨٣م.

١٤٨- مدخل إلى الفكر الإسلامي : طبعة بالأوفست عام ١٩٨٣م.

١٤٩- الفلسفة الإسلامية في المشرق : طبعة بالأوفست عام ١٩٨٣م.

(*) فيصل بدير عون (دكتور) :

١٥٠- فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية : طـ أولى مكتبة الحرية الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٨٠.

(*) محمد أبو زهرة (دكتور) :

١٥١- ابن تيميه ، حياته وعصره ، آراؤه الفقهية ، دار الفكر العربي ، القـــاهرة ســـنة ١٩٧٧م.

(*) محمد الأمين الشنقيطي :

١٥٢- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات : من مطبوعات الجامعـــة الإســـلامية بالمدينة المنورة ، دار الاعتصام ، القاهرة د.ت.

(*) محمد البهي (دكتور) :

١٥٣- الجانب الإلهي في التفكير الإنساني : طـ سادسة ، مكتبة وهبه ، القـــاهرة ســـنة ١٩٨٢م.

(*) محمد الخضري بك (الشيخ)

١٥٤- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية) ، طـ أولى ، دار القلم ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٦م.

١٥٥- أصول الفقه : المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة د.ت.

(*) محمد آمان على الجامي (دكتور)

١٥٦- منزلة السنة في التشريع الإسلامي : من مطبوعات الجامعـــة الإســـلامية بالمدينـــة المنورة، دار النصر للطباعة الإسلامية د.ت.

(*) محمد جلال شرف الدين (دكتور) :

١٥٧- الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٠م.

(*) محمد خليل هجرس :

١٥٨- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميه : من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، دار الاعتصام ، القاهرة د.ت.

(*) محمد عاطف العراقي (دكتور)

١٥٩- ثورة العقل في الفلسفة العربية : طـ خامسة ، دار المعـــارف ، القـــاهرة ســـنة ١٩٨٤م.

١٦٠- تجديد في المذاهب الفلسفية والكلامية ، طـ رابعة دار المعارف ، القـــاهرة ســـنة ١٩٧٩م.

١٦١- مذاهب فلاسفة المشرق : طـ ثامنة ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٤م.

١٦٢- المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد ، طـ ثامنة ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٤م.

(*) محمد عبدا لهادى أبو ريده (دكتور)

١٦٣- الكندي وفلسفته : دار الفكر العربي ، القاهرة سنة ١٩٥٠م.

(*) محمد عبد الوهاب (الشيخ)

١٦٤- كتاب التوحيد : دار الاعتصام ، القاهرة سنة ١٣٠٩هـ.

(*) محمد عمارة (دكتور)

١٦٥- ابن رشد بين المادية والمثالية : طـ ثانية ، دار المعارف ، القاهرة د.ت.

(*) محمد على أبو ريان (دكتور)

١٦٦- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، طبعة الإسكندرية سنة ١٩٦٥م.

١٦٧- أصول الفلسفة الإسلامية شخصياتها ومذاهبها : طبعة الإسكندرية سنة ١٩٦٧م.

(*) محمد نعيم يس (دكتور) :

١٦٨- الإيمان - أركانه - حقيقته - نواقضه : دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة د.ت.

(*) محمد يوسف موسى (دكتور) :

١٦٩- الإلهيات بين الدين والفلسفة : طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م.

(*) ماهر عبد القادر محمد على (دكتور) :

١٧٠- فلسفة العلوم الطبيعية (المنطق الاستقرائي) : دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية سنة ١٩٧٩م.

(*) محمود الطحان (دكتور) :

١٧١- تيسير مصطلح الحديث : مكتبة المعارف ، الرياض سنة ١٩٨١م.

(*) محمود شاكر :

١٧٢- التاريخ الإسلامي (الدولة العباسية) : طـ أولى ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٥م.

(*) محمود قاسم (دكتور) :

١٧٣- ابن رشد وفلسفته الدينية : طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.

١٧٤- نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند توماس الإكويني : مكتبة الأنجلو المصرية د.ت.

(*) مراد وهبة (دكتور) :
١٧٥- المذهب في فلسفة برجسون : طـ ثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٨م.
(*) مصطفى عبد الرازق (الشيخ) :
١٧٦- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية : طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣م.
(*) يحيى هويدي (دكتور) :
١٧٧- دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٨١.
١٧٨- محاضرات في الفلسفة الإسلامية : طبعة القاهرة ١٩٥٩م.
(*) يوسف كرم :
١٧٩- تاريخ الفلسفة اليونانية : طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان د.ت.
١٨٠- تاريخ الفلسفة الحديثة : ط سادسة ، دار المعارف ، القاهرة د.ت.

خامساً : مراجع عامة :

(*) ابن الجوزي :(أبو الفرج عبد الرحمن بن على القرشي ت ٥٩٧ هـ)
١٨١- الموضوعات : ضبط وتقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٨٣ م.
١٨٢- ابن حجر العسقلاني (احمد بن على ت ٨٥٢ هـ)
١٨٢- فتح البارئ ، بشرح صحيح البخاري ، الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث ، القاهرة سنة ١٩٨٧م.
(*) ابن قدامه (أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد ت ٦٢٠ هـ) :
١٨٣- المغنى : دار البصائر للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة د.ت.
(*) ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ت ٧٧٤ هـ) :
١٨٤- تفسير القرآن العظيم : مكتبة دار التراث ، القاهرة ١٩٨٠م.
(*) ابن ماجه (الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ت ٢٧٥ هـ)
١٨٥- سنن ابن ماجة : تحقيق وترقيم وتحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة د.ت.
(*) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١ هـ) :
١٨٦- لسان العرب : طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة د.ت.

(*) أبو هاجر محمد السيد بن بسيوني زغلول :

١٨٧- موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف : دار الفكر ، القاهرة سنة ١٩٩٤.

(*) التهانوي (محمد على الفاروق) :

١٨٨- موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية : طبعة بيروت سنة ١٩٦٦م.

(*) الجرجاني (السيد الشريف على بن محمد ت ٨١٦ هـ) :

١٨٩- التعريفات : طبعة تونس سنة ١٩٧١م

(*) الحموي (الإمام عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ) :

١٩٠- معجم البلدان : دار صادر ، بيروت ، لبنان د.ت.

(*) الرازي (محمد بن أبي بكر عبد القادر) :

١٩١- مختار الصحاح : دار بن كثير ، بيروت ، لبنان د.ت.

(*) الزركلي (خير الدين) :

١٩٢- الإعلام : دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٠ م، سنة ١٩٩٢.

(*) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ) :

١٩٣- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : دار المعرفة ، بيروت ، لبنان د.ت.

(*) الشوكاني (محمد بن على ت ١٢٥٠ هـ) :

١٩٤- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : تحقيق عبد الرحمن بن يحي العلمي اليماني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان د.ت.

(*) العجلوني (إسماعيل بن محمد ت ١١٢ هـ)

١٩٥- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على السنة الناس ، تصحيح وتعليق احمد القلاش . مكتبة التراث الإسلامي ، دار التراث القاهرة د.ت.

(*) الهيثمي (الحافظ نور الدين على بن أبى بكر ت ٨٠٧ هـ)

١٩٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : منشورات مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٦.

(*) عمر رضا كحالة :

١٩٧- معجم المؤلفين : مطبعة الترقي دمشق سنة ،١٩٦١، وطبعة دار إحيـاء التراث العربي، بيروت سنة ١٩٥٧.

(*) مجمع اللغة العربية :

١٩٨- الموسوعة الثقافية : إشراف محمد شفيق غربال ، ط ثانية دار الشعب ، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(*) محمد فؤاد عبد الباقي :

١٩٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : مكتبة الغزالي ، دمشق ، مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت د.ت

(*) مراد وهبه (دكتور) :

٢٠٠- المعجم الفلسفي : طـ ثالثة ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٩م.

(*) ونسنك :

٢٠١- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : دار الدعوة ، استنبول سنة ١٩٨٦.

(*) يوسف كرم :

٢٠٢- المعجم الفلسفي : طبعة مصر الأولى سنة ١٩٦٦م.

سادساً : المراجع المعربة:

(*) اوتربريتزل :

٢٠٣- المذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام : ترجمة د.محمد عبدا لهادى أبو ريده ، ضمن مذهب الذرة عند المسلمين لبينيس مكتبة النهضة ، القاهرة سنة ١٩٤٦.

(*) ببينيس :

٢٠٤- مذهب الذرة عند المسلمين : ترجمة د.محمد عبدا لهادى أبو ريده ، مكتبة النهضة ، القاهرة سنة ١٩٤٦م.

(*) بيوترفيدوسييف :

٢٠٥- الفلسفة والمعرفة العلمية : ترجمة حمدي عبد الجواد ، طـ أولى ، د\ار العالم الجدي ، القاهرة سنة ١٩٨٩م.

(*) جاكوبى :

٢٠٦- نظرية الجزء عند الهنود : حـ٢ دائرة معارف الدين والأخلاق ، القاهرة د.ت.

(*) دى بور :

٢٠٧- تاريخ الفلسفة فى الإسلام : ترجمة د.محمد عبدا لهادى أبو ريده ، الطبعة الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤م.

(*) ف. بارتولد :

٢٠٨- تاريخ الحضارة الإسلامية : ترجمة حمزة طاهر ، طـ خامسة ، دار المعارف د.ت.

(*) كارادى فو :

٢٠٩- الغزالي : ترجمة د. عادل زعيتر ، طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ م.

(*) كارل بروكلمان :

٢١٠- تاريخ الأدب العربي : ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين ، دار المعارف ، القـاهرة سنة ١٩٧٤م.

٢١١- الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية : ترجمة الشيخ صـالح بـن الشيخ أبو بكر ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعـاء ، دار الحداثـة ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٥م.

(*) كانثويل شميث :

٢١٢- الإسلام في التاريخ الحديث : سلسلة كتب سياسية رقم ١٦٣.

(*) مونتجومرى وات :

٢١٣- فضل الإسلام على الحضارة الغربية : ترجمة حسين أحمد أمين ، طبعة دار الشـروق ، القاهرة سنة ١٩٨٣.

سابعاً : الفهارس العامة :

(*) الجمهورية العربية اليمنية ، وزارة الثقافية :

٢١٤- فهرس المخطوطات اليمنية : مطبعة دار الكتب ، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

(*) جمهورية مصر العربية ، دار الكتب المصرية :

٢١٥- فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار لغاية سنة ١٩٢١ ، وملحق بالكتب العربية الواردة للدار في سنتي ١٩٢٢، ١٩٢٣ ، والسـتة شـهور الأولى مـن سـنة ١٩٢٤م، مطبعة دار الكتب ، القاهرة سنة ١٩٣٤م.

ثامناً : المراجع الأجنبية :

216- Ahmed Foad Ahwany : Islamic Philosophy, publish by Anglo. Egyptian Book Shop Cairo 1965.

217- Anton-Herman Chraust : Aristotle New light on his life and on some of his lost works vol. II observation on some of Aristotles lost works, University of Notre Dame press, library of congress cataloging publication Data.

218- Aristotle : Metaphysics, translated by Ross. vol. VII, the charmed press oxford 1960.

219- C. Bailey, the Greek Atomists a Epicorus, Oxford 1926.

220- Collingwod (R.G):The idea of Nature, New-York, University press; Oxford 1960.

221- Encyclopaedia of Religion and Ethices, by Hastings vol. 2,1922.

222- Grolier: Academic Encyclopedia Ang A3 copyright by Grolier International. Sin also publisheal under the title Academic American Encyclopedia 1986.

223- Guthrie (W.K.C) : The Greek philosophers form those to Aristotle. London, 1972.

224- K. Freeman, companion to the pre-Socratic philosophers, Oxford. 1966.

225- The Encyclopedia of philosophy. vol. 4 the Macmillan company the free press New-York collier, Macmillan limited, London.

226- S.M. Strran R. Walser. Oriental studies, vol. 1. Rchiuchard Walser Greek into Arabic Essays on Islamic philosophy.

227- W.Jaeger, the theology of Early Greek Philosophers, Oxford, 1968.

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث

[الابتلاء كمدخل ينبني عليه الآراء الكلامية والفلسفية]

الفصل الرابع

[المعرفـــــــــة]

الفصل الخامس

[الله : ذاته . صفاته]

الفصل السادس

[العالـــــــم]

الفصل السابع

[الفعل الإنساني]

الفصل الثامن

[مشكلة الإمامة]

تم بحمـد الله